

جامعة الجزائر - 1-

كلية العلوم الإسلامية - الخروبة -

قسم العقائد والأديان

---

# الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص كتاب وسنة

إعداد الطالبة:فايزة عدلي

السنة الجامعية: 2011 م / 2012 م

1432 هـ / 1433 هـ

جامعة الجزائر - 1-

كلية العلوم الإسلامية - الخروبة -

قسم العقائد والأديان

الإصلاح في القرآن الكريم  
دراسة موضوعية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص كتاب وسنة

تحت إشراف الأستاذة:

من إعداد

أ. د شافية صديق

الطالبة: فايذة عدلي

اللجنة المناقشة

أ.د محمد الأمين بلغيث..... رئيسا  
أ.د شافية صديق.....مقررا  
د. شيهاني حمو..... عضوا  
د. عدار يوسف..... عضوا

السنة الجامعية: 2011 م / 2012 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

# شكر وتقدير

أخذا بقوله صلى الله عليه وسلم "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"  
و عرفانا لأهل الفضل بفضلهم، ولأهل الجميل بجميلهم ووفاء ببعض عليّ.  
فإنني وبعد إتمام هذا العمل بعون الله تعالى، أتوجّه بالشكر الجزيل  
لأستاذتي الدكتورة : **شافية صديق**، المشرفة على عملي هذا لما بذلته من جهد  
وما قدّمته من نصائح لإتمام هذا العمل المتواضع.  
كما أتوجّه بالشكر والتقدير للجنة المناقشة التي قبلت تقييم العمل ونقده  
حتى يكون نافعا لكل طالب علم.  
والشكر كل الشكر لأساتذتي بالكلية وجميع من أمدني بيد العون،  
سائلة المولى تعالى أن يجزيهم جميعا عني خير الجزاء.

# الإهداء

إلى الشمعة التي تحترق لتضيء للغير، إلى من كان سبب وجودي وتربيتي وتعليمي،

إلى والدي:

إلى أبي العزيز محمد - طيب الله ثراه- الذي كان يعيش على أمل الانتهاء من البحث  
و حضور المناقشة، نسأل الله عز و جل أن يجعل هذا العمل صدقة جارية عليه .

إلى أمي العزيزة خديجة حفظها الله وأمدّ عمرها في طاعة وصلاح .

إلى من قدّم لي يد المساعدة إخواني: إبراهيم ومحمد الأمين وعماد الدين.

وأخواتي سميرة وأسماء ومنية النفوس ونصيرة

إلى الطاقم التربوي بالمدرسة العلمية فردا فردا وأخص بالذكر:

أ. يونس حجاج و أ : يوسف كفوس.

إلى كل من قدّم لي يد العون، من قريب أو بعيد، إليهم جميعا أهدي هذا العمل

المتواضع .

### المقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه، فجعله معجزة النبي الأعظم والحجة الدائمة على الخلق، ونبراساً إلى يوم الدين، نستمد من نبعه الثري الهداية ونقتبس من نوره مشاعل الحضارة والعمارة، ونجد في ثناياه البراهين الساطعة كلما تراكمت ظلال الشبهات، وحاكت الوسوس في الصدور.

والصلاة والسلام على سيد الأنام، إمام المتقين وسيد المرسلين، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أرسله الله للعالمين، فأصلح به البلاد والعباد أما بعد:

لقد عاشت الإنسانية فترة ضلت فيها سبل الرشاد، واستحكمت فيها الفساد في الحياة والكون فكانت رسالة الإسلام التي أنقذتها من الهاوية، وأخرجتها من الظلمات إلى النور، واستطاع بفضلها الإنسان أن يعود إلى فطرته وأن يعرف طريقه إلى الحياة، فعاشت البشرية في ظل هذا الدين ورجاله المخلصين ممن حملوا راية الإصلاح، حضارة راقية وعيشاً هنيئاً، مسّ أرجاء المعمورة بكل جوانبها وهكذا تعاقبت الأجيال بين نور الإصلاح و ظلام الفساد، فجرت سنة الله بالعباد أن دوام الحال من الحال.

وما واقعنا الذي نعيشه - للأسف - ببعيد عما تم ذكره، فأوضاعنا السيئة والفاسدة التي نتخبط فيها تجعل من الإصلاح ضرورة قصوى، نلزمنا إتباع إشعاعه والبحث عنه وعن كل ما يتعلق به ويوصلنا إليه.

ولعل ما نراه اليوم من نداءات مختلفة بشأن الإصلاح وتغيير الأوضاع لأكثر دليل على ذلك، فصار بذلك حديث الساعة. فلا يكاد يخلو منبر من منابر الوعظ أو الإرشاد أو مؤسسة من المؤسسات التي تعنى بقضايا المجتمع إلا ووجدنا له بصمة ووقفة واضحة، وهذا ما نلمسه في وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة، فلو شغلنا جهاز التلفاز أو الراديو، أو طالعنا صحيفة وجدنا للقضية نصيباً، تتجاذبه أفكار علماء ومربين ومفكرين وحتى جمعيات وأحزاب ومؤتمرات تعقد، تبحث في أسباب الإصلاح والسبل الموصلة إليه.

#### - أهمية الموضوع :

يكتسي موضوع البحث أهمية كبيرة، كونه يعدّ محورا من المحاور الأساسية التي عنيت بها الشريعة الإسلامية من خلال ما طرحته مصادرها وتضمنته أحكامها هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فإن موضوع الإصلاح قد حظي أيضا باهتمام كبير فيما طرحته النظم الوضعية، هذه الأخيرة التي نادى به في أشكال وألوان ومسميات عديدة، الأمر الذي يجعل من الإصلاح ضرورة حتمية لاستمرار الحياة على وجه الأرض.

وبالرجوع إلى إطار البحث و الدراسة من خلال القرآن الكريم، فإنه يمكن إجمال أهمية الإصلاح من خلال النقاط الآتية:

■ الإصلاح عنوان الأمة الأساسي، فقد جاءت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم لتجعل الإصلاح عنوانها الأساسي، والمسلم لا يُعدُّ مسلماً إلا إذا بدأ بممارسة هذه المهمة، قال تعالى في الآية 110 من سورة آل عمران ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، والملاحظ في هذه الآية الكريمة تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل الإيمان، ليس لقلّة اهتمام بالإيمان وإنما في ذلك إشارة وتنبية لقيمة فعل الخير من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بعبارة أخرى خيرية الأمة تتطلب حركة نحو كل ما من شأنه تحقيق الإصلاح والصالح.

■ الإصلاح واجب شرعي دعت إليه الشريعة السّميحة في أكثر من موضع، غير أننا لو دققنا في الأمر جيداً لتبين أنه فطرة إنسانية أيضاً، يمارسه الإنسان بصورة طبيعية في كثير من شؤونه، فلو أنّ السيارة التي نركبها ونقضي بها حوائجنا أصابها العطب، لكان أول شيء نبادر إلى فعله البحث عن سبل إصلاحها مادام في الإمكان إصلاحها، وقس على ذلك مختلف شؤون الحياة التي لا يفارقها نداء الفطرة الذي يرفض في كل مرة العيش والبقاء في ظل أجواء فاسدة .

■ الإصلاح سنة من سنن الله في الكون، فإذا تأمل الإنسان في الطبيعة التي خلقها الله لرأى المعنى الدال على الإصلاح والأمثلة واضحة لا تحتاج إلى زيادة في الإيضاح، فعلى سبيل المثال لا الحصر، لو تأملنا العلاقة بين طهارة الماء وحركته، ذلك أنّ الماء إذا ركّد فسّد، فإذا تحرّك طهر فتعمل الحركة هنا عمل المصلح وكذلك الشمس تنشر النور فتحدث بذلك عملية البناء الضوئي ليعيش النبات، وهذا نوع من الإصلاح .

### أسباب اختيار الموضوع:

كانَ توفيقُ الله وإرادته وراءَ اختيار هذا الموضوع، وإذا أراد الله أمراً هياً له الأسباب، وشرح له الصدور، فتيسر الأمر وتوجهت الكتابة فيه باعتباره موضوعاً يعالج المشكلة الأساسية للإنسان والحياة والكون على حدٍ سواء فكان الموضوع: الإصلاح في القرآن الكريم - دراسة موضوعية - كما أن الداعي للكتابة والبحث يمكن إجماله في النقاط الآتية:

- أن أشرفَ عمل يقوم به المؤمن خدمةُ كتاب الله، وبحكم التخصص الذي يقتضي البحث فيه فقد توجهت الإرادة للمساهمة بنصيب متواضع في هذا السبيل، فيكون الجهد المتواضع من قبيل الإعذار إلى الله تعالى.
  - أن القرآن الكريم يُولي موضوعَ الإصلاح اهتماماً خاصاً، يظهر ذلك في كثرة الآيات التي استوعبته بمختلف الأساليب، وكذا اهتمام السنة النبوية الشريفة يُلفت الانتباه ويستدعي الوقوف، كيف لا؟ وأن الإسلام يقوم على مبدأ الإصلاح.
  - حال الأمة المتردّي وتغلُّل عوامل الفساد ومظاهره في شتى جوانب الحياة، وإصابة أفرادها بحالة اليأس والقنوط الذي استولى على القلوب والعقول فمنعها من التفكير في التغيير والإصلاح، ووضع حدٍّ لحال الفساد الذي استشرى في العالم أجمع والأمة الإسلامية بشكل خاص.
  - الفشل الذي مسَّ معظم محاولات الإصلاح التي قادها أبناء الأمة، فأوصلهم إلى طريق مسدود، هذا الأخير الذي يفرض مراجعات لمناهجهم ووسائلهم المتبعة في هذا السبيل.
- واقناعاً مني بأهمية هذا الموضوع ومسيب الحاجة إليه، فقد ارتأيت أن أتقدم بهذا الجهد المتواضع من خلال البحث في آيات كتاب الله، متأملاً لآياته، متفكراً في دلالاتها، محاولةً استيعاب ما كتبه المفسرون وأنتجته العقول حول تقرير القرآن الكريم للإصلاح.



## الفروض والإشكالات:

لقد تمّ اختبار مجموعة من الفروض في هذه المحاولة المتواضعة، استجابةً لمجموعة من الإشكالات منها:

### الفروض:

- الوصول إلى تحديد مفهوم الإصلاح في ضوء معاني القرآن الكريم.
- أنّ للإصلاح في كتاب الله فقهاً لا بدّ أن يُفهم ويُسمع، ومسلماً يجب أن يُفتى ويُتبع وإلا آلت جهودُ المصلحين إلى الفشل. فالقرآن الكريم يتضمّن فهماً شاملاً للإصلاح مستوعباً ميادين الحياة.
- غيابُ الإصلاح معناه الفساد والفوضى العارمة.
- الإصلاحُ في القرآن الكريم صالحٌ ومُصلحٌ في كل مكان وزمان.

### الإشكالية:

الإصلاحُ مهمٌّ في حياة الأمم و الشعوب، والقرآنُ أهمُّ محدّد حياة المسلمين فكيف صاغ القرآن الكريم سبيلَ الإصلاح؟

### عناصر الإشكالية:

- ماذا يقصدُ القرآن الكريم بالإصلاح؟
- ما هي المجالات والميادين التي تحدّث القرآن الكريم عن إصلاحها؟
- هل يبقَى الفسادُ السببَ الرئيسَ للقيام بالإصلاح؟.
- هل يُمكنُ أن تُعالج قضايا الفساد في وقتنا الحالي بالرجوع إلى كتاب الله؟

### الدراسات السابقة:

ما من دراسة إلا وتُستندُ في بحثها إلى محاولات سبق وأن خاضَ فيها من سبق، وما من باحث إلا ويبدلُ جهده في البحث عن مضامين موضوعه في ثنايا الدراسات السابقة حتى ينطلق منها للاستزادة في البحث وتحديد الأفكار وتقديم الحلول، وفي هذا الصدد ينبغي أن نُنوّه أنّ من باب الأمانة، الإشارة إلى أن زعمَ الإحاطة بالكتابات السابقة يبقَى أمراً صعباً إن لم يكن مستحيلاً.

وبالنظر إلى أهمية موضوع الإصلاح في الحياة فإننا نلاحظُ أنّ قد استلهم فكرَ المفكرين والباحثين في الماضي والحاضر وسيبقى مستمراً، استمرار الحاجة إلى العيش الهنيء والحياة الكريمة.

فكان أن توجّهت الكتابة فيه بأشكال وألوان متنوعة، في الفكر والدعوة، والاقتصاد والسياسة وسائر العلوم الأخرى كالفقه مثلاً، والذي تمحورت مواضيعه في مسائل الإصلاح بين الناس، وهو ما يُعرف عندهم بمصطلح "الصلح" وكذلك الشأن في علوم الحديث التي أفرد لها أصحابها في صحاحهم وسننهم ومؤلفاتهم أبواباً خاصة، فنجد على سبيل المثال لا الحصر كتاب الصلح في صحيح البخاري وباباً في إصلاح ذات البين عند سنن أبي داود.

أما الدراسات التي تخصصت في الفكر والدعوة باعتبار أن الإصلاح ركيزة لا غنى عنها حين تتحرك الأفكار والتي تُحرّك بدورها الأقلام، فإنها تناولته من خلال بحوث في جزئيات مختلفة للحياة، فإن كانت في السياسة فالإصلاح سياسي، وإن كانت في علم الاجتماع فالإصلاح اجتماعي، وهكذا يتلون الإصلاح بلون التخصص الذي يقتضي الانطلاق منه والعودة إليه، دون نسيان الإصلاح في ميدان الفكر الإسلامي والدعوي، هذا الأخير الذي له علاقة تقترب كثيراً من مجال الدراسة التي نحن في صدد البحث فيها والتي تركزت في معظمها حول زعماء الإصلاح ومناهجهم الإصلاحية، سواء كان ذلك في شكل بحوث خاصة بالموضوع أو بشكل جزئي كمبحث من المباحث التي يستعان بها عند الدراسة نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده للمؤلف: محمد عمارة، دار الشروق: بيروت - لبنان، ط1: 1414هـ / 1993م.

- مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني و محمد عبده للمؤلف، محمد طهاري، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط2: 1992 م.

أما فيما يخص الدراسات الأكاديمية و التي لها علاقة بموضوع الدراسة، وبعد بحث جاد ومتواضع في آن واحد في دليل الرسائل الجامعية ومؤلفات التفسير الموضوعي فقد تم العثور على دراستين تصب في هذا الباب:

➤ الدراسة الأولى: مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم وآليات تطبيقه من خلال السنة النبوية، لنيل شهادة ماجستير، تخصص أصول الدين بجامعة الجزائر كلية العلوم الإسلامية تقدم بها الطالب: حسن محمد حسين المعلمي سنة 2006، تناول فيها الإصلاح من خلال الآيات القرآنية وتفسيرها والأحاديث النبوية وكتب الشروح غير أن ما يلاحظ على هذا البحث أنه ركز على نوع من أنواع الإصلاح، تعلق الأمر بالإصلاح بين الناس "الصلح".

➤ الدراسة الثانية: منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع - دراسة موضوعية - للباحث: محمد السيد يوسف، مدرس بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات القرآنية،

تناول من خلالها الكيفية التي أصلح بها حامل الرسالة الخاتمة محمد صلى الله عليه وسلم المجتمع بعد الفساد الذي كان موجوداً آنذاك متعرضاً للفساد وأسبابه مبرزاً خصائص المنهج القرآني ووسائله في الإصلاح.

و الجدير بالذكر أنه مع وجود هذه الدراسات المستقلة لهذا الموضوع يبقى هذا الأخير في حاجة إلى بحث وتحليل يكون للقرآن الكريم القول الفصل فيه من خلال دراسة موضوعية، تشرّفتُ في البحث فيها، قصد محاولة الوصول إلى نظرة شاملة من شأنها توضيح الرؤى و تلمس بعض المعالم التي من شأنها التقليل من حجم الفساد الذي استشرى في العالم بصفة عامة والإسلامي بصفة خاصة .

ومن هنا تبرز أهمية الدراسة، نظراً لارتباط الموضوع بالواقع، ومسيب الحاجة إلى توضيح أمور في كثير من المسائل التي نعيشها.

### منهج البحث:

تم إتباع المنهج التحليلي في إنجاز هذا البحث، حيث تم السير فيه ابتداءً بتتبع لفظ الإصلاح في الآيات الكريمة، ثم إردافها بمحاولة في البحث عن مدلولاتها ومعانيها من خلال ما طرّحته كتب التفسير وآراء أصحابها أولاً باعتبارها المصدر الأساسي في هذا النوع من الدراسة، ثم الاستئناس ببقية المراجع التي لها علاقة بالموضوع، بالإضافة إلى توظيف المنهج الوصفي في الفصل الأول الذي اشتمل على مجموعة من التعريفات التي من شأنها تحديد حدود المصطلحات والألفاظ، والتي يعتمد عليها في بناء التصور العام قبل إصدار الحكم عليها.

كما يُمكن تلخيص الكتابة في البحث على النحو الآتي:

1- الاعتماد على أمهات المصادر والمراجع الحديثة في تفسير آيات القرآن، ومحاولة الجمع بين القديم والجديد، غير أن ما تجدر الإشارة إليه أنه تم الاقتصار في ذكر أسماء كتب التفسير على الاسم الذي اشتهرت به فمثلاً: أقتصر على اسم " المنار " بدل " تفسير القرآن الحكيم "، و " التفسير الكبير " بدل " مفاتيح الغيب " وهكذا مع بقية المؤلفات التي اشتهرت بأسماء معينة.

2- الالتزام بعزو الآيات القرآنية إلى سورها، وذكر رقم الآية ثم السورة في الحاشية.

3- ترقيم الآيات القرآنية وضبط حروفها.

- 4- ذكرُ المعلومات كاملةً عن المصدر أو المرجع الذي ذكر في الحاشية لأول ورود له في البحث من حيث: (اسم المؤلف، واسم الكاتب، عدد الطبعات، سنة الطبع ومكانها، الجزء، الصفحة) إن أمكن ذلك.
- 5- تخريجُ الأحاديث النبوية، وعزوها إلى مصدرها. مع الاقتصار على ذكر تخريجها من الصحيحين دون غيرها إن ثبت ذلك، فإن لم يُوجد يتم تخريجه من كتب السنة الصحاح المشهورة.
- 6- الترجمة لبعض المفسرين الذين كثر تداول أسمائهم في الدراسة، بالإضافة إلى ترجمة الأعلام الذين تم ذكرهم من خلال الاستشهاد بأقوالهم وآرائهم.
- 7- الحرصُ على بيان الأثر العلمي لأكثر المباحث ما كان إلى ذلك سبيل.
- 8- وضعُ خاتمة تبرز أهم النقاط المطروحة في البحث و ملخص يشمل أهم النتائج المتوصل إليها.
- 9- وضعُ فهرسة علمية تشمل الآيات والأحاديث والآثار والأعلام والمصادر والمراجع المعتمدة.

### الصعوبات :

- ما من عمل يُقدّم عليه الإنسان إلا وتواجهه صعوبات حمة ولاسيما كتابة البحوث الجامعية الأكاديمية هذه الأخيرة التي قد تُعيقه من التقدّم في العمل أو من التحصيل المثمر والجاد نذكر منها:
- 1/ قلة الدراسات الموضوعية في التفسير الموضوعي وبالتالي كان من الضروري بذلُ جهدٍ في البحث وتتبّع المسائل المشتتة والمبعثرة في كتب التفسير أولاً ونسبة كل قول إلى صاحبه حفاظاً على الأمانة العلمية من جهة، ومن جهة أخرى تتبّعه واستقصاء مسائله في تخصصات و دراسات مختلفة كعلم السياسة والاقتصاد الاجتماع وغيرها من العلوم .
  - 2/ بالإضافة إلى كثرة الأفكار وتنوع الآراء التي تناولت سبيلَ إصلاح واقع الأمة الإسلامية والعربية ، هذا الأخير الذي أفرزهُ التنوعُ البشري باستطالاته الفكرية والبيئية والثقافية مما صعب الوصول إلى نتائج دقيقة فيما يخص إصلاح الواقع.
  - 3/ دونَ أن ننسى الصعوبة التي يشترك فيها كل من سارَ على درب البحث والتقصي والتي تتعلّق بالتعب والعناء الذي يلحقُ جرّاءَ صعوبة الحصول على المصادر والمراجع سواءً بسبب نظام المكتبات في جامعاتنا، أو ندرة الكتب في حد ذاتها.

### خطة البحث:

أمّا عن خطة البحث و هيكله، فسعيًا لأن يكونَ البحثُ شاملاً ومُلمًا بجزئيات الموضوع ومحاولةً للإجابة عن الإشكالات المطروحة، وبالتالي الوصول إلى الفروض السابقة، فقد تم تقسيم البحث إلى : مقدمةٍ وثلاثة فصول، لينتهيَ البحثُ بخاتمةٍ و ملخصٍ اشتمل على أهم ما تم التوصلُ إليه من نتائج في عملية البحث. المقدمة: تم عرض فيها موضوعَ البحث وأهميته وأسبابَ اختياره والمنهجَ العلمي المتبع وبعض الصعوبات التي واجهتها أثناء البحث بالإضافة إلى هيكل بحث:

الفصول : وهيكلها على الشكل الآتي:

### 1- الفصل الأول: تعريف الإصلاح ومكانته في القرآن الكريم

#### 1-1 المبحث الأول: تعريف الإصلاح

1-1-1 المطلب الأول: تعريف الإصلاح لغة.

2-1-1 المطلب الثاني: تعريف الإصلاح شرعا.

#### 2-1 المبحث الثاني: علاقة الإصلاح بألفاظ أخرى.

1-2-1 المطلب الأول: علاقة الإصلاح بالصالح.

2-2-1 المطلب الثاني: علاقة الإصلاح بالفساد.

3-2-1 المطلب الثالث: علاقة الإصلاح بالتغيير والتجديد.

#### 1- 3 المبحث الثالث: الآيات الدالة على الإصلاح (دراسة كمية)

#### 1- 4 المبحث الرابع: مكانة الإصلاح في القرآن (دراسة كيفية).

1\_4\_1 المطلب الأول: الإصلاح الإلهي.

• إصلاح الله الأرض.

• إصلاح الله الإنسان.

1\_ 4\_ 2 المطلب الثاني: الإصلاح البشري.

## 2- الفصل الثاني: إصلاح الانسان من خلال السياق القرآني

### 2-1 المبحث الأول: إصلاح ذات البين (الصلح).

1-1-2 1 المطلب الأول: ماهية الإصلاح ومشروعيته.

1-1-2 2 المطلب الثاني: مجالات الإصلاح.

- الإصلاح بين الإخوة.
- الإصلاح بين الزوجين .
- الإصلاح بين الورثة .
- الإصلاح إلى اليتامى.

### 2-2 المبحث الثاني: الإصلاح العام للحياة ( المادي والمعنوي ) .

1-2-2 1 المطلب الأول: الإصلاح المعنوي.

- إصلاح الذات بعد الإفساد.
- إصلاح الآخرين (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

2-2-2 2 المطلب الثاني: الإصلاح المادي (البيئة و المحيط).

2-2-2 3 المطلب الثالث: خصائص منهج الإصلاح القرآن في وصفات المصلحين.

### 2-3 المبحث الثالث: أحكام متعلقة بالإصلاح.

1-3-2 1 المطلب الأول: الإصلاح من أسباب إبعاد الهلاك عن القوم.

2-3-2 2 المطلب الثاني: الاستطاعة و الإرادة في الإصلاح.

2-3-2 3 المطلب الثالث: علاقة الإصلاح بفقهاء الأولويات وفقه الواقع .

- علاقة الإصلاح بفقهاء الأولويات.

- علاقة الإصلاح بفقهاء الواقع

2-3-2 4 المطلب الرابع: الأبعاد المقاصدية للإصلاح.

2-3-2 5 المطلب الخامس: من ثمار الإصلاح.

### 3 - الفصل الثالث: الإصلاح بين قصص الأنبياء والواقع.

#### 1-3-1 المبحث الأول: الإصلاح في قصص الأنبياء (من خلال نماذج).

1-1-3-1 المطلب الأول: الإصلاح العقدي (إبراهيم عليه السلام نموذجاً).

1-1-3-2 المطلب الثاني: الإصلاح السياسي ( موسى عليه السلام نموذجاً).

1-1-3-3 المطلب الثالث: الإصلاح الاقتصادي ( شعيب عليه السلام نموذجاً).

1-1-3-4 المطلب الرابع: الإصلاح الأخلاقي ( لوط عليه السلام نموذجاً).

1-1-3-5 المطلب الخامس: الإصلاح الشامل (محمد صلى الله عليه وسلم نموذجاً).

#### 3-2 المبحث الثاني: إصلاح واقع الأمة الإسلامية.

1-2-3-1 المطلب الأول: قراءة في الواقع ( مظاهر ضعف المسلمين وأسبابه).

1-2-3-2 المطلب الثاني: اجتهادات في الإصلاح.

1-2-3-3 المطلب الثالث: السبيل لإصلاح الواقع (حوصلة أولية).

- خاتمة.

- ملخص البحث باللغتين العربية و الإنجليزية.

الفصل الأول: تعريف الإصلاح ومكانته في القرآن الكريم

تمهيد

المبحث الأول: تعريف الإصلاح.

المبحث الثاني: علاقة الإصلاح بألفاظ أخرى.

المبحث الثالث: الآيات الدالة على الإصلاح.

المبحث الرابع: مكانة الإصلاح في القرآن.



المبحث الأول: تعريف الإصلاح.

المطلب الأول: تعريف الإصلاح لــــغة.

المطلب الثاني: تعريف الإصلاح شرعا.

## المبحث الأول تعريف الإصلاح

تمهيد:

إنَّ ضبط حدود الألفاظ بالبحث عن معانيها ومدلولاتها من مظانِّها، من أهمِّ المرتكزات التي ينبغي التركيز عليها عند الانطلاق في أيِّ دراسة علمية؛ إنَّه إطار يُمكنُ الباحثَ من تشكيل تصوُّرٍ عامٍّ ورؤيةٍ واضحةٍ للأفكار التي يطرحها، فترتسمُ لديه الخطوطُ العريضةُ لموضوع الدراسة، والتي من شأنها أن تضبطه من جهة، وتُساعدُه على البقاء متصلاً بموضوعه وفكرته الأساسيَّة من جهة أخرى، رغم تشعبها وتفرُّعها.

وإذا تأكد ذلك في سائر الدراسات العلمية الأكاديمية، فإنَّ ضرورتها تكون أوجبَ وألزمَ مع الألفاظ والمصطلحات القرآنية، حتى يتسنى تقديم هذا الكتاب العظيم على بينة من الأمر، ووضوح لا يشوبه غموضٌ أو تأويلٌ يشوِّه قداسته وعظمته.

وبناءً على ذلك فقد تمَّ تسليط الضوء في الفصل الأوَّل على مجموعة من الألفاظ، يأتي في مقدِّمتها لفظة "الإصلاح" الذي يُشكِّلُ المحورَ الرئيسيَّ في البحث، فتمَّ توضيح مدلوله من جانبين:

1/ المعنى اللغوي: من مظانه في معاجم اللغة.

2/ المعنى الاصطلاحي: وتمَّ الاعتماد فيه على كتب التفاسير، باعتبارها أهمَّ المصادر التي ينبغي الرجوع إليها وإلى آراء أصحابها إذا تعلق الأمر بكتاب الله تعالى.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ التوقُّفَ عند بعض الألفاظ التي لها علاقة بالإصلاح، كالفساد والصَّلاح والتَّغيير والتَّجديد أمر ضروري، سواء تلك التي ورد ذكرها في القرآن بلفظ صريح أو التي وردت بأحد مشتقاتها. كما تمَّ إرفاق ذلك بإحصاءٍ للفظ "الإصلاح" في القرآن الكريم، ومحاولة قراءة النتائج، هذه الأخيرة التي سمحت برسم خريطة الإصلاح في القرآن الكريم.

## المطلب الأول: تعريف الإصلاح لغة

جاء في لسان العرب: «مادة [ إصلاح ] مشتقة من الفعل أصلح، صلّح، صلح، وتدل على تغيير في حالة الفساد، أي إزالة الفساد عن الشيء، ويقال أيضا: هذا يصلح لك أي يوافقك ويحسن بك، و يقال أيضا: صالح لكذا أي فيه أهلية للقيام به. وبصفة عامة الصلاح ضد الفساد»<sup>(1)</sup>.

وفي معجم مقاييس اللغة: «استصلح الشيء ضد استفسد، والصلاحية الحالة التي يكون بها الشيء صالحا، والمصلح اسم فاعل، والمصلحة ما يترتب على الفعل ويعتد على الصلاح، ومنه يسمى ما يتعاطاه الإنسان من الأعمال الباعثة على نفعه أو نفع قومه بالمصلحة»<sup>(2)</sup>.

وورد في مختار الصحاح، «أصلح: أعاد شيئا إلى حالة حسنة وأزال ما فيه من فساد أو عطب أو تلف ومنه أصلح السيارة والثوب والساعة»<sup>(3)</sup>.

وفي المنجد في اللغة العربية: «الإصلاحي هو الذي تكون غايته الإصلاح»<sup>(4)</sup>. وفي المصباح المنير، الإصلاح هو الإتيان بالصلاح، فقال: «أصلح، أتى بالصلاح وهو الخير والصواب، وأصلح بينهم بمعنى وفاق. وتصلح القوم وإصلاح القوم هي خلاف تخصصوا واختصموا»<sup>(5)</sup>، لقوله تعالى: ﴿...فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ...﴾<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة "صلح" دار الجيل: بيروت- لبنان، ط1: 1408هـ/1988م، المجلد3 ص462

<sup>2</sup> ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل: بيروت- لبنان، ط1: 1411هـ/ 1991م المجلد3 ص303.

<sup>3</sup> الرازي: مختار الصحاح، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ط1: 1410هـ/ 1990م، ص157

<sup>4</sup> لويس معلوف: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق: بيروت- لبنان، ط1: 2000م، ص848.

<sup>5</sup> الفيومي: المصباح المنير، المكتبة العصرية: صيدا- بيروت، لبنان، ط: 1418هـ/1997م، ص132

<sup>6</sup> الآية 9 من سورة الحجرات.

والملاحظ في تعريف صاحب المصباح المنير أنه قد وقف على ملمح مهم، أشار من خلاله إلى أن المقصود من العمل الإصلاحي، الإتيان بالخير والصواب، فيتحقق بذلك الخير ويُمحى الشر. تمثلاً لقول الحقّ تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿...وَالصُّلْحُ خَيْرٌ...﴾ (1).

و ورد في المعجم الوسيط: « أصلح في عمله أو أمره: أتى بما هو صالح نافع، وأصلح في الشيء أزال فساده، وأصلح بينهما أو ذات بينهما أو ما بينهما: أزال ما بينهما من عداوة وشقاق» (2).

وبالنظر إلى ما سبق ذكره في شأن الإصلاح من الناحية اللغوية فإنَّ حاصل ما تم عرضه يلتقي في معنى واحدٍ تقريباً وهو أنَّ الإصلاحَ يعني إزالة الفساد سواء ما يلحق الأعمال أو الأشياء أو العلاقات حسب ما تم تفصيله في المعجم الوسيط .

<sup>1</sup> الآية 128 من سورة النساء.

<sup>2</sup> مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية: اسطنبول - تركيا، دت، ج1 ص 520

## المطلب الثاني: تعريف الإصلاح شرعا

وردت مادة "أصلح" في القرآن الكريم في مواضع عدّة و بصيغ مختلفة، فذكر لها العلماء في كتبهم تعريفات، وذلك حسب المقام الذي ذكرت فيه، فنجد منها:

- ما جاء في روح المعاني أنّ الإصلاح هو إصلاح العمل أو الدخول في الصّلاح، وذكر أنّ بعضهم فسّره على أنّه الاستقامة على التّوبة، ولعلّه مندرجٌ في التّوبة ومكمل لها (1).

- وذكر الإمام القرطبي (2) أنّ «الإصلاح هو فعل الصّلاح، ويكون إصلاح الدنيا بالعدل والآخرة بالعبادة» (3)، و به قال صاحب تفسير التّكت والعيون (4).

- فيما اختار صاحب التفسير الكبير عبارة «الإقدام على الحسن» (5) كتعريف للإصلاح.

- وذكر صاحب تفسير المنار: «الإصلاح هو إتباع ذلك العمل السيئ التأثير على النفس عملاً يُضادّه، ويذهبُ بأثره من قلبه حتّى يعودَ إلى النفس زكاؤها وطهارتها وتصير كما كانت من قبل أهلاً لنظر الرّب... ويكونُ بفعل فاعل، وهو إمّا الخالق الحكيم وحده، وإمّا من سخّرهم للإصلاح، من الأنبياء والعلماء والحكماء، الذين يأمرُونَ بالقسط، والحكّام العادلين الذين يُقيّمون القسط، وغيرهم من العاملين الذين ينفعون الناس في دينهم ودنياهم» (6).

- كما جاء في مجالس التذكير أنّ: «الإصلاح هو إرجاعُ الشّيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من فساد» (7)

<sup>1</sup> الآلوسي: روح المعاني، دار الفكر: بيروت - لبنان، ط1: 1414هـ / 1994م، المجلد8 ج 14 ص368.

<sup>2</sup> هو الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الحزرجي الأندلسي القرطبي من كبار المفسرين، كان فقيهاً و مفسراً و محدثاً من كتبه: الجامع لأحكام القرآن، التذكار في أفضل الأذكار، توفي سنة (671هـ - 1273م)، ينظر شذرات الذهب: عبد الحي بن العماد الحنبلي المجلد3 ج5 ص335. دار إحياء التراث العربي: بيروت - لبنان، دت.

<sup>3</sup> القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط5: 1417 - 1996م، المجلد5 ج 9 ص60.

<sup>4</sup> الماوردي: التكت والعيون، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان ومؤسسة الكتب الثقافية: بيروت - لبنان، دت. المجلد2 ج3 ص497.

<sup>5</sup> فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط1: 1411هـ / 1990م، المجلد 6 ج 11 ص70.

<sup>6</sup> محمد رشيد رضا: المنار، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط1: 1420 هـ / 1999 م، ج 7 ص450.

<sup>7</sup> عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط 1: 1416 هـ / 1995 م، ص73.

- وذكر محمد الطاهر بن عاشور<sup>(1)</sup> أن « الإصلاح جَعَلَ الشَّيْءَ صَالِحاً، وهو موضوع للقدر المشترك بين إيجاد الشَّيْءِ صَالِحاً وبين جعل الفاسد صالحاً »<sup>(2)</sup>.

- وذكر الإمام محمد متولي الشعراوي<sup>(3)</sup> في تفسيره : « أنَّ "أصلح" أمر يستلزم أن يبقَى الصالحُ على صلاحه، فلا يفسد، وإن شاء أن يزيد فيه صلاحاً فليفعَل... فالإصلاح الذي يطلبه اللهُ منا أن نَسْتَدِيمَهُ أو نُرْقِيهِ إِنْما يَتَأْتِي بإيجاد مقومات الحياة على وجهٍ جميلٍ، كالماء والقوت... كُلُّ ذلك سَخَرَهُ اللهُ لك، وهذا إصلاحٌ في الأرض، لكن هل هذه كل المقومات الأساسية؟ لا، لأنَّه إن وجدت كل هذه المقومات ثم وجد الغضب والسرقه... فسيفسد كل شيء »<sup>(4)</sup>

- ويقترب من هذا المعنى قول يوسف القرضاوي<sup>(5)</sup> حين قال: « إنَّ الإصلاح الحقيقيَّ أن نَتَفَهَّمَ جيداً ما يَجِبُ أن يَتَطوَّر من شؤون الحياة، فنَبْذُلَ جُهودنا لتطويره بمنطق الحكماء، لا الأغرار المتقدمين، كما تعرف ما يجب أن يبقى ثابتاً راسياً، من القيم والأفكار والعقائد والأخلاق والآداب والشرائع التي لا تزول »<sup>(6)</sup>

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور عالم وفقه تونسي ولد سنة 1879م، تعلم بجامع الزيتونة، ثم أصبح من كبار أساتذته، كان رائداً من رواد الإصلاح والتجديد، في ساهم في تنشيط الحركة الفكرية واثراء المكتبة العربية، من مؤلفاته التحرير والتنوير، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام توفي سنة 1972، يرجع إلى مقاصد الشريعة عند الطاهر بن عاشور، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، ط2: 1421هـ / 2001. ص 13 وما بعدها

<sup>2</sup> محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، دار سحنون - تونس، ط: 1997، المجلد 1 ج 2 ص 154.

<sup>3</sup> ولد الشيخ محمد متولي الشعراوي في 15 أبريل 1911م بقرية دقادوس بمصر، حفظ القرآن في قرينته، عمل في التدريس وتولى مناصب عديدة، منها رئيس بعثة الأزهر في الجزائر، ووزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر، وعضواً بمجمع البحوث الإسلامية، من مؤلفاته تفسير القرآن العظيم أنظر محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، المراجعة في مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة المجلد 1 ص 13.

<sup>4</sup> محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، أخبار اليوم: قطاع الثقافة - مصر، د ت المجلد 7، ص 433 - 4237.

<sup>5</sup> الشيخ يوسف القرضاوي أحد الأعلام البارزين في العصر الحاضر، ولد في مصر سنة 1926م، يتيماً تحصل سنة 1958 على دبلوم بمعهد الأدب درس العلوم الإسلامية بجامع الأزهر لم يقتصر نشاطه في خدمة الإسلام على جانب واحد بل اتسع نشاطه وتنوعت جوانبه وترك في كل مجال بصمات سواء في مجال التأليف أو الدعوة والتوجيه أو العمل الاجتماعي أو ترشيد الصحوة الإسلامية ويشغل الآن منصب رئيس رابطة العالم الإسلامي من مؤلفاته، سلسلة الصحوة الإسلامية وحتمية الحل الإسلامي، تناول فيهما فكرة الإصلاح والتغيير والأحكام المتعلقة بذلك بالإضافة إلى مجموعة من الكتابات فقه الزكاة وفقه الأولويات والصبر في القرآن وغيرها من المراجع، يرجع إلى موقع القرضاوي، الصفحة الرئيسية بتاريخ 24 نوفمبر 2004.

<sup>6</sup> يوسف القرضاوي: الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط: 10 (1419 / 1999)، ص 257.

وبعد هذا العرض لبعض ما جاء في تعريفات الإصلاح، يتبين أنها اتفقت ابتداءً على أن الإصلاحَ يعني فعلَ الصلاح والخير، الذي يتحققُ به حُصولُ المنفعة المادية والمعنوية في مختلف شؤون الحياة، سواء تعلق الأمر بالدنيا أو الآخرة. غير أن منهم مَنْ خَصَّصَ وقوع فعل الإصلاح بعد حصول الفساد، بمعنى أن يكونَ الإصلاحُ تالياً وتابِعاً لحركة الفساد، وهو ما يشهدُ به تتبع موضع لفظ الإصلاح في مجمل الآيات القرآنية التي سُبقت بنهي عن نوع من أنواع الفساد. بينما نجدُ من وسَّعَ هذا الفعل ليشمل دائرةً أوسع، وفضاءً رحباً، فيكونُ الإصلاحُ أولاً لما تعرض لعملية فساد أو إفساد، ثم السعي لإيجاد كل ما فيه خير وصلاح، سواء بتحسين الحسن، أو إيجاد من العدم، ويبدو أن أصحابَ هذا الرأي قد اعتمدوا في ذلك على ورود لفظ الإصلاح دونما إشارة لفساد معين يوحى باتساع المعنى. الأمر الذي يتضح من خلال تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿..... ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾<sup>(2)</sup>، فقد وردت هذه الآية الكريمة في سياق عرض الصلاح الذي خلق به الله الأرض، بأن أشارت إلى إصلاح شامل للأرض تَوَلَّاهُ الحقُّ تعالى وفي المقابل لم تُخصَّصْ لونهاً من ألوان النهي عن الفساد، فكان أن انصرفَ المعنى في هذا المقام إلى وجوب محاكاة الإصلاح الإلهي بإصلاح بشري، يُسجِّلُ فيه الإنسانُ بفكره وعقله بصمته الإصلاحية التي تقتضي منه المحافظة على هذا الصلاح الإلهي إما بمنع أسباب الفساد التي دلَّ عليها النهي في جميع الآيات التي دعت إلى الإصلاح. أو بتشغيل طاقة العقل والتفكير، على اعتبار أنها من أهم الأسباب التي تسمح بالبحث عن ملامح الصلاح أو تحسينه. وهو الأمر الذي أشار إليه بعض المفسرين والعلماء المتأخرين كابن عاشور والشعراوي والقرضاوي.

فالإصلاح شرعاً يقع بمعنى فعل الصلاح والخير سواء بإزالة فساد أو تحسين صالح أو إيجاد صالح.

<sup>2</sup> من الآية 56 من سورة الأعراف.

المبحث الثاني: علاقة الإصلاح بألفاظ أخرى  
المطلب الأول: علاقة الإصلاح بالصالح.  
المطلب الثاني: علاقة الإصلاح بالفساد.  
المطلب الثالث: علاقة الإصلاح بالتغيير والتجديد.



## المبحث الثاني

### علاقة الإصلاح بألفاظ أخرى

أولا / علاقة الإصلاح بالصّلاح:

إن تحديد العلاقة بين لفظي الإصلاح والصّلاح، يتطلب أولا الوقوف على مدلولهما اللغوي والاصطلاحي هذا العمل الذي يسمح بتشكيل تصور واضح لكل لفظ، و من ثمة التوصل إلى حقيقة العلاقة بينهما.

بداية وقفنا فيما سبق على أن الإصلاح خلاف الفساد من الناحية اللغوية، و أنه اصطلاحا يعني فعل الصّلاح والخير سواء بإزالة فساد أو تحسين صالح أو إيجاد صالح.

وبالرجوع إلى بعض معاجم اللغة نجد أن الصّلاح لغة:

- «أصله من صلح، يصلح، صلاحاً، فهو صالحٌ، وهذا الأصل [ ص، ل، ح ] يدل على خلاف الفساد، يُقال صلح الشيء، يصلح صلاحاً، ويُقال صلح بفتح اللام، ، وقال بعض أهل العلم أن مكة تُسمى صلاحاً» (1).

- وجاء في المفردات أن الصّلاح: ضد الفساد وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال وقُوبل في القرآن الكريم تارةً بالفساد وتارةً بالسيئة مصداقا لقوله تعالى: ﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ (2)، وقال أيضا: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ (3)، ولا يُستعمل الصّلاح في النعوت، فلا يُقال: قولٌ صالحٌ، وإنما يُقال: قولٌ صالحٌ (4).

- و في المعجم الوسيط: الصّلاح هو الاستقامة والسلامة من العيب والصّالح المستقيم المؤدي لواجباته (5).

أما شرعا:

<sup>1</sup> الجرجاني: التعريفات، دار الكتاب المصري: القاهرة ودار الكتاب اللبناني، ط1 : 1411 هـ/ 1991م، ص 143.

<sup>2</sup> من الآية 102 من سورة التوبة.

<sup>3</sup> الآية 56 من سورة الأعراف.

<sup>4</sup> الراغب الأصفهاني في المفردات ص 289 .

<sup>5</sup> مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، المكتبة الاسلامية: تركيا ج 1 ص 520

- ذكر صاحب الكليات: « أنَّ الصَّلاح هو سلوك طريق الهدى، وقيل هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل، والصَّالح هو المستقيم الحال في نفسه، وقال بعضهم هو القائم بما عليه من حقوق الله وحقوق العباد، والكمال فيه منتهى درجات المؤمنين والأنبياء والمرسلين» (1).

فيتضح من خلال هذا التعريف أنَّ الصَّالح هو ذلك الذي يؤدي ما عليه من واجبات لكل صاحب حق عليه:

- فهو إما في حالة ينفرد فيها لربه، فيتوجه بكليته إلى خالقه بالفكر والاعتبار ودوام المراقبة والإقبال فيكون نقاء توحيده وسلامة اعتقاده بربه، وعبادته له بإخلاص، أهم ملامح صدق اتصاله بخالقه.

- وإما في حالة يُعالج فيها شؤون الحياة ضمن شبكة علاقات تربطه بالآخرين، تبرز فيها معالم الصَّلاح من حسن تعامل وتصرف مع الناس، فلا يصدر منه إلا كل خير، فتراه يُحاول جاهداً تلمس الخير والبر متحريراً للأسباب الباعثة عليه، مهتدياً في سبيله بأصناف البر والصَّلاح المبتوثة في كتاب الله العزيز في أكثر من موضع منها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ..﴾ (2)

وبالنظر إلى ما سبق يمكننا التأكيد على نقطتين مهمتين:

1- أنَّ الإصلاح والصَّلاح يقعان بمعنى واحد تقريباً وهو إزالة الفساد بغض النظر عن يقع فيه الفعل، وأتاهما يلتقيان في معاني الخير والشر ويحققان للإنسان مرضاة الله تعالى، كما أنَّهما مفتاحان من مفاتيح السَّعادة وأنَّ تعاونهما يحقق غاية الوجود الإنساني، وهو المعنى الذي

أشار إليه الحق سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (1)، فكان الامتثال لأمر الصَّلاح والإصلاح من صميم العبودية للواحد القهار .

2- أن هناك فرقاً واضحاً في وظيفة المصلح والصَّالح، هذا الفرق الذي يمكن تبيّنه من خلال ما يلي:

<sup>1</sup> أبو البقاء الكفوي: الكليات، مؤسسة الرسالة: بيروت- لبنان، ط2: 1419 / 1998 ص561.

<sup>2</sup> الآية 177 من سورة البقرة .

<sup>1</sup> الآية 56 من سورة الذاريات.

الفعل في الإصلاح هو فعل متعدّد، بينما الفعل في الصلاح هو فعل لازم ، فيقال صلح فلان أي أنّه تحققت فيه الاستقامة لشخصه و ذاته، ويقال أصلح فلان فلانا، بمعنى أنه أرشده وأخذ بيده إلى طريق الصلاح، فيتضح بذلك أنّ عمل المصلح يتعدى صلاح نفسه إلى غيره، بمعنى أنّ في الإصلاح معنى زائداً عن الصلاح، وهو ما يحصل فيه النفع المتعدي بخلاف الصلاح الذي قد لا يتعدى النفع الشخصي الذاتي، الذي يعتبر الإصلاح ثمرة من ثماره.

وفي تبيان المهمة المنوطة بالمصلح يقول أبو حامد الغزالي: «حقّ على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض، وترك المحرمات، ثم يعلم ذلك أهل بيته ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ثم إلى أهل محلته ثم إلى أهل بلده، ثم إلى أهل السواد المكثف ببلده، ثم إلى أهل البوادي وهكذا إلى أقصى العالم» (22)، وهو الأمر نفسه الذي سبق إلى تبيانه الصحابي الجليل ربي بن عامر رضي الله عنه، عندما سأله رستم قائد الفرس، ما الذي أتى بكم من الجزيرة العربية إلى هذه البلاد؟ فأجابه ربي قائلاً: لقد ابتعثنا الله لنخرج مَنْ شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام (3).

فأراد ربي بذلك أن يشرح رسالة الإسلام التي عنيت بتربيتهم على أسس الصلاح و الاستقامة، فجعلت منهم أفراد صالحين ومصلحين اجتهدوا في إصلاح أنفسهم وإقامتها على الشرع، غير أنّهم أدركوا أنّ عليهم دوراً آخر، وأنّه لا يجب الاكتفاء بصلاحهم، بل عليهم أن يمدّوا يد المساعدة لإخوانهم من حولهم، فينقلونهم من ضلال العقيدة إلى هدي الإيمان ومن ظلام المعصية إلى نور الطاعة، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، فيكونوا أقوياء بما فيه الكفاية، بحيث يستطيعون أن يرتقوا بأنفسهم ويسحبوا الآخرين معهم لهذا الرقي. وهو الأمر الذي فهمه الصالحون المصلحون من خلال ما طرحته سورة العصر في هذا الخصوص، يقول المولى تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (1)﴾.

<sup>2</sup> أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، المكتبة العصرية: صيدا - بيروت، ط3: 1419 هـ/1998م، ج 2 ص 459.

<sup>3</sup> ابن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1417 هـ/1997م، المجلد 2 ص 401.

<sup>1</sup> سورة العصر.

و في ظلال سورة العصر يقول سيد قطب (1): « لقد وَضعتُ السورةُ الكريمةُ دستوراً إسلامياً كاملاً في كلمات قصار مبيّنة أن هناك منهجاً واحداً راجحاً محدداً بشروط أربع، إيمان وعمل صالح وتواصل بالحق والصبر» (2).

و يقول الدكتور يوسف القرضاوي: « السورة بينت أنه لا يكون الإيمان والعمل الصالح سبيلاً في النجاة حتى يضم إليه التواصل بالحق والصبر، وبعبارة أخرى حتى يشتغل الناس بإصلاح غيرهم ويشيع في المجتمع معنى التناصح والدعوة، فدل ذلك أنه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه فكذلك يلزمه في غيره أمور منها: الدعاء إلى الدين والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الأمر الذي يُفضي إلى استحالة تصوّر الحياة بدون أحدهما فالإصلاح لا يقوم بغير الصّلاح» (4).

و لعل الطامة اليوم فيما يعاينه أفراد الأمة العربية والإسلامية اليوم عموماً، والشباب المتحمسين خصوصاً تلك القطيعة التي أحدثوها بين الصلاح والإصلاح، والتي تتجلى في مظهرين واضحين:

**المظهر الأول:** والذي نجد فيه صنفاً من الناس قد اتجه إلى طرق باب إصلاح الآخر، باذلين جهدهم في ذلك مستظليين بحجة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متناسين أمر أحقيّة أنفسهم التي بين جنوبيهم، والتي تتطلب هي ابتداء جهداً غير بسيط في إصلاحها واستقامتها .

**المظهر الثاني:** والذي يُنادي به صنف آخر من الناس، وَقَعَ على طرف نقيض من الصنف الأول وتلَوَّنَ بالجانب الآخر للمشكلة، فنجد أن هناك مَنْ يُؤمن بفكرة التفاني في إصلاح نفسه وتنقيتها من الرذائل و تحليتها بالفضائل والاعتكاف في المساجد، واشتغاله بالصلاة والصيام وقراءة القرآن رغم أهميتها ناسياً أو متناسياً حق الآخرين في الهداية إلى الخير.

وبالنظر للصنفين يتبين مُجانبة كل واحد منهما لحقيقة الوجود الإنساني على وجه الأرض عموماً ورسالة الإسلام خصوصاً والتي تقتضي القيام بالأمرين - الإصلاح و الصلاح - مجتمعين

<sup>1</sup> ولد سيد قطب رحمه الله تعالى بإحدى قرى أسبوط في 9 / 10 / 1906 م، بمصر - تخرج من دار العلوم سنة 1933 عاش 59 سنة، أعدم بعد محاكمته في قضية الإخوان المسلمين سنة 1966، ترك 29 مؤلفاً في الأدب والنقد والفكر الإسلامي، أهمها تفسيره " في ظلال القرآن " راجع كتاب: سيد قطب، من الميلاد إلى الاستشهاد: صلاح عبد الفتاح الخالدي: دار القلم دمشق الدار الشامية، بيروت - لبنان، ط3: 1420 هـ/1999م، ص15 و18.

<sup>2</sup> سيد قطب: في ظلال القرآن، المجلد 6 ج 30 ص 3964.

<sup>4</sup> يوسف القرضاوي: ملامح المجتمع المسلم، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط1: 1422 هـ / 2001 م، ص 67

(1) ، وهو الأمر الذي نبّه إلى خطورته الشيخ ابن باديس عندما شبّه هذا الخلل بالصّحة والمرض في الجسد فيقول: «واعتبر هذا في البدن، فإن له حالتين: حالة صحة، وحالة مرض، أمّا الأولى حالة صحته باعتدال مزاجه، فتقوم أعضاؤه بوظائفها وينهض هو بأعماله، والثانية هي حالة فساده باختلال مزاجه، فتتعطل أعضاؤه أو تضعف كلها أو بعضها عن القيام بوظائفه، ويقعد هو أو يتقل عن أعماله» (2).

وفي الأخير فإنّه من دون شك إنّ الخير يعمّ عندما يفهم المسلم رسالته كاملة غير ناقصة فيما يخص صلاح نفسه وإصلاح غيره، ففي ذلك تحقق لاكتمال فضيلة أخلاقية ذات شععين تكمل إحداهما الأخرى، فالصلاح يفيد النماء والتقدم، والإصلاح يفيد منع أسباب الفساد والتأخر» (3).

<sup>1</sup> وهبة الزحيلي: أخلاق المسلم، دار الفكر المعاصر: بيروت - لبنان، ط1: 1423 هـ / 2002 م، ص 108.

<sup>2</sup> عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير، دار الكتب العلمية: بيروت لبنان، ط1: 1416 هـ / 1995 م، ص 72 و73.

<sup>3</sup> ماجد عرسان الكيلاني: مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، مؤسسة الخليج: الدوحة - قطر، ط1: 1411 هـ / 1991 م، ص 44-45 وانظر أيضا أحمد الشرباصي: موسوعة الأخلاق في القرآن الكريم، دار الرائد العربي: ط1: 1401/1981 م، ج 4 ص 209.

ثانياً/ علاقة الإصلاح بالفساد.

ورد في لسان العرب أنّ الفساد: نَقِيضُ الصَّلاحِ (1)، قال تعالى: ﴿...يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ.....﴾ (2)

وجاء في المفردات أنّ الفساد هو خُرُوجُ الشيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً و يضاذه الصّلاح ويستعمل في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة ويقال فسد، فساداً، فسودا وأفسده غيره (3).

و بالرجوع إلى مجموعة من كتب التفاسير فإن مفهوم الفساد في القرآن الكريم يقع بمعنى معصية الله جلّ ثناؤه أو أمر بمعصيته.

- ذكر ابن جرير الطبري أن: «الإفساد في الأرض هو العمل فيها بما نهى الله جلّ ثناؤه وتضييع ما أمر الله بحفظه من الفرائض والشك في دين الله ومظاهرة أهل التكذيب بالله وكتبه ورسوله» (4).

- وجاء في جامع الأحكام القرآن: عن ابن عباس وقتادة والسّديّ أنّ: المراد بالفساد في الأرض هو إظهار معصية الله (5)، وحقيقته كما جاء في بدائع التفسير العدول عن الاستقامة إلى ضدها، وأنّ أعظم إفساد في الأرض يكون بعبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به أي إقامة معبود غيره ومطاع ومتبع غير رسول الله (6).

- وجاء في التحرير والتنوير أنّ: «الفساد أصله استحالة منفعة الشيء النافع إلى مضرة به أو بغيره، وقد يُطلق على وجود شيء ضار وإن لم يكن فيه نفع من قبل، يُقال فَسَدَ الشيءُ بعد أن كان صالحاً، ويُقالُ فاسداً إذا وجد فاسداً من أول وهلة، وكذلك يقال أفسد إذا اعتمد إلى شيء صالح فأزال صلاحه والأظهر أنّ الفساد موضوعٌ للقدر المشترك من المعنيين وليس من الوضع المشترك، فليس إطلاقه عليهما كما هنا من قبيل استعمال المشترك في معنييه، فالإفساد هو فعل ما به الفساد، والهمزة فيه للجعل والإفسادُ في الأرض منه أن: تصوير الأشياء الصالحة مضرة فأصله

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب المجلد 4 ص 1090.

<sup>2</sup> من الآية 20 من سورة يس

<sup>3</sup> الراغب الأصفهاني: المفردات، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط1: 1418 هـ / 1998 م، ص 381.

<sup>4</sup> المرجع السابق المجلد 1 ج 1 ص 160.

<sup>5</sup> القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، المجلد 1 ج 1 ص 141.

<sup>6</sup> ابن القيم الجوزية: بدائع التفسير، دار ابن الجوزي: السعودية، ط1: 1414 هـ / 1993 م ج 2 ص 234.

جعلُ منفعة الشيء مضرّة، ويدخلُ في العقائد والآراء والأخلاق والمعاملات الجارية بين الأفراد والجماعات من الناس وعموماً يدخلُ في الإنسان وعلاقته بالكون والحياة»<sup>(1)</sup>.  
وبصفة عامة فقد أشار صاحب المنار بكلمات قليلة أجمل فيها معنى الإفساد بأنّه «إزالة صلاح أو إصلاح»<sup>(2)</sup>.

وبعد استقصاء معنى الفساد من خلال كُتب المعاجم والتفاسير، فإنّه من المهم بما كان الوقوف على الأسباب الحقيقية له، رغم أنّها أخذت حَظّها الأوفر في كتب الفكر والدعوة والإصلاح، وذلك لأهميتها ولحاجتنا الماسّة لتشخيصها وتحديدّها باعتبار أنّ ما تعيشه الأرض عموماً وما يعيشه المسلمون اليوم خصوصاً من فساد، ليس عارضاً وإثمّاً هو نتيجة أسباب ومقدمات، حتى تتمكن من وضع الأيدي على مكمّن الداء لتيسير العلاج وإصلاح الحال.

و بالرجوع إلى الكتب التي تناولت هذه المسألة نجدّها قد أسالت فيضا فيها، وكل يراها من زاويته، وتجدد الإشارة أنّه في هذا في المقام قد تمّ الاقتصار على طرح هذه النقطة من خلال ما ذُكر في دراسة تحت عنوان "منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع"<sup>(3)</sup>، حيث أجمل فيها صاحب الدراسة، أسباب فساد الأرض في ثلاثة أمور رئيسة هي: الإعراض عن منهج الله، ومكايد الشيطان، ومؤامرات الأعداء.

**1 – الإعراض عن منهج الله:** وذلك أنّ الأمة الإسلامية قد زاغت عن المنهج الذي ارتضاه الله لعباده واستبدلته بمناهج وضعية بشرية هزيلة، فبدل أن تبحثَ عن ضالّتها فيه من خلال كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، راحت تستوردُ حلولاً أوردتها المهالك ولا تزال. ولا أدلّ على ذلك من حال الضعف والانحطاط والتمزق الذي نشهد آثاره اليوم.

**2 – مكايد الشيطان:** ونقصدُ بذلك الوسائل والحيل التي يتخذها إبليس وذريته لإضلال الإنسان وإفساد المجتمع، فالقرآن يحكي والتاريخ يشهدُ قصة العداوة التي شنّها إبليس على آدم وذريته، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿83﴾<sup>(1)</sup> فكان أن جنّد

<sup>1</sup> طاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، دار سحنون: تونس، ط: 1997، المجلد 1 ج 1 ص 284.

<sup>2</sup> محمد رشيد رضا في المنار ج 8 ص 464.

<sup>3</sup> محمد السيد يوسف: منهج القرآن في إصلاح المجتمع، دار السلام: القاهرة - مصر العربية، ط 1: 1422 هـ / 2002 م، ط 2:

1424 هـ / 2004 م، ص 26.

<sup>1</sup> الآيات من 79 إلى 84 من سورة ص.

لذلك كل ما من شأنه التفريق والتمزيق والتخريب والتدمير، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ووصل ما أمر الله به أن يقطع، فما من شر في الأرض ولا فساد في الوجود إلا ولهم به صلة، وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم يوصينا بالحدز منه ومن شره، فسنّ لنا وسائل تقينا شره وفساده، كالاستعاذة من شره، ودوام الذكر ولزوم الجماعة.

3 — مؤامرات الأعداء: والتي انطلقت شرارتها منذ أول لحظة أعلن فيها الإسلام عن وجوده، وبذل فيها أعداء هذا الدين قروناً طويلاً وما زالوا يبذلون جهوداً كثيرةً وضخمةً للقضاء على الدين وأهله، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(2)</sup>، وغيرها كثير فتراهم قد نوّعوا أساليب الفساد ولم يتركوا جانباً إلا وكانت لهم فيه بصمة، ابتداء بالدين والعقيدة ثم الأسرة وما فيها من أخلاق وآداب، وانتهاء بالإعلام، هذا الأخير الذي يعدّ من أخطر الأسلحة التي يركزون عليها لتنفيذ مخططاتهم لإفساد المجتمع، والملفت للانتباه أنّها لم تقف عند حد، فهي في زيادة وتطور، فأفكارهم حبالى تلد كل خبيث.

وبتمعن بسيط لمسألة الفساد في المجتمع والكون والحياة عموماً نجد أنّ الأسباب التي تم ذكرها سابقاً وغيرها لم يذكر، كلها ترجع في حقيقتها إلى الإنسان، هذا المخلوق الذي كرمه الله وجعله أشرف المخلوقات فهو أصل كل فساد أو صلاح، ولمحمد سعيد رمضان البوطي كلام يصب في هذا المعنى يقول فيه: «فما فسدت هذه الأرض يوماً ما بعادية من عوادي الطبيعة، ولا بسوء ألم بها من هياج الحيوانات والوحوش، وإثما استشرى فيها الفساد وألمّ بها البلاء، يوم تآه بنو الإنسان عن هوياتهم وواقع أحوالهم وحقيقة خصائصهم البشرية، فتألّه

الأقوياء وذلل الضعفاء، وخرج بذلك كل فريق عن حدوده الإنسانية فمزقت بذلك مما بينهم أصرّة التعاون وهاجت فيهم عوامل البغضاء ثم انتشر فيهم وباء التّهارج والقتل فتمت بذلك قصة الفساد في الأرض، وهي قصة قديمة وحديثة تتكرر بتكرار عواملها وأسبابها»<sup>(1)</sup>.

لنخلص في النهاية إلى أنّ جُلّ الأقوال السابقة، والتي تحدّثت عن مفهوم الفساد سواءً منها التي وردت في كتب اللغة والمعاجم أو التي ذكرت في كتب التفاسير، تقع بمعنى واحد وهو أنّ الفساد يعني الشر، وبذلك فهو يقع على طرفي النقيض مع الصّلاح والإصلاح، وكل جبهة يلوّح

<sup>2</sup> الآية 32 من سورة التوبة.

<sup>1</sup> محمد سعيد رمضان البوطي: منهج الحضارة الإسلامية، دار الفكر: دمشق - سوريا، دار الفكر المعاصر: بيروت - لبنان ط 3: 1421



أصحابها بالفساد والشر إلا ويظهر مَنْ يُقَوِّمُ اعوجاجها لردّها إلى الجادة، الأمر الذي يُجَلِّي ويبرز سنّة التدافع في الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وفي ذلك يقول الحق تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(2)</sup>

ثالثا / علاقة الإصلاح بالتغيير والتجديد.

تستوقفُ الباحث وهو في صدد القيام ببحثه والخوض في موضوع دراسته، أثناء جمع المادة العلمية من مظاهرها المختلفة، لتقصي المسائل المتعلقة بالبحث، وجود شبكة من المصطلحات والألفاظ التي ترتبط بموضوع بحثه سواء تعلّق الأمر بالمدلول أو الاستعمال.

وفيما يخص موضوع الإصلاح فقد تمّ تسجيل مجموعة من المصطلحات التي تشابكت معه، كان من أبرزها مصطلحي التغيير والتجديد.<sup>(1)</sup>، كما تجدر الإشارة إلى أنه قد استعمل في معاني الإصلاح ألفاظ وعبارات تعلّقت بوسائله، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ.....﴾<sup>(2)</sup>، فكان المعروف من قبيل الإصلاح، والمنكر بمثابة الفساد، وأخرى بصورة من صورته أو مظهر من مظاهره فكان منها الدعوة و الهداية، جاء في نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه النظائر أن الإصلاح يعني الهداية، فقال: « لا يهدي في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾<sup>(3)</sup>، بمعنى أنه لا يصلح عمل الزناة، باعتبار أن الخيانة المقصودة هي الزنا»<sup>(4)</sup>.

فهل الإصلاح والتجديد والتغيير ألفاظ ومصطلحات تقع بمعنى واحد؟ و بالتالي فإنّ الأمر يرفع الحرج عند استعمال لفظ مكان لفظ آخر؟، أم أنّ لكل لفظ مدلولاً خاصاً، الأمر الذي يجعل الحذر مطلوباً في الاستعمال؟

<sup>2</sup> من الآية 251 من سورة البقرة.

<sup>1</sup> على أن الوقوف على هذين المصطلحين بالرغم من وجود مفاهيم حديثة أخرى كالثورة و النهضة، سببه أن المصطلحين قرآنيين وردت ألفاظ تتقارب معها في كتاب الله، كما وجدنا لها أثراً أيضاً في السنة النبوية الشريفة في قوله صلى الله عليه و سلم: "إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد أمر هذه الأمة"<sup>1</sup> أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم برقم 3740 و قوله أيضاً: "من رأى منكم منكراً، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه و ذلك أضعف الإيمان" أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان حديث رقم: 175 ج2 ص 211

<sup>2</sup> الآية 104 من سورة آل عمران.

<sup>3</sup> الآية 52 من سورة يوسف.

<sup>4</sup> ابن الجوزي: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه النظائر، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط3: 1407هـ-1987م، ص396.

وللإجابة عن هذه الأسئلة لابد من وقفة تشمل مدلول الألفاظ ومعانيها وخصائصها من مطائنها، لأنه وكما تَمَّت الإشارةُ إليه سابقاً في التمهيّد للفصل الأول أنّ ضبطَ حُدود الألفاظ والمصطلحات مهمٌّ بما كان، فبه تبنى الأحكام الصحيحة والتصوّرات السليمة. و بناءً على ذلك ستّكون البداية بمحاولة تعريف كل لفظ على حدا من الناحية اللغوية و الاصطلاحية، ليتبع بعد ذلك بمحاولة كشف للعلاقة الموجودة بينهم وبالتالي حدود استعمال كل واحد منهم.

### 1/ الإصلاح:

من خلال ما سبق في تعريف الإصلاح تبيّن أنّ حقيقة الإصلاح تقوم على إزالة الفساد لغة، أما شرعاً فإنه يعني فعل الصلاح والخير سواء بإزالة فساد أو تحسين صالح أو إيجاد صالح.

### 2/ التغيير

- لغة :

ذَكَرَ الجرجاني في تعريفاته أن التغيير: هو انتقال الشيء من حالته إلى حالة أخرى (1).

وفي المفردات: التغيير هو تبديل شيء بغيره نحو غيّرت دابتي إذا أبدلتها بغيرها (2).

وبتمعن بسيط في هذين التعريفين يتبين أنّ التغيير يكون من وجهين: أحدهما لتغيير صورة الشيء دون ذاته والثاني تبديله بغيره، فيشمل بذلك الاتجاهات الأربع :

1/ فيكون من السيئ إلى الأحسن .

2/ ويكون من الحسن إلى السيئ.

3/ ويكون من الحسن إلى الأحسن.

4/ و يكون من السيئ إلى الأسوأ.

وهذه المعاني نجد أنّها تتفق مع ما ذكره المفسرون للآيات التي ذكر فيها لفظ التغيير، والتي وردت في أربع مواضع في كتاب الله (3).

<sup>1</sup> الجرجاني : التعريفات ص 76 .

<sup>2</sup> الراغب الأصفهاني: المفردات، ص 371 .

<sup>3</sup> محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الجيل: بيروت - لبنان، ط: 1408هـ / 1408 ص 507 و 508 .

قال تعالى : ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَ لَأَمُرُّنَّهُمْ فَلْيَكْفُرُوا أَوْ لَيُرْتَدَّنَّ مِنْهَا فَمَا يَكْفُرُ لَهَا وَلَا خَبَرٌ لَهُمْ فَاذْهَبْ يَا مُوسَىٰ﴾ (1).

وقال أيضا : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ.....﴾ (2).

وقال أيضا : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (3).

وقال أيضا : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ.....﴾ (4).

يقول محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره : «التغيير هو تبديل شيء بما يضاده، فقد يكون تبديل صورة جسم، كما يُقالُ غيّرت داري، ويكون تغيير حال وصفة، ومنه تغيير الشيب، وكأنه مشتق من الغير، وهو المخالف وتغيير النعمة إبدالها بضردها وهو النقمة وسوء الحال، أي تبديل حالة حسنة بحالة سيئة. والمراد بالتغيير في آية " لم يكن مغيرا نعمة أنعمها"، هو تغيير سببه، وهو الشكر بأن يبدلوه الكفران. أما في سورة الرعد فالتغيير هو التبديل بالمغاير» (5).

خلاصة القول أن التغيير يكون من الإيجاب إلى السلب كما يكون من السلب إلى الإيجاب بمعنى من النفع إلى الضرر والعكس صحيح.

### 3/ التجديد:

– لغة:

جاء في المعجم الوسيط : «أن أصل الجدّ في اللغة القطع، يُقال جدت الشيء، فهو مجدودٌ وجديدٌ أي مقطوع، ومن هذا قولهم ثوب جديد أي مقطوع كأن ناسجه قطعاه الآن، فيقال أجددُ

<sup>1</sup> من الآية 119 من سورة النساء

<sup>2</sup> من الآية 11 من سورة الرعد

<sup>3</sup> من الآية 53 من سورة الأنفال

<sup>4</sup> الآية 15 من سورة محمد.

<sup>5</sup> محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير المجلد 6 ج 10 ص 45

ثوباً: لبس ثوباً جديداً. وجدَّ النخل: قطع ثمره. وجدَّ الشيء، بكسر الجيم: حدث بعد أن لم يكن. وجدَّ الشيء: صار جديداً، وأيضا استحدثه وصيَّره جديداً، فهو خلاف قديم»<sup>(1)</sup>

يُفهم من هذا التعريف أن معنى التجديد يقع في دائرتين:

- الأولى: أنه يكون لما هو موجود لكنه أصبح قديماً، بمعنى إعادته إلى الصورة التي وجد بها قبل أن يصير قديماً.

- الثانية: إيجاد واستحداث شيء لم يكن موجوداً من قبل.

و بالعودة إلى التراث الإسلامي من خلال الكتاب والسنة يتبين أن لفظة التجديد لم يرد لها ذكر بهذا اللفظ<sup>(2)</sup>، وإنما ذكرت كلمة جديد في ثماني مواضع<sup>(3)</sup>.

حيث ذكر ابن كثير في تفسيره لكلمة "جديد" في الآيات التي اشتملت عليها، أنه يقصد بها الإعادة من جديد بعد القدم أو العدم، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلَيْسَ لِمَبْعُوثِنَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾<sup>(4)</sup>، ذلك أن المشركين يوم القيامة يستنكرون عودتهم مرة أخرى بعدما أصابهم البلى والعدم. وهو بذلك يقارب في تفسيره لكلمة الجديد مع المعنى اللغوي<sup>(1)</sup>.

أما السنة النبوية الشريفة فقد ورد فيها اللفظ في عدة أحاديث. أشهرها حديث أبو هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"<sup>(2)</sup>.

يقول أبو الأعلى المودودي: «التجديد في حقيقته، تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية، ثم العمل على إحيائه خالصاً محضاً على قدر الإمكان، ومن هنا يكون المجدد أبعد ما يكون عن مصالحة الجاهلية ولا يكاد أن يصير على أن يرى أثراً من آثارها في أي جزء من الإسلام مهما كان

<sup>1</sup> المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية: اسطنبول - تركيا، د ت، ج 1 ص 109.

<sup>2</sup> وذلك من خلال الرجوع إلى كتب التي تعنى بإحصاء الألفاظ ككتب المعاجم المفهرسة لألفاظ أو آيات القرآن الكريم

<sup>3</sup> محمد فؤاد عبد الباقي: معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص 193 و 194.

<sup>4</sup> من الآية 49 من سورة الإسراء.

<sup>1</sup> ابن كثير: مختصر تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد علي الصابوني، دار الشهاب- الجزائر، ج 2 ص 382.

<sup>2</sup> أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة حديث رقم: 4291 المجلد 4 ص 106 و 107.

تافها»<sup>(3)</sup>، وفي موضع آخر ذكر أيضا: أن التجديد عبارة عن تطهير الإسلام من أدناس الجاهلية وجلاء ديباجته حتى يشرق كالشمس ليس دونها غمام<sup>(4)</sup>.

ويقول يوسف القرضاوي: «إنَّ تجديد شيء ما، لا يعني إزالته واستحداث شيء مكان آخر مكانه، بل تجديده يعني إعادته أقرب ما يكون إلى صورته الأولى يوم ظهر لأول مرة، والمحافظة كل المحافظة على جوهره وخصائصه ومعاله، وعدم المساس بها، وهكذا ينطبق على الماديات والمعنويات فتجديد بناء أثري، قصر مثلا، لا يعني هدمه وبناء آخر مكانه على أحدث طراز، بل إبقاءه والحرص على إرجاعه إلى صورته الأولى ما أمكن ذلك، فهذا التجديد الحقيقي وتجديد الدين يشمل الفهم والفقہ فيه وهذا فكري، كما يشمل تجديد الإيمان به وهذا تجديد روحي، وتجديد العمل له والدعوة إليه، وهذا تجديد عملي»<sup>(5)</sup>.

و بالرجوع إلى ما سبق ذكره يتبين أن العلاقة بين الإصلاح والتغيير والتجديد تتلخص فيما يلي:

التغيير مصطلحٌ أوسع من مصطلح الإصلاح من باب أن الإصلاح يكون لما فسد أو ما كان من قبيل تحسين الحسن أو إيجاد الصالح، فيكون من السلب إلى الإيجاب فقط، بينما يستوعب التغيير المعنى ونقضه أي أنه يكون من السلب إلى الإيجاب ومن الإيجاب إلى السلب، أما التجديد بمعنى الإحياء وإعادة القديم فإنه يقع بنفس المعنى مع الإصلاح الذي يقوم على معنى إزالة الفساد الذي لحق بصالح أو وجدّه الله عز وجل هذا من جانب ومن جانب آخر فإنهما يتفقان أيضا إذا كان التجديد يعني إيجاد الشيء من العدم بشرط أن يكون هذا الجديد يحقق المصلحة ويجانب الفساد .

وفي الأخير يتبين أن التقارب الذي تم تسجيله على مستوى دلالات الألفاظ الثلاث مع وجود بعض الاختلافات هو الذي ساهم في عدم التحرز في الاستعمال، وكأنتك عندما تقرأ أو يمرُّ على مسامعك أحد هذه المصطلحات فإنه قد أخذ بعين الاعتبار مجال ومساحات التوافق بين المدلولات، بدليل أنهم يُطلقون على من يقوم بالإصلاح بالمجدد والمُعير، يقصدون بذلك الذي يحمل رسالة تزيل الفساد وتُغير الأوضاع إلى الأفضل ويستحدث ما يخدم البشرية، تبعاً للمصالح الشرعية في نطاق الأصول والقواعد الشرعية.

<sup>3</sup> أبو الأعلى المودودي : تجديد الدين وإحيائه، دار الشهاب ، باتنة - الجزائر ، دت ، ص 52 .

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق ص 16 .

<sup>5</sup> يوسف القرضاوي : أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، مؤسسة الرسالة : بيروت - لبنان ، ط13 : 1412 1992ص

المبحث الثالث: حصر الآيات التي ورد فيها لفظ الإصلاح

## المبحث الثالث

### آيات الإصلاح في القرآن الكريم (دراسة كمية).

بعد قراءات عديدة في المصحف الشريف تبين أنّ مادة الإصلاح شغلت حجماً معتبراً في القرآن الكريم، ولعلّ هذا ما أكسبها مكانةً وأهميةً ضمن المواضيع الرئيسة له، كيف لا؟ وهي تتعلّق بوظيفةٍ ومهمّةٍ أشرف وأكرم مخلوق على وجه الأرض.

وحتى يسهل التوصل إلى تصوّر حقيقي لهذه المادة، فقد تمّ الاعتماد على عملية الإحصاء، باعتبارها السبيل الأمثل لأي استقراء، وذلك من خلال حصر الألفاظ المباشرة، التي ورد فيها لفظ الإصلاح صريحاً، وإعقاب ذلك بقراءة فيه.

وكانت الطريقة في ذلك اعتماداً الجداول التي تعتبر من الأدوات والأمور المساعدة على الضبط والدقة والتي تساعد الباحث للوصول إلى نتائج هي أقرب إلى الدقة منها إلى الخطأ، بتتبع اللفظ في جميع الآيات المثبوتة في السور الكريمة، فتجمع وترتب على النحو الآتي:

- نص الآية.
- رقم الآية في السورة مع ذكر اسم السورة.
- التمييز بين الآيات المكية والمدنية منها.
- رقم الآية في صفحات المصحف الشريف.

جدول حصر آيات الإصلاح في القرآن الكريم

الصفحة من المصحف	مكي أو مدني	السورة	رقم الآية	الآيات
3	مدنية	البقرة	11	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ
24			160	إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ
28			182	فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
35			220	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
35			224	وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
36			228	وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلْتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
61	مدنية	آل عمران	89	إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
80	مدنية	النساء	16	وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا
84			35	وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا.
97			114	لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ



				بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا.
99			128	وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا
99			129	وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُواهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا
101			146	إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا
114	مدنية	المائدة	39	فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.
133	مكية	الأنعام	54	وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
133		الأنعام	48	وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
154			35	يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
157	مكية	الأعراف	56	وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ
161			85	وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَنْشِيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

				مُؤْمِنِينَ
167			142	وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ
171			170	وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ
177	مدنية	الأنفال	01	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
218	مكية	يونس	81	فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ
231	مكية	هود	88	قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ.
234			117	وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ
281	مكية	النحل	119	ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ
329	مكية	الأنبياء	90	فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ
350	مدنية	النور	05	إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
373	مكية	الشعراء	152	الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ
381	مكية	النمل	48	وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ
387	مكية	القصص	19	فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَمُوتُنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ
427	مدنية	الأحزاب	71	يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ

				فَوْزًا عَظِيمًا
487	مكية	الشورى	40	وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةً مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ
504	مكية	الأحقاف	15	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ
507	مدنية	محمد	02	وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ
507			05	سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ
516	مدنية	الحجرات	09	إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَتَ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
516			10	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَابِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

## قراءة في جدول آيات الإصلاح:

إنَّ المتتبعَ والملاحظَ للجدول الذي تم فيه حصرُ لفظ "الإصلاح" في آيات القرآن الكريم وبالاعتماد في ذلك على المعجم المفهرس للقرآن الكريم<sup>(1)</sup>، والموسوعة القرآنية المسيرة<sup>(2)</sup> يُلاحظُ أنَّ كلمة الإصلاح وردت 41 مرة في القرآن الكريم في 20 سورة منها 11 سور مكية و09 مدنية في 37 آية، كما يبدو أنَّ توزيعَ موضوع الإصلاح بين المكِّي والمدني يعود إلى طبيعته التي تقتضي الحديث عنه والخوض فيه في كل الأحوال المتغيرة زماناً ومكاناً، ذلك أنه يخاطب الإنسان في جميع أحواله، سواء ما تعلق منها بإصلاح العقيدة أو العبادات أو المعاملات.... بصفة عامة شؤون الدنيا التي تصلح بها أحوال الآخرة. فهو دعوة إلى أصل ثابت من أصول الدين لا يمكن الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال سواء في بداية الدعوة أو بعدها.

كما يُلاحظُ أنَّ الجدول قد سهَّلَ مَهْمَةً تَتَّبَعُ تصاريف وصيغ هذا اللفظ، فنجد أنَّه وَرَدَ بِخَمْسِ صِيغٍ مُخْتَلِفَةٍ، تَتَّقَلَّبُ بَيْنَ المَصْدَرِ والفِعْلِ، بِأَزْمَنْتِهِ المَخْتَلِفَةِ: اسم الفاعل... كما هو موضح في الجدول الثاني الذي خُصص لهذا الشأن .

<sup>1</sup> محمد فؤاد عبد الباقي في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم دار الجيل بيروت - لبنان ط: 1408 / 1907 ص 401 و412.

<sup>2</sup> محمد بسام رشدي الزين ووهبه الزحيلي ومحمد عدنان سالم ومحمد وهي سليمان: الموسوعة القرآنية الميسرة، دار الفكر: دمشق - سوريا ودار الفكر المعاصر: بيروت - لبنان، ط: 2002 ص 896.

جدول تصريف وصيغ لفظ الإصلاح في القرآن الكريم:

اسم الفاعل	الفعل			المصدر	الصيغ
	الأمر	المضارع	الماضي		
مصلح مصلحون مصلحين	أصلح	تصلحوا	أصلح أصلحنا	إصلاح صلح	الألفاظ
	أصلحوا	يصلح يصلحنا	أصلحوا		
	06	08	14		
05	28			09	العدد

التعليق على نتائج الجدول:

إنَّ ما يُمكنُ قوله من خلال هذا الجدول الذي بين أيدينا أنَّ لفظ الإصلاح في صيغة الفعل قد استغرق حجماً أكبر، وصل إلى 2/3 من استعماله الكلي في القرآن الكريم متقبلاً بين الأزمنة المختلفة: الماضي والمضارع والأمر ويعود ذلك إلى أمرين:

**الأمر الأول:** دلالة الفعل بحد ذاتها التي تُشيرُ إلى التحديد وعدم الثبات<sup>(1)</sup>، وبالتالي نجدُ أنَّ هذا له علاقة مباشرة بطبيعة الموضوع. التي توضح أنَّه قديم حديث حتى يرثَ اللهُ الأرض ومن عليها .

**الأمر الثاني:** تقلُّبها بين الأزمنة المختلفة فيه إشارة إلى أنَّ موضوع الإصلاح، كما أسلفنا الذكر هو موضوع مهم، باعتبار أنَّه مرتبطٌ بحياة الإنسان ماضياً وحاضراً ومستقبلاً أي أنَّها قضيةٌ قديمةٌ جديدةٌ.

<sup>1</sup> محمد بن موسى بابا عمي : مفهوم الزمن في القرآن الكريم ، دار الغرب الإسلامي ، ط: 2000، ص 53 .

المبحث الرابع: مكانة الإصلاح في القرآن

المطلب الأول: الإصلاح الإلهي

1 / إصلاح الله الأرض.

2 / إصلاح الله الإنسان.

المطلب الثاني: الإصلاح البشري في الأرض.

1 / الإصلاح بين الناس.

2 / الإصلاح العام للحياة

## المبحث الرابع

### مكانة الإصلاح في القرآن الكريم

تمهيد:

جاء في تفسير المنار: «الإصلاح ما يكون بفعلِ فاعلٍ و هو إمّا الخالقُ الحكيمُ وحده و إمّا من سخرهم للإصلاح، من الأنبياء والعلماء والحكماء، الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَالْحَكِّمِ الْعَادِلِينَ الَّذِينَ يَقِيمُونَ الْقِسْطَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ يَنْفَعُونَ النَّاسَ فِي دِينِهِمْ وَ دُنْيَاهُمْ» (1).

وَبَعْدَ جَمْعِ آيَاتِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا لَفْظُ الْإِصْلَاحِ، وَمَحَاوَلَةِ اسْتِقْرَائِهَا، تَبَيَّنَ أَنَّ الْإِصْلَاحَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَنْقَسِمُ إِلَى نَوْعَيْنِ وَذَلِكَ بِالنَّظَرِ إِلَى جِهَةِ الْقَائِمِ بِهِ:  
- إِصْلَاحُ إلهي: تَوَلَّاهُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ خِلَالِ إِصْلَاحِ الْأَرْضِ أَوَّلًا، وَإِصْلَاحَهُ لِلْإِنْسَانِ ثَانِيًا.

- الإِصْلَاحُ الْبَشْرِي: وَهُوَ مَا يَكُونُ بِفِعْلِ الْبَشَرِ وَتَمَّ التَّطَرُّقُ إِلَيْهِ مِنْ نَاحِيَتَيْنِ:  
- نَوْعِ الْخُطَابِ: وَيُقْصَدُ بِهِ قِيَامُ الْإِنْسَانِ بِكَسْلُوكٍ فَرْدِي، ثَنَائِي، وَجَمَاعِي.  
- نَوْعِ الْإِصْلَاحِ: وَيُقْصَدُ بِهِ الْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ (الصُّلْحُ)، أَوْ إِصْلَاحِ الْحَيَاةِ عَامَةً.  
وفيما يلي جدول للآيات القرآنية يُفصل فيه أنواع الإصلاح، وأساليب ذكره التي من شأنها أن تُحدد مكانة وخريطة الإصلاح في كتاب الله سبحانه وتعالى.

- جدول خريطة الإصلاح في القرآن الكريم

أنواعه	آيات القرآنية الدالة عليه	رقم الآية	السورة	الصفحة
الإصلاح الإلهي	إصلاح الله الأرض	85 / 56	الأعراف	161 / 157
		81	يونس	218
	إصلاح الله الإنسان	71	الأحزاب	427
		90	الأنبياء	329
		05/ 02	محمد	507
الإصلاح البشري	الإصلاح كسلوك فردي	220 / 182	البقرة	35 / 28
		114	النساء	97
		39	المائدة	114
		54 / 48	الأنعام	133
		142/35	الأعراف	167/154
		88	هود	231
		40	الشورى	487
		الإصلاح كسلوك ثنائي	/35/16 128	النساء
	الإصلاح الجماعي		/160/11 228/224	البقرة
		89	آل عمران	61
		146/129	النساء	101/99
		170	الأعراف	171
		01	الأنفال	177
		117	هود	234
		119	النحل	281
05		النور	350	
152		الشعراء	373	
19		القصص	387	
10/09	الحجرات	516		



### المطلب الأول : الإصلاح الإلهي

إنَّ مَا أَكْسَبَ قِضِيَةَ الإِصْلَاحِ مَكَانَةً عَظِيمَةً وَشَأْوَماً لَا يُسْتَهَانَ بِهِ، أَنَّ الْحَقَّ سَبِحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ تَوَلَّاهُ بِنَفْسِهِ الْعَظِيمَةِ، فَانْسَبَ إِلَيْهِ صِفَةٌ وَفِعْلًا، تَجَلَّى ذَلِكَ فِي أَدَقِّ وَأَجَلِّ مَا فِي الْكُونِ، مِنْ الذَّرَّةِ إِلَى الْحَجْرَةِ، بِمَا فِي ذَلِكَ الْعَنْصُرِ الْبَشْرِيِّ، فَكَانَتْ صِفَاتُهُ وَأَفْعَالُهُ - تَقَدَّسَ فِي عِلَاهُ - مَحَلَّ اهْتِمَامِ الْإِنْسَانِ، الَّذِي يَسْعَى دَائِمًا إِلَى مَحَاكَاتِهَا وَمَحَاوَلَةِ التَّعَلُّقِ بِهَا، حَتَّى يَكُونَ أَهْلًا لِلْأَمَانَةِ وَالرَّسَالَةِ الَّتِي كُفِّ بِهَا، مِنْ خِلَالِ إِعْمَارِ الْأَرْضِ بِمَا يَنْفَعُ بَنِي الْإِنْسَانِ وَاسْتِغْلَالَ جَمِيعَ الْإِمْكَانَاتِ الْمَوْصَلَةِ إِلَى ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿... هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ...﴾ (1).

وَبِتَّبَعِ لَفْظَ الإِصْلَاحِ الْمُتَعَلِّقَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِيرَادَاتِهِ يَتَضَحُّ أَنَّه قَدْ ارْتَبَطَ بِصُورَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ:

الأولى / إصلاح الله الأرض. الثانية / إصلاح الله الإنسان.

### 1 / إصلاح الله الأرض:

قال عز من قائل: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (2).

بالرجوع لما ذهب إليه العلماء وآلت إليه جهودهم في هذه الآية الكريمة نجد أنها قد أثارت تنوعاً في الآراء يبدأ أساساً باتفاق على:

- أن في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (3). نصٌّ صريحٌ بالتهني عن الفساد مطلقاً بشتى ألوانه وقاعدة مهمة لتجنبه ذلك أن الرسالة الأساسية في الحياة هي الهداية والإصلاح بخلاف الفساد كما مرَّ معنا سابقاً.

<sup>1</sup> الآية 39 من سورة فاطر.

<sup>2</sup> الآية 56 من سورة الأعراف.

<sup>3</sup> نفس الآية السابقة.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

- أن الله خلق الأرض سالحةً و ذلك في قوله تعالى : "...بعد إصلاحها..."، يقول ابن عاشور تعليقا على هذا النص : «هي بُعْدِيَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ لِأَنَّ الْأَرْضَ خُلِقَتْ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهَا عَلَى صَلَاحٍ إِذْ هِيَ مَكَانَ الْخَلِيفَةِ وَهُوَ الْإِنْسَانُ»<sup>(1)</sup> .

وفي دراسة لموضوع "حركة الإصلاح من النظام إلى الانتظام رؤية قرآنية"، يقول فيها صاحبها: الصلاحُ الذي تحدثت عنه الآية الكريمة الصلاح الكوني التكويني الموضوعي المرتفع على حكم البشر أو المحاكمة البشرية، فهو صالحٌ بذاته، وصلاحه الموضوعي هذا يجعله مناسباً لكل مكان وزمان فهو القيمة المجردة والمعياري المتعال، الذي لا يبدُّ من عُلوِّ الفعل البشري بموضوعيته علوِّ النطفة بجدار الرحم<sup>(2)</sup> .

ويعنى يُقاربه وَرَدَ في تفسير الشعراوي: «أنَّ اللهَ أَصْلَحَ الْأَرْضَ بِإِصْلَاحِ مَقَوِّمَاتِ الْحَيَاةِ بِالْكُونِ»<sup>(3)</sup> .

والجديرُ بالذكر أنَّهم اتفقوا على أنَّ اللهَ أَصْلَحَ الْأَرْضَ غَيْرَ أَنَّهُمْ تَبَايَنُوا فِي حَقِيقَةِ هَذَا الْإِصْلَاحِ فَكَانَ السُّؤَالُ الَّذِي يَطْرَحُ نَفْسَهُ إِلَى أَيِّ صِلَاحٍ أَوْ إِصْلَاحٍ تُشِيرُ إِلَيْهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ ؟

- الفريق الأول : يَرَى أَنَّ اللهَ أَصْلَحَ الْأَرْضَ حَسَبَ الْحَاجَةِ الْمَادِيَةِ لِلخَلْقِ وَ بِهِ قَالَ صَاحِبُ تَفْسِيرِ الْمَنَارِ: «أَنَّ إِصْلَاحَ الْأَرْضِ كَانَ بِأَنَّ خُلِقَ فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَمَا هَدَى النَّاسَ إِلَيْهِ مِنْ اسْتِغْلَالِهَا وَانْتِفَاعِ بِتَسْخِيرِهَا لَهُمْ»<sup>(4)</sup> ، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ﴾<sup>(5)</sup> .

جاء في تفسير الشعراوي، «..... أن كُلَّ ذَلِكَ عَلَى نِظَامٍ صَالِحٍ مَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ وَبِخَاصَّةِ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَخَلَقَ لَهُ مَا فِي الْأَرْضِ وَعَزَّزَ ذَلِكَ بِقَوَانِينِ وَضَعَهَا اللهُ فَكُلَّ مَسْخَرٍ لَهُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَكْلِيفٍ مِنْهُ فَلَا هُوَ يَقُولُ لِلشَّمْسِ أَشْرِقِي أَوْ يَا هَوَاءَ هَبْ، ، وَمِثَالَهُ أَيْضاً عُنْصُرُ الْهَوَاءِ فِي الْحَيَاةِ يَصْرِفُهُ سُبْحَانَهُ

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، المجلد 5 ج 8 ص 174 - 175 .

<sup>2</sup> موقع "شبكة والفجر" ، عباس أمير : حركة الإصلاح من النظام إلى الانتظام رؤية قرآنية ، سلسلة القرآن نور، القطيف - العراق، ص 239 ، بتاريخ: 10- 11 - 2007 م .

<sup>3</sup> محمد متولي الشعراوي : تفسير الشعراوي ، المجلد 7 ص 4237 .

<sup>4</sup> محمد رشيد رضا : المنار، ج 8 ص 406 و 407 .

<sup>5</sup> الآية 10 من سورة فصلت.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

تعالى حتى لا يفسد، والتَّعِيمُ الثاني الترابُ اللهُ سبحانه يُتْرَلُ له الماء من السَّماء، ثمَّ القوت الذي يخرج له من الأرض» (1)

- **الفريق الثاني:** الذي فسَّرَ إصلاحَ اللهُ الأرض على اعتبار حاجة الخلق المعنوية، التي تشدّه أكثر إلى الاطمئنان النفسي والأمان، والذي يَتَمَثَّلُ في ربط الأرض بالسَّماء من خلال ألسنة المرسلين والصالحين والحكماء من عباده، الذين أَيْدَهُم بالوحي والخطاب الإلهي وبالإلهام والتوفيق، فجعلهم سبباً في حفظ الوجود الإنساني وكيانه الاجتماعي واستمرار النظام الكوني، وَرَدَ في جامع الأحكام أن إصلاح اللهُ الأرض ببعثة الرّسل وتقرير الشرائع ووضوح ملة محمد صلى اللهُ عليه وسلم، وأن اللهُ أصلح الأرض لأهل طاعته بابتعاثه فيها الرّسل دعاة إلى الحق، وإيضاحه الحجج (2).

غير أن الرّازي جَمَعَ في تفسيره لهذه الآية للرّأيين فأورد الاحتمالين (3) :

1- بعد أن أصلح اللهُ خَلْقَةَ الأرض على الوجه المطابق لمنافع الخلق والموافق لمصالح المكلفين...

2- أن يكون إصلاحُ اللهُ الأرض بسبب إرسال الرّسل والأنبياء وإنزال الكتب.

وذلك من وجهين :

**الوجه الأول:** أننا نَعْلَمُ أن اللهُ سبحانه وتعالى وهو العليم الخبير بحاجة الخلق لا يمكن أن يَتَكَفَّلَ بمنفعة دون أخرى فالإنسان رُوحٌ وَجَسَدٌ، إذ جَمَعَ بين الصّلاح الفطري التكويني، والإصلاح الإرشادي التبليغي بفعل الرسل والأنبياء والأولياء والمصلحين الذين لَوَلَاهُم لساخت الأرضُ بمن فيها.

**الوجه الثاني:** ليس من المعقول أن ينهانا اللهُ سبحانه وتعالى عن الإفساد للنظام الأصلي الذي خلقه وهو الصّلاح الطّبيعي الفطري ولا ينهانا عن الإفساد لعمل المصلحين من البشر وهو الإصلاح البشري، فكلاهما يَقَعُ بمعنى الخَيْرِيَّةِ والمنفعة، فالأول إيجادُ الشّيءِ صالحاً والثاني جعل الضّار صالحاً.

1 محمد متولي الشعراوي : تفسير الشعراوي، المجلد 7 ص 4237 .

2 القرطبي : جامع أحكام القرآن ، المجلد 4 ج 7 ص 154 .

3 الرّازي : التفسير الكبير، المجلد 14 ص 108 .

### 2/ إصلاح الله للإنسان:

الإنسان كلمة ما أيسر اللسان تلفظها، وما أعسرَ البحث فيها، فهو ابتداء عنصر من عناصر الكون الأساسية، جسده تُرابٌ من طين الأرض ومعادنها، يَشْتَرِكُ مع النبات بمظهر الحياة من حيث النمو والممات، ويُماثلُ الحيوان في كثير من مظاهر بدنه، يَتِمَّثلُ معه في طلب الهواء والماء والغذاء، ويُشاركه في بعض الغرائز التي تطلب الإشباع والمحافظة على النوع واستمراره، خَصَّهُ اللهُ بالعقل، فتميز بذلك عن سائر المخلوقات، هذا التشريف الإلهي جَعَلَهُ مَنَاطَ التَّكْلِيفِ بِمَهْمَةِ إِعْمَارِ الأَرْضِ والإصلاح فيها قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (1)، أي كلفكم بعمارتهما وذلك لتحقيق جامعة إنسانية فعالة، في سبيل النهوض بعمارة الكوكب الأرضي، العمارة الكلية الشاملة لكل ما تتسع له كلمة "العمارة" من المعاني المادية والعلمية والاقتصادية (2).

فاقتضت بذلك حكمة الله وعدله بالإنسان أن يُصلِّحَه ابتداءً حتى يتسنى له القيام بوظيفته - وظيفة الإصلاح في الأرض - " إذ كَوَّنَهُ تَكْوِيناً ذاتياً مناسباً لِعِدَّةِ لِنِظَامِهِ وحضارته (3).

فما المقصود بإصلاح الله للإنسان؟ وما أبعاد هذه المسألة؟

جاء في المفردات أن إصلاح الله الإنسان يكون تارةً بخلقه إياه صالحاً، وتارةً بإزالة ما فيه من فساد، وتارةً يكون بالحكم له بالصلاح (4).

وبموجب ما ذكره الراغب الأصفهاني نجد أن إصلاح الله الإنسان قد أخذ ثلاث صور:

1- خلق الإنسان على صلاح.

2- إزالة الفساد الذي علق به.

3- الحكم له بالصلاح.

وسنأتي إلى تفصيل كل صورة على حدا.

أما الصورة الأولى: وهي خلق الإنسان على صلاح مادي أو معنوي، و يوافق هذا المعنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (5).

<sup>1</sup> الآية 61 من سورة هود.

<sup>2</sup> محمد سعيد رمضان البوطي: منهج الحضارة الإنسانية في القرآن ص 25 .

<sup>3</sup> محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، المجلد 15 ج 30 ص 246 .

<sup>4</sup> الراغب الأصفهاني: المفردات، ص 490 .

<sup>5</sup> الآية 4 من سورة التين.

جاء في ظلال هذه الآية الكريمة أن العناية الإلهية بخلق الإنسان قد ظهرت بأن أكد المولى تعالى أن الخلق كان في أحسن تقويم، ويتجلى ذلك في خلقه وتركيبه على النحو الفائق سواء في تركيبه الجثماني البالغ الدقة والتعقيد، أم في تكوينه العقلي الفريد، أم في تكوينه الروحي العجيب (1). وفي معنى يقاربه جاء في المنار أن الله أصلح حال البشر بنظام الفطرة وكمال الخلقة، وما آتاهم من القوى العقلية وما أودع في خلق الأرض من السنن الحكيمة، وبما بعث به الرسل من مكملات الفطرة (2). كما تتضمن أيضا صلاح الفطرة والاستعداد، وهو ما ذكر في موسوعة الإعجاز في القرآن والسنة يقول صاحبها: «قد خلق الإنسان وكرّمه أعظم تكريم وسخر له الكون تسخيّرًا تعريفًا وتفضّلًا، ووهبه نعمة العقل، وفطرة تترع إلى الكمال، فطرة على الخير وجبلة على جلب النفع والصلاح، ومحبة الخير والحسن من الأفعال كما أودع فيه الشهوات ليرقى بها صابراً أو شاكراً لرب الأرض والسماوات، ومنحه حرية الإرادة، ليجعل عمله عملاً ثميناً، وأنزل كتباً أحلّ الله له فيها الطيبات وحرّم عليه الخبائث. فكانت نعمة العقل ميزاناً صريحاً ليتعرف به هذا المخلوق على الله، وكانت الفطرة ميزاناً آخر متطابقاً مع الشرع الإلهي مركزاً في أصل كيانه ليكشف أخطائه من خلالها» (3).

وقد تعددت أساليب القرآن في الإشارة إلى صلاح خلقه الإنسان بتفصيلات أحياناً وبالإجمال أحياناً أخرى.

نذكر منها قوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ (4).

وقد وردت روايات متعددة في معنى ومقصود البال، فقد ذكر القرطبي عن مجاهد وغيره أنها تعني الشأن. وقال قتادة: الحال، أما ابن عباس فقال بالأمر ويبدو أن الثلاثة متقاربة ومتأولة على ما تعلق بالدين والدنيا (5).

وذكر صاحب نظم الدرر أن المقصود بالبال "القلب"، لأنه الموضع الذي فيه نظر الإنسان، فهو موضع سرّه وتفكيره ويكون الإصلاح فيه بالأمن والتوفيق والسداد وقوة الفهم والرشاد، لما يوفقه لهم من محاسن الأعمال، وقال ابن بركان "وإذا أصلح ذلك من العبد، صلح ما يدخل إليه وما يخرج عنه

<sup>1</sup> سيد قطب: ضلال القرآن، المجلد 6 ج 30 ص 3933.

<sup>2</sup> محمد رشيد رضا في المنار، ج 8 ص 464.

<sup>3</sup> محمد راتب النابلسي: موسوعة الإعجاز في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان، دار المكتبي - سوريا، ط 1: 1442 هـ /

2004م، ص 7.

<sup>4</sup> الآية 5 من سورة محمد.

<sup>5</sup> القرطبي: جامع الأحكام المجلد 8 ج 16 ص 149.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

وما يثبت فيه وإذا فسد فالضدّ من ذلك (1) .  
وبجدثنا عن القلب والفؤاد فإنه لا يفوتنا التنويه والإشارة إلى الإصلاح العقدي الفكري الذي بينه أبو هريرة في حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام: "كلّ إنسان تلده أمه على الفطرة وأبواه، بعد، يهودانه وينصرانه ويمجسانه، فإن كانا مسلمين فمسلم<sup>2</sup>، لتليه باقي الأمور تبعاً. فيكون بذلك إصلاح البال نعمة كبرى تلي نعمة التوحيد في القدر والقيمة والأثر فمتى صلح البال، استقام الشعور والتفكير واطمئن القلب والضمير، وارتاحت المشاعر والأعصاب ورضيت النفس واستمتعت بالأمن والسلام.

من أجل ذلك شرّع للمسلم والمؤمن الدعاء بالصّلاح والإصلاح للذرية، قال تعالى ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>3</sup>، فكانت هذه الآية وصية الله للإنسان في كل الشرائع، بأن يجعل الله الصّلاح سارياً وراسخاً في الذرية، كما أنها رغبة القلب المؤمن أيضاً أن يتصل عمله الصّالح في ذريته، وأن يؤنس قلبه شعوره أن في عقبه من يعبد الله ويطلب رضاه، فالذرية الصالحة آثر على الكنوز والذخائر وأرواح للقلب من كل زينة الحياة (4) .

**الصورة الثانية: إزالة الفساد الذي علق بالإنسان.**

ذكر ابن جرير أن أهل التأويل اختلفوا في معنى الصّلاح في قوله تعالى: ﴿وَأصْلِحْنَا لَهُ زَوْجَهُ...﴾<sup>(5)</sup>، فقال بعضهم: كانت زوجة زكريا عقيماً، فأصلحها الله بأن جعلها ولوداً. فعن قتادة قتادة قوله: "وأصلحنا له زوجته... أنها كانت عاقراً، فجعلها الله ولوداً، ووهب لزكريا منها النبي صالح عليه السلام. وقال آخرون: كانت سيئة الخلق، فأصلحها الله بأن رزقها حسن الخلق و الصواب أنه مهما كانت العلة الخلقية أو الخلقية التي أصابت زوج زكريا من عقم أو سوء خلق فإنّ ذلك يعبر عنه بالفساد، وأنّ إصلاح الله بأن جعلها حسنة الخلق وأرجعها ولوداً وكل ذلك يدخل في معنى من معاني الإصلاح (6) .

<sup>1</sup> البقاعي: نظم الدرر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1: 1415 هـ / 1995 م، ج 7 ص 150.

<sup>2</sup> رواه مسام: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة حديث رقم: 2658 المجلد 8 ص 460

<sup>3</sup> الآية 15 من سورة الأحقاف.

<sup>4</sup> سيد قطب: في ظلال القرآن المجلد 6 ج 26 ص 3263.

<sup>5</sup> من الآية 90 من سورة الأنبياء

<sup>6</sup> ابن جرير الطبري: تفسير الطبري، المجلد 9 ج 17 ص 79.

وهو المعنى الذي نلمسه من قوله تعالى: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(1)</sup>. فقد جاء في تفسير إصلاح العمل في هذه الآية أنه يقع في "معنى تبديل السيئات بالحسنات وعلى القول السديد مغفرة الذنوب"<sup>(2)</sup>.

وبالتدقيق في هذا المعنى نجد أن الله تعالى أصلح حال الفساد الذي يكون عليه المذنب والمسيء بأن بدلها إلى حسنات ومغفرة ذنوب فيكون ذلك من قبيل إصلاح الفساد الذي وقع فيه المسيء والمذنب. فبتين مما سبق أن من معاني إصلاح الله للإنسان بأن يصلح ما لحق به من فساد مادي أو معنوي.

**الصورة الثالثة:** وهي الحكم بالصلاح في قوله تعالى ﴿... وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾<sup>(3)</sup> تأتي هذه الآية الكريمة في سياق عرض قصة موسى مع فرعون، الذي تكبر واستعلى في الأرض، وأشاع الفساد، حين أراد أن يسحر أعين الناس بالباطل، فجهز جهيزته وحزم أمره، وجمع السحرة، فكان التدخل الإلهي الذي حسم الموقف بتقريره إبطال عمل المفسد ومحاربه. وكان أن تقرر الأمر الإلهي أن عمل الساحر من جملة الفساد المنهي عنه شرعا.

وفي المقابل، كان الإثبات والتأييد في جانب من نادى بالإصلاح والفلاح في الأرض، فأيد نبيه موسى بخوارق حسية، بلغ من خلالها أنه سبحانه، لا يرضى إلا بالصلاح والإصلاح، وأنه لن يلغي الفساد في الأرض وإنما سيتصدى له ولمن يسعى للفساد في الأرض بالمرصاد، كلما ظهر في الأرض، فيهيئ له مصلحين ربانيين، يسرون بنوره إلى أن يرث الله الأرض ومن معها، فيكون الإفساد إيدانا بظهور الإصلاح.

<sup>1</sup> الآية 71 من سورة الأحزاب.

<sup>2</sup> الرازي: التفسير الكبير المجلد 13 ج 25 ص 202.

<sup>3</sup> الآية 220 من سورة البقرة.

### المطلب الثاني: إصلاح الإنسان في الأرض (الإصلاح البشري)

لا يختلف اثنان أن قيام الإنسان بالإصلاح في الأرض، يُعدُّ من أهم مَضامين الأمانة الثقيلة التي كُلفَ بها وأُعدَّ من أجلها يقول تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾<sup>(1)</sup>، هذه الأخيرة التي تسعى إلى تحقيق وتفعيل مبدأ التدافع في الأرض وصرف الفساد عن الأرض. ومن ثم تحقق الشهود الحضاري للمسيرة البشرية على وجه الأرض.

وبالنظر إلى الآيات السابقة التي تناولت هذه المهمة الشريفة، يتبين أنها تتلخص في أمرين:

**الأمر الأول:** والذي يقع بمفهوم الصلح بإزالة المنازعات والخصومات، وإحلال الألفة والمودة بين الناس سواء بين الزوجين، الورثة، الإخوة.....، تَمَثَّلُ لأمره تعالى في قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(2)</sup>.

**الأمر الثاني:** وذلك بإزالة الفساد وإحلال الصلاح والاستقامة على الهدى وإتباع شرع الله سواء تعلق الأمر بالإصلاح المادي أو المعنوي، تَمَثَّلُ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالَفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمُ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾<sup>(3)</sup>.

على أن يأتي تفصيل كل ذلك في الفصل الثاني بإذن الله تعالى.

<sup>1</sup> الآية 72 من سورة الأحزاب.

<sup>2</sup> الآية 1 من سورة الأنفال.

<sup>3</sup> الآية 88 من سورة هود.



الفصل الثاني: إصلاح الإنسان في السياق القرآني

المبحث الأول: الإصلاح بمعنى الصلح

المبحث الثاني: الإصلاح العام للحياة ( المادي والمعنوي)

المبحث الثالث: أحكام متعلّقة بالإصلاح.

المبحث الأول: إصلاح ذات البين (الصلح).

المطلب الأول: ماهية الإصلاح ومشروعيته.

المطلب الثاني: مجالات الإصلاح.

- الإصلاح بين الإخوة.
- الإصلاح بين الزوجين .
- الإصلاح بين الورثة .
- الإصلاح إلى اليتامى.

## المبحث الأول

### الإصلاح بمعنى الصلح

أولاً: ماهية الصلح وحقيقته

لقد أكدت الشريعة الإسلامية منذ مجيئها أنها دين توحيد ووحدة، وأن جمع الصف ولم الشمل مقصد عظيم من مقاصدها، فعظمت وقَدَّست كل ما من شأنه أن يُقوّي العلاقات بين أفراد المجتمع، سواء ما تعلّق منها بالتعاملات المالية كالبيع والتجارة، أو الاجتماعية كالعلاقات الأسرية وغيرها، يقول الحق تعالى: ﴿.....وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا.....﴾<sup>(1)</sup>، فحثّ الآية الكريمة بصيغة التّهي على عدم التفرّق والتشتت، و أرشّدت في المقابل إلى الوحدة والتماسك، فدعت إلى الإصلاح بين الناس عند حدوث صدع لعلاقاتهم، يقول تعالى: ﴿.....وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ.....﴾<sup>(2)</sup> ولما كان الإصلاح بين الناس يعدّ من بين أهم السبل التي تحقق هذا المقصد، فقد دعا إليه القرآن ورغب فيه في أكثر من موضع، حيث ورد ذكره في 10 مواضع، أي ما يعادل 4/1 مواضع الإصلاح في القرآن، فدعت الآيات التي تضمنته وأرشدت في مجملها إلى رأب الصدع وإزالة دابر الخصام، ليحل صفاء القلوب ورضا المتنازعين محل الأحقاد والضغائن التي تنجم عن ذلك. الأمر الذي أشار إليه سيدنا عمر بن الخطاب، لما قال لأبي موسى رضي الله عنهما: "ردّ الخصوم حتى يصلحوا فإن فصل القضاء يورث الضغائن"<sup>(3)</sup>، فأكدّ على المبادرة بالإصلاح بين الأطراف المتنازعة، لأنّ ترك النزاع والخصام دون فضّه يَسْتَثِيرُ في النفس عدم الرضا وحب الانتقام، فتتفاقم الأحقاد وتتوتر العلاقات.

وبعد هذا العرض الموجز لأهمية ومكانة الإصلاح بين الناس في الشريعة الإسلامية، ينبغي التنبيه إلى أن الفقهاء والمحدثين، يُعبّرون في كتبهم عنه بلفظ "الصلح" وهو لفظ قرآني وردّ ذكره في قوله تعالى:

<sup>1</sup> من الآية 103 من سورة آل عمران.

<sup>2</sup> من الآية 1 من سورة الأنفال..

<sup>3</sup> الحديث : أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق، ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن عبد الوهاب، أنبأنا جعفر بن عون، أنبأ مسعر، عن أزهر عن محارب، قال: قال عمر بن الخطاب: ردوا الخصوم .....)، أخرجه البيهقي: السنن الكبرى : كتاب الصلح باب نصيب الميزاب والشراع الجناح، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مكة المكرمة، حديث رقم 11360 المجلد 6 ص 109 .

﴿.....وَالصُّلْحُ خَيْرٌ.....﴾<sup>(1)</sup> فأفردوا له أبواباً خاصة بهذا الاسم. فنجد مثلاً كتاب الصلح عند

البخاري، باب الصلح عند ابن الجزري في كتابه الفقه على المذاهب الأربعة

فما المقصود بالصلح؟ وما هي مشروعيته؟

### 1/ تعريف الصلح :

لغة: جاء في المعجم الوسيط : الصلح هو إنهاء الخصومة وإنهاء حالة الحرب<sup>(2)</sup>.

وجاء في المفردات : أن الصلح يختص بإزالة النفاق بين الناس<sup>(3)</sup> .

شرعاً: ذكر علماء التفسير مجموعة من الأقوال فيما يخص معنى الصلح .

فنجد أن الإمام القرطبي قال: «الإصلاح يكون في كل شيء يقع التداعي والاختلاف فيه بين المسلمين  
»<sup>(4)</sup>.

و ذكر ابن جرير الطبري أن الإصلاح بين الناس هو إصلاح بين المتباينين أو المختصمين بما أباح الله  
الإصلاح بينهما ليتراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة على ما أذن الله وأمر به<sup>(5)</sup>.

وفي نحوه أورد الإمام الشوكاني في تفسيره: «الإصلاح عام في الدماء والأعراض والأموال وفي كل  
شيء يقع التداعي فيه وحتى في الأديان»<sup>(6)</sup>.

وفي نفس المعنى يقول الإمام الألوسي: « المراد من الإصلاح بين الناس هو التأليف بينهم بالمودة إذا  
تفاسدوا من غير أن يتجاوزَ في ذلك حدود الشرع »<sup>(7)</sup>

فيتبين من الأقوال السابقة في اللغة أو الشرع أنها تتفق على معنى واحد للصلح تقريباً، أنه يقع بمعنى رفع  
التزاع، كما أن كلمة "نزاع" قد عبّر عنها بألفاظ متقاربة كالتداعي والاختلاف، التباين و النفاق.

<sup>1</sup> من الآية 128 من سورة النساء

<sup>2</sup> المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية، ص 520 .

<sup>3</sup> الراغب الأصفهاني: المفردات، ص 219.

<sup>4</sup> القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 5 ص 247 .

<sup>5</sup> ابن جرير الطبري: تفسير، المجلد 4 ج 5 ص 276 .

<sup>6</sup> الشوكاني : فتح القدير ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ط3: 1417هـ / 1997 ج1 ص 656 .

<sup>7</sup> الألوسي : روح المعاني، المجلد 4 ص 212.

مشروعيته وحكمه:

1/ مشروعيته:

1/ أ - من القرآن:

لقد اعتنى القرآن الكريم بخلق الإصلاح بين الناس عنايةً كبيرةً وأولاهُ حيزاً لا يُستهانُ به أمراً به ومُرغباً فيه.

- أما الأمر به: لقد أمر الحق تعالى بالإصلاح بين الناس في أكثر من موضع منها:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(1)</sup>، وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (9) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(2)</sup>. فدلّ منطوق الآيات السابقة التي تضمنت فعل الأمر في قوله "وأصلحوا" على أن الله تعالى أوجب على عباده القيام بإصلاح ما فسد بينهم، بحكم رابطة الأخوة التي تجمعهم، وتشمل في ذلك أخوة الإنسانية ابتداءً، لترداد ضرورة المحافظة عليها توثقاً برابطة الإيمان، ويتضح ذلك جلياً في آيات سورة الحجرات .

وهو الأمر الذي وضّحه صاحب تفسير الكشاف بقوله: «عليّة الأمر بالإصلاح بين المؤمنين بصيغة القصر المفيدة لحصر حالهم. في حال الأخوة، مبالغة في تقرير هذا الحكم بين المسلمين لما بينهم من انتساب إلى أصل واحد وهو الإيمان الذي هو منشأ البقاء الأبدي في الجنات فينتعبارة "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا" إلى وجوب الإصلاح بين المؤمنين، وفي ذلك بيان أن الإيمان قد عقد بين أهله من النسب الروحي ما لا ينقص عن نسب الأخوة الجسدية، وحيث كان الحال كذلك وجب القيام به بين أخوة الروح كما يجب بين أخوة الجسد»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> الآية 1 من سورة الأنفال.

<sup>2</sup> الآيتين 9- 10 من سورة الحجرات.

<sup>3</sup> الزمخشري: الكشاف، الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1: 1415هـ / 1995 المجلد 4 ص 356 - 357.

— أما الترغيب فيه:

لقد رتبَ القرآن الكريم على القيام بالصلاح فضلاً كبيراً وأجرًا عظيمًا، يناله القائمُ بذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى كما قال جل شأنه: ﴿... لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (1)

وقد ذكرَ ابن جرير في تفسيره للآية السابقة: «أنَّ المصلح سوف يُعطى جزاءً عظيمًا لما فعل، ولا حدًّا لما سمى الله عظيمًا» (2)، وزاد على ذلك الألوسي فقال: «وصِفَةُ العظمة لا يَعلمها سواه وأنَّه لا تحيط به نطاق الوصف» (3)، فَوَعَدَ القائمِينَ به مغفرته ورحمته كما يُفيد قوله جلَّ ذكره: ﴿... وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (4)، فإنَّ في هذه الآية بيان إلى مغفرته سبحانه وتعالى ورحمته للمصلحين كما أذن به ختم الآية بصفتي المغفرة والرحمة لله سبحانه وتعالى. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿... فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (5)، فإنَّ فيها من الإشارة إلى مغفرته ورحمته سبحانه وتعالى للمصلح ما في سابقتها بدلالة نفي الإثم وتذليلها بصفتي المغفرة والرحمة وهي إشارة جليَّة وواضحة.

ولو لم يكن للمصلح من فائدة من عمله، فيكفيه أن يقرأ ويتمعَّن قوله تعالى: ﴿... وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (6)

فيتأكدُ بذلك أنَّ أجرَ المصلح بين الناس، الساعي إلى كل ما من شأنه أن يُضفي جوَّ المحبة والألفة بين الناس محفوظٌ عند من لا يضيعُ عنده مثقال ذره أو أقلَّ من ذلك.

ب — من السنة النبوية:

لقد أولت السنة النبوية الشريفة خلق الإصلاح أهميةً لا تقلُّ عما أولاه كتاب الله تعالى سواء من خلال أحاديثه صلى الله عليه وسلم أو تمثله لهذا الخلق في حياته. من أحاديثه الدالة على الإصلاح:

<sup>1</sup> الآية 114 من سورة النساء.

<sup>2</sup> ابن جرير الطبري: تفسير الطبري، المجلد 4 ص 276.

<sup>3</sup> الألوسي: روح المعاني، المجلد 4 ص 213.

<sup>4</sup> الآية 129 من سورة النساء.

<sup>5</sup> الآية 182 من سورة البقرة.

<sup>6</sup> الآية 170 من سورة الأعراف.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

- عن أم الدرداء عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة، قالوا بلى يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الخالقة"<sup>(1)</sup>، ففي الحديث حثٌ وترغيبٌ في إصلاح ذات البين واجتناب الإفساد فيها لأنَّ الإصلاح سبب للاعتصام بجبل الله وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلثة في الدين فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجةً فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بنفسه. ويعلق على ذلك صاحب شرح سنن أبي داود فيقول: «وفي ذلك تعبير جميل وبلغ في نفس الوقت، ذلك أنَّ هذه الخصلة هي التي من شأنها أن تحلق الدين وتستأصله كما يستأصل الموسى الشعر»<sup>(2)</sup>.
- ويزيد الإمام الألويسي فيقول: «أنَّه لا يخفى أنَّ هذا الحديث مخرَّج مخرج الترغيب وليس المراد ظاهره إذ لا شك أنَّ الصيام المفروض والصلاة المفروضة والصدقة أفضل من الإصلاح اللهم إلا أن يكون إصلاح يترتب على عدمه شرٌّ عظيم وفساد بين الناس كبير»<sup>(3)</sup>.
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الناس صدقة"<sup>(4)</sup>، فاعتبر الصلح من أكبر العقود فائدة، ولذلك حسن فيه استعمال شيء من الكذب إذا دعت الحاجة إليه.
- عن أم كلثوم بنت عقبة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا أعدّه كاذبا الرجل يصلح بين الناس يقول القول ولا يريد به إلا الإصلاح، والرجل يقول في الحرب، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها"<sup>(5)</sup>، وفي رواية أخرى: "ليس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيرا أو نهي خيرا"، وفي رواية أخرى: "لا يحل

<sup>1</sup> أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين حديث رقم 4919. المجلد 4 ص 282 ، قال المنذري أخرجه

الترمذي ، وقال صحيح، ارجع إلى الآبادي: عون المعبود . المجلد 7 ج 13 ص 178

<sup>2</sup> الآبادي: عون المعبود في شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، دت. المجلد 7 ج 13 ص 178-179

<sup>3</sup> الألويسي : روح المعاني : المجلد 4 ج 5 ص 213.

<sup>4</sup> أخرجه البخاري: كتاب الصلح، باب فضل الإصلاح بين الناس، حديث رقم : 2707. بيت الأفكار الدولية - الأردن، ط: 2005،

ص 516 .

<sup>5</sup> سنن أبي داود في كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين حديث رقم : 4921. المجلد 4 ص 282 الحديث سكت عنه المنذري

من طريق أم كلثوم بنت عقبة، ارجع إلى الآبادي : عون المعبود المجلد 7 ج 13 ص 179.

الكذب إلا في ثلاث: يحدث الرجل امرأته ليرضيها، الكذب في الحرب، الكذب ليصلح بين الناس<sup>(1)</sup>، وفي الحديث ترخيص بالكذب في الإصلاح.

- تمثله صلى الله عليه وسلم خلق الإصلاح بين الناس<sup>(2)</sup>:

إنَّ أنبأَ مصدر يوثق لنا ويؤكدُ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان أعظم مصلح وأَنَّهُ كان يتمثل خُلُقَ الإصلاح بين الناس، إطلالة في كتب قصص الأنبياء التي اتفقت في مجموعها أنَّ الإصلاح كان من أبرز الأخلاق و الصفات التي عُرفَ واتصف بها المرسلون وذلك لكمال أخلاقهم وفطنتهم ومعرفتهم العريقة بأحوال الناس، ولا شك أنَّ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان من أولئك الرّسل الذين كانوا يمثل هذه المثابة من التوفيق بين الناس و إصلاح ذات البين في كل أطوار حياته قبل البعثة وبعدها في مكة وفي المدينة، وكتبُ السيرة النبوية التي تناولت سيرته الذاتية بتفصيل أحياناً و بإجمال أحياناً أخرى تجمع بين صفحتها مواقف عدة تبرز هذا الخلق العظيم في إنسان عظيم قبل أن يكون نبياً عظيماً.

- فقبل أن يبعثه الله نبياً رسولاً، فبدل على ذلك الصلح العظيم الذي قام به بين فئات قريش المختلفة في شأن رفع الحجر الأسود ومهمّة التحكيم في المسألة بعد تخاصمهم وتصارعهم على أي قبيلة يكون لها الشرف في وضعه على الكعبة.

لولا أن تداركهم الله بلطفه بالصلح الذي قام به أعظم مصلح في الوجود ، بأن هياً الله السبيل إلى اتفاق القبائل على تحكيم أول داخل عليهم من باب الصفا، فكان التّبي هو الداخل الذي رضي به الجميع و أرضى الجميع برأيه، فأصلح بينهم صلحا برأيه، و بذلك "قطعت جهيزة قول كل خطيب".

- أما بعد البعثة: لما هاجر إلى المدينة المنورة وجَدَ الأوس والخزرج في تنافر وشقاق فسعى عليه الصلاة والسلام إلى الإصلاح بينهم فجمّعهم جميعاً تحت لواء الإيمان وأصبحوا بنعمة الله إخواناً. كما لا ننسى صلحَ الحديبية وهو أعظم صلح شهدته تاريخ البشرية الذي تجلّت فيه دلائل نبوته ومكارم أخلاقه رغم شروطه القاسية التي وضعتها قريش وجفاء لهجتها... رغم ذلك قبلَ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك رغبةً منه في نيل خيرية الصلح، فذكر أصحابه بقول الله تعالى: "...و الصلح خير...".

<sup>1</sup> سنن الترمذي: كتاب البر والصلة باب 26 في إصلاح ذات البين ح رقم : 2004، دار الفكر، بيروت ، لبنان، ط: 1414 هـ / 1994 م، ج 3 ص 377، حديث حسن أخرجه أحمد، أما الرواية الأخرى فقال حديث حسن وأخرجه أحمد ومسلم، انظر إلى المباركفوري : تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ج 6 ص 58.

<sup>2</sup> أحمد بن قاسم الحداد: أخلاق النبي في القرآن والسنة ج2 ص 971 وارجع أيضا إلى كتب السيرة: منها على سبيل المثال لا الحصر محمد رسول الحرية : عبد الرحمن الشرفاوي ، العصر الحديث - بيروت ، لبنان ط2 : 1406 هـ / 1986 ص 58 وص 144



لقد دلت الآيات والأحاديث المذكورة سابقا على مشروعية الصلح والإصلاح بين الناس في الدماء والفروج والأموال وفي كل شيء يقع التداعي والتزاع فيه.

أمّا في بيان حكمه يقول الإمام القرطبي معلقا على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ.....﴾<sup>(1)</sup>، إنَّفي هذا تقريرا لما ألزمه من تولي الإصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين<sup>(2)</sup>، ويزيد الإمام الألويسي فيقول: «هو للوجوب، فالواجب أن تمشي بين المقتتلين من المسلمين بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والمواذعة»<sup>(3)</sup>. وفي معنى يُقاربه يُشيرُ محمد رشيد رضا في تفسير المنار إلى أننا أمرنا في الكتاب والسنة بإصلاح ذات البين فهو واجب شرعا، تتوقف عليه قوّة الأمة وعزّتها ومنعتها وتحفظ به وحدتها<sup>(4)</sup>.

وفي نفس السياق يقول القرضاوي: «أنَّ القرآن يُطالبُ المؤمنين بالإصلاح بين الناس وأنَّ يعملوا على وقف التزاع وسيادة التفاهم، فالشريعة الإسلامية جعلت سهماً في مصارف الزكاة لذوي الضمائر الحية، الذين يُقدّمون من أموالهم للإصلاح بين المتخاصمين، فيعانون من مال الزكاة على سداد ما غرموا، تشجيعا لهم على المضيّفي سبيل الإصلاح بين الناس، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ الذي دلَّ على مشروعيته النظر أيضا ذلك لأنَّ أحد المتخاصمين هو على مُنكر قطعاً وإزالة المنكر واجبة إجماعاً، والصلح وسيلة لذلك، ووسيلة الواجب واجبة فهو من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»<sup>(5)</sup>.

جاء في الملخص الفقهي أنَّ الصلح الجائر هو العادل الذي أمرنا الله به ورسوله، وهو ما يقصد به رضا الله تعالى ثم رضا الخصمين. ويختص بحقوق المخلوقين التي لبعضهم على بعض مما يقبل الإسقاط والمعاوضة، أما حقوق الله كالحقوق فلا يصح الصلح فيها لأنَّها شرعت للزجر ولأنَّها حقُّ الله تعالى وحقُّ للمجتمع.

والصلح بين الناس أنواع:

<sup>1</sup> من الآية 9 منسورة الحجرات.

<sup>2</sup> القرطبي: جامع الأحكام في القرآن الكريم

<sup>3</sup> الألويسي: روح المعاني، ج 25 المجلد 14 ص 227.

<sup>4</sup> محمد رشيد رضا: المنار، ج 9 ص 491.

<sup>5</sup> يوسف القرضاوي: الحل الإسلامي فريضة وضرورة، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط 14: 1414 هـ / 1994

- الصلح بين المسلمين و أهل الحرب. / -الصلح بين أهل العدل و أهل البغي من المسلمين.  
- الصلح بين الزوجين. / - الإصلاح بين المتخاصمين في الأموال. (1).  
فكان أن تبيّن مما سبق أنّ الإصلاح بين الناس خلقٌ عظيم وفضيلة من الفضائل الجليلة، التي حثّنا الإسلام عليها بصور شتى، أمراً وترغيباً، لتحقيق وحدة المجتمع وتماسكه، فدعا إليه في كل الأحوال التي يَشُوْبُها نار التفرقة، ابتداءً من أصغر وأبسط علاقة تجمع بين اثنين إلى أعظم العلاقات التي تكون بين المجتمعات والأمم، وأجزّل على القائم بالإصلاح أجراً عظيماً، عظم المعطي له، ليؤكد أنّ دين الإسلام دين وحدة واجتماع لا تفرق وشتات.

### ثانياً/ مجالات الإصلاح

بالرجوع إلى الجدول الذي تم فيه إحصاء لفظ الصلح أو الإصلاح بين الناس في القرآن الكريم، وباستقراءنا للمجالات التي ورد فيها، يتبيّن أنه قد اشتمل على المجالات الآتية:

- الإصلاح بين الإخوة / - الإصلاح بين الزوجين.  
- الإصلاح بين الورثة / - الإصلاح إلى التامى.

#### 1/ الإصلاح بين الإخوة:

أعلن الإسلام منذ فجر تاريخه قيمة المجتمع المتماسك، فأرشد في مواضع كثيرة إلى صيانة هذا البنيان وحمايته من الفرقة والتمزّق، فكان أول ما يلزم لتحقيق ذلك أن يفهم الإنسان أنّه يعيش مع أخيه الإنسان، تحكّمه في ظلّ هذه الإنسانية التي يشترك فيها الجميع ضوابط وأحكام تنطلق وتعود لتصبّ في معنى الوحدة الإنسانية، التي لا يمكن بأي حال من الأحوال استمرارها وبقاؤها إلا برفع شعار الأخوة الإنسانية فكلنا لآدم و آدم من تراب.

يقول سيد قطب: «أنّ الحب والسلام والتعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة، وأنّ يكون الخلاف والافتتال هو الاستثناء الذي يجب أن يرد إلى الأصل فور وقوعه، وأنّ يُستباح في سبيل تقريره قتال المؤمنين الآخرين للبغاة من إخوانهم ليردوهم إلى الصف وليزيلوا هذا الخروج عن الأصل والقاعدة وهو إجراء صارم وحازم» (2)

<sup>1</sup> صالح بن فوزان: الملخص الفقهي، دار العاصمة: السعودية، ط1: 1421هـ/ 2001 م ج 2 ص 105-106.

<sup>2</sup> سيد قطب: في ظلال القرآن، المجلد 6 ج 26 ص 3343.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

غير أن الإسلام قد عمّق معنى الأخوة الإنسانية، فعهد إلى من التزم بتعاليم الإسلام ومستلزمات الإيمان بأخوة من نوع خاص هو ما يعرف بـ "الأخوة في الدين"، فجعلها بذلك أعلى مرتبة فخاطب المؤمنين في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ.....﴾ (1).

فدلّت الآية الكريمة دلالةً قويةً على تقرير وجوب الأخوة بين المسلمين، وهو المعنى الذي أشار إليه الألوسي عندما قال: «وإطلاق الأخوة على المؤمنين من باب التشبيه البليغ، فشبهوا من حيث انتسابهم إلى أصل واحد وهو الإيمان الموجب للحياة الأبدية. وتُشبه المشاركة في الإيمان بالمشاركة في أصل التوالد، لأنّ كلاهما أصل البقاء، إذ التوالد منشأ الحياة والإيمان منشأ البقاء الأبدية» (2).

ويتأكّد هذا الكلام من خلال ما دعا إليه الإسلام ابتداءً من أعمال تقويّ رابطة الأخوة وتُمتنّ وثاقها، فدعا إلى إفشاء السّلام وإجابة الدّعوة وعبادة المريض، وكلّ ما من شأنه أن يُقرّب بين المسلمين، وفي المقابل نهى عن الكذب والنميمة والغيبة، والهمز واللّمز والسّخرية، وكلّ ما من شأنه أن يُسيء العلاقة ويقطع المودة بينهم. وردّ في الحديث الصحيح عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (3)، فمعلومٌ أنّ التراحم والتعاطف يُعمّقان الأخوة، بل لا يكتمل الإيمان لمسلم ما لم يكن محباً لله ولرسوله وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿...مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ.....﴾ (4).

أما إذا حلّ الخلاف والشقاق بين الناس - وهم بشر - والخطأ من طبيعتهم فقد أمر الحق تعالى كلّ مسلمٍ للنهوض بواجب الإصلاح لجمع الشتات ورأب الصدع. في قوله: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ...﴾. يعلّق الإمام الألوسي على هذه الآية بقوله: «الفاء للإيذان بأنّ الأخوة الدينية موجبة للإصلاح» (5).

<sup>1</sup> من الآية 9 من سورة الحجرات.

<sup>2</sup> الألوسي: روح المعاني، المجلد 14 ج 26 ص 228.

<sup>3</sup> رواه مسلم في كتاب: البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم 2586، بيت الأفكار الدولية: عمان -

الأردن ط: 2005 ص 1041.

<sup>4</sup> الآية 29 من سورة الفتح.

<sup>5</sup> الألوسي: روح المعاني، المجلد 14 ص 228.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

وجاء في الكشاف أن في هذا تقرير لما أُلزمه من تولى الإصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين، وبيان أن الإيمان يعقد بين أهله من النسب القريب... ثم قد جرت عادة الناس أنه إذا نَشَبَ مثل ذلك بين اثنين من إحوة الولاد، لَزِمَ السائر أن ينهضوا لرفعه<sup>(1)</sup>

وزيادة في معنى الأخوة ووجوب المحافظة عليها، فقد فضّل الإسلام قيام فضيلة الإصلاح بين الناس على الصّوم والصّلاة والصدقة، فعنه صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إصلاح ذات البين، فان فساد ذات البين هي الحالقة"<sup>(2)</sup> وقد تتوسّع دائرة الخلاف، ويترغّ الشيطان بين طائفتين من المؤمنين، فالإصلاح هنا أوجب وأؤكد، يقول الإمام الألوسي: «إن الآية السابقة والتي تحدّثت عن الإصلاح بين أخوين اثنين، تُؤكد وجوبه فيما فوق ذلك بطريق الأولوية لتضاعف الفتنة والفساد»<sup>(3)</sup>

وفي هذا يقول الحق تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>4</sup>، في ذلك إرشادٌ من المولى تعال إلى أن المسلمين إذا حدث شقاق بينهم، فعلى بقيتهم أن ينهضوا إلى السعي بالصلح بينهم، وبثّ السفراء إلى أن يرفعوا ما حدث من قطيعة وتمزّق لهذه العلاقة ما أمكن، وإلا إن لم يستجيبوا وأصروا على استمرار اشتعال نار الفتنة فإن الأمر يتجاوز مستوى الإصلاح والمصالحة إلى مقاتلتهم، قال الإمام الزمخشري: «ولا تخلُ الفتان من المسلمين في اقتتالهما، ما أن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا، فالواجب في ذلك أن يمشي بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والمودعة، فإن لم تتحاجزا وتصلّحا وأقامتا على البغي: صير إلى مقاتلتها»<sup>(5)</sup>.

فكان بذلك إصلاح ذات البين البلمس الذي يربط الحياة، فيجعلها جديرة أن يحيها الإنسان، ضمن شبكة علاقات يسودها الأمن والأمان المفضيان إلى الاستقرار وبالتالي إلى الإنتاج والابتكار..، وخير شاهد على ذلك، تاريخُ العرب قبل وبعد مجيء الإسلام يصفهم ابن خلدون في مقدمته فيقول: «..... أنظر أيضا شأن العرب أول الإسلام لما كانت عصائبهم موفورة، كيف غلبوا ما جاورهم من الشام والعراق ومصر، بأسرع وقت، ثم تجاوزوا ذلك إلى ما وراءه من الحبشة وإفريقية

<sup>1</sup>الزمخشري: الكشاف المجلد 4 ص 356 - 357.

<sup>2</sup>سبق تخريجه في ص

<sup>3</sup>الألوسي: روح المعاني المجلد 14 ج 26 ص 228

<sup>4</sup>الآيتين 9 و10 من سورة الحجرات.

<sup>5</sup>الزمخشري: الكشاف، المجلد 4 ص 355.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

والمغرب، ثم إلى الأندلس، فلما تفرّقوا حصصاً على الممالك والثغور، ونزلوها حامية، ونفذ عددهم في تلك التوزيعات أقصروا عن الفتوحات، وانتهى الأمر، ولم يتجاوز تلك الحدود، ومنها تراجعت الدولة حتى يأذن الله بانقراضها «(1).

ولقد تفتن الأعداء إلى الثغرة التي أحدثها المسلمون بتمزقهم وتشتتهم، فترأهم اليوم يستثمرون في هذا الضعف تخطيطاً، بل ويسعون إلى زرع الأحقاد التي تعمق الهوة بين المسلمين تجعلهم أطرافاً متناثرة، فصدق فينا حديث المصطفى: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، وليترعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم..." (2).

فشتان أيّ عدو على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة أن يستفيد من ضعف الطرف الآخر، ولعلّ ما زاد أعدائنا قوة، ضعفنا وتفرقنا الذي يشهد عليه ما تم إحصاءه بهذا الخصوص، فمن أبرز ثلاثين نزاعاً محتدماً في العالم، ثلاثون نزاعاً في العالم ثمانية وعشرون منها في العالم الإسلامي (3).

فما أحوج المسلمين اليوم إلى الإصلاح بين بعضهم البعض، حكماً ومحكّمين، وتحقيق الوحدة الإسلامية التي تُعزّ الإسلام وتردّ للمسلمين هيبته، وحريّ بمن يبحث عن إحياء الإسلام وإعادةه إلى مقام الريادة والسيادة، أن يتأسّى بالقدوة المهداة - الرسول الأعظم - الذي أسس دولةً شهد بعظمتها الأعداء قبل الأصدقاء، فكان أن انطلق في دربه من الإخاء من خلال بناء أول مسجد رمز إلى الوحدة والأخوة بين الجميع، مدرسة اجتماعية عبّدت الطريق لكل خير وصلاح بعد ذلك.

### 2/ الإصلاح بين الزوجين:

يقول الحق تعالى: ﴿...وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (4).

لو تأملنا هذا النص القرآني جيداً، لتبيّن لنا أن الإسلام قد أولى أهمية بالغة لمؤسسة الأسرة وقدّسها كيف لا؟ وهي النواة الأولى التي تُؤسس المجتمع وتبنيه، وبها يُوزن صلاح مجتمع من فساده، هذا الأمر الذي لا يخفى على كل صاحب لب، وهو الأمر الذي وضحه الدكتور وهبه الزحيلي بقوله: «الأسرة مؤسسة اجتماعية ذات أبعاد كبرى في الوجود الإنساني، وركيزة أساسية للحفاظ عليه وبقائه»

<sup>1</sup> ابن خلدون: المقدمة، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية بيروت - لبنان ط2: 1416/1996 ص 151.

<sup>2</sup> رواه أبو داود: كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، حديث رقم 4297، المجلد 4 ص 108.

<sup>3</sup> محمد راتب النابلسي في خطبة الجمعة بتاريخ 13/10/2006، تحت عنوان "أسباب تخلف المسلمين". موقع

<sup>4</sup> الآية 21 من سورة الروم.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

كما أنّها من ناحية أخرى تعتبر هي أقوى رابطة تربط بين اثنين من البشر أحدهما بالآخر. فعمل على تنظيمها وضبط الأمور فيها، وحرص على توفير ضمانات البقاء والاستمرار»<sup>(1)</sup>.  
و الحياة الزوجية شأنها في ذلك شأن أي تعامل يجمع بين شخصين، قد يختلفان ويتباينان، الأمر الذي قد يُفضي إلى كثرة المشاكل والمصاعب، وبالتالي إلى استحالة الاستمرار، وفي آخر المطاف الوصول إلى طلب الانفصال وفكّ الرابطة الزوجية.

لكنّ الشريعة الإسلامية، مع إقرارها بوجود المشاكل التي تفرزها مصاعب الحياة، والتي ورد ذكرها في كتاب الله في أكثر من موضع، أو التي جاءت بها السنة النبوية الشريفة في الأحاديث والآثار، فإنّها دعت الزوجين إلى التعقل، الذي قد يغيبُ مع ثورة الغضب، فأرشدتهما إلى عدم الاستسلام، والمبادرة بفكّ عقدة النكاح، وتهديم البناء الذي قد يُسببُ لهما تعباً وعباءً ابتداءً وللأبناء تبعاً، ناهيك عن المجتمع الذي لا يسلم هو الآخر من الآثار الوخيمة لذلك التصرف والذي يظهر في صور التشرد والحرمان....، التي تُشوّه بدورها البنية الاجتماعية. لذلك أوصى الزوجين بالترث والأناة وعدم العجلة في الفرقة، قال صلى الله عليه وسلم: " لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر" <sup>(2)</sup>، فدعاهما وهما مُختلفان إلى البحث والسعي عن مواطن الاتفاق، التي من شأنها جمع شمل الأسرة وإصلاح الخلل الذي أصابها، والمساعدة إلى حل المشكلات والخلافات التي تعرض لهما، ذلك ما يُعرف عند الفقهاء بالصلح مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿3﴾.

وتتجلى قيمة وعظمة اتخاذ الأسباب في الإصلاح بين الزوجين بقدر قيمة الإفساد فيها، فكان أن تقرّر أنّ الصلح بين الزوجين من أعظم أنواع الصلح، يشهد لهذا الكلام ما ثبت في الحديث النبوي، أنّ الشيطان يفرحُ أشدّ ما يفرح عندما يفرّق بين الزوج وامرأته، فعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يبيء أحدهم

<sup>1</sup> وهبة الزحيلي: الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، دار الفكر المعاصر: بيروت - لبنان، دار الفكر: دمشق - سورية ط1: 1420هـ - 2000 ص 79.

<sup>2</sup> رواه مسلم في كتاب الرضاع باب الوصية بالنساء حديث رقم: 1469، بيت الأفكار الدولية: عمان - الأردن، ط: 2005 ص 586.

<sup>3</sup> الآية 128 من سورة النساء.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته: قال: فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت" (1).

يقول الإمام القرطبي: «والصّٰلِحُ خَيْرٌ»، لفظٌ عامٌ مُطلقٌ يقتضي الصّٰلِحَ الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف، خير على الإطلاق، ويدخل في هذا المعنى جميع ما يقع عليه الصّٰلِح بين الرجل وامرأته في مال أو وطء أو غير ذلك، خير من الفرقة فإنّ التماذي على الخلاف والشحناء والمباغضة هي قواعد الشر» (2).

وما تجدرُ الإشارةُ إليه في هذا المقام أن طبيعة المنهج الإلهي في علاج هذه القضية، أنّه منهجٌ واقعيٌ يعمل حساباً لكل الظروف والاحتمالات التي يتعرّض لها بنو الإنسان (3)، حيث سار مع الواقع إلى مداه فنظر إلى ما يمكن أن يقع بين الزوجين من شقاق وخلاف، ووصف الدواء الناجع في كل حال، فنجد الشريعة الإسلامية قد حملت الزوجين مسؤولية قطع النزاع ابتداءً، فجعلتهما يتوليان الإصلاح بنفسيهما، وأرشدتهما إلى كيفية العلاج، لأنّهما الأعرَفُ بحالهما، والأحرص على تفهّم بعضهما البعض، وكما يقال: أهل مكة أدرى بشعابها، فيقول في ذلك عزمي قائل: ﴿...وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ (4).

فإن عجزاً فليُفوضاً حَكَمين من أهلها، يحكمان بينهما بالعدل وإذا لم يوجد من أهلها من يصلح لذلك، فيرسل من غيرهما عدلين، وقد يوكل السلطان حَكَمين يقومان بالتحكيم، لأخذ الحق من المخطئ وإلزامه على إزالة الضرر، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿...وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾ (5).

و جاء في تفسير المنار أنه وجب على المؤمنين المتكافلين في مصالحهم ومنافعهم أن يبعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها عارفين بأحوالهما، تتوجه إرادتهما إلى إصلاح ذات البين، فينظرًا في شكوى كل منهما ويتعرفًا على ما يرجى أن يصلح بينهما، فلا يدخرًا وسعًا في ذلك، ويسترضوهما بالتحكيم،

<sup>1</sup> رواه مسلم في كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: تحريش الشيطان وبعثة سراياه لفتنة الناس حديث رقم: 2813 بيت الأفكار

الدولية: عمان- الأردن، ط: 2005 ص 1131 و1132

<sup>2</sup> القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، المجلد 3 ج 5 ص 260.

<sup>3</sup> أحمد فراج حسين: أحكام الأسرة في الإسلام، دار الجامعة الجديدة للنشر: الإسكندرية - مصر، ط: 1418 / 1998 ص 19

<sup>4</sup> من الآية 34 من سورة النساء.

<sup>5</sup> الآية 35 من سورة النساء.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

وإعطائهما حَقَّ الجمع أو التفريق<sup>(1)</sup>، فَإِنَّ صَدَقَتْ نِيَّةُ الزَّوْجَيْنِ ابْتِدَاءً وَالْحَكَمَيْنِ ثَانِيًا فِي الْإِصْلَاحِ وَالنَّصْحِ لِلَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُوفِّقُهُمَا لِفِعْلِ الْخَيْرِ، اجْتِمَاعًا أَوْ تَفْرِيقًا يَقُولُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ: ﴿إِنَّ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾<sup>(2)</sup>، وَكُلُّ ذَلِكَ يَنْعَكِسُ بِصِفَةِ إِجَابِيَّةِ عَلَى الْأَوْلَادِ، فَيَكُونُ الْمُجْتَمَعُ أَكْثَرَ سَعَادَةً وَاطْمَئِنَانًا.

فَيَتَبَيَّنُ مِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ مَعَ اسْتِبَاحَتِهَا وَاسْتِحْلَالِهَا لِلطَّلَاقِ وَفَكِّ الرِّابِطَةِ الزَّوْجِيَّةِ بَعْدَ اسْتِحْكَامِ الْخِلَافِ وَاسْتِحَالَةِ الْاسْتِمْرَارِ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَبْغَضُ الْخِلَالَ عِنْدَ اللَّهِ الطَّلَاقُ"<sup>(3)</sup>، فَقَدْ سَعَتْ بِشَتْى الطَّرِيقِ وَالْأَسَالِبِ لِلتَّقْرِيبِ وَإِجْمَادِ نِقَاطِ التَّوَاظُقِ الَّتِي تَعِيدُ الْحَيَاةَ إِلَى مَجَارِيهَا بِتَوْفِيرِ فُرْصَةِ الْمَرَاجِعَةِ وَتَصْحِيحِ الْأَخْطَاءِ، وَالَّتِي يَتَوَلَّاهَا الزَّوْجَانِ بِنَفْسِيهِمَا، فَإِنَّ لَمْ يَتِمَّ كُنَّا فَقَدْ فَتَحَتْ مَنَفَذًا آخَرَ لِأَنَاسٍ خَارِجِ دَائِرَةِ الْأُسْرَةِ، لِإِنْقَاذِ مَا يُمْكِنُ إِنْقَاذُهُ قَبْلَ وَقُوعِ الطَّلَاقِ، فَيَسَاهِمُونَ مِنْ جِهَةٍ فِي دَفْعِ الضَّرْرِ الْحَاصِلِ فِي الْأُسْرَةِ خُصُوصًا فِي الْمُجْتَمَعِ عَمُومًا، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فَإِنَّ ذَلِكَ الْعَمَلَ يَكُونُ سَبَبًا فِي كَسْبِ الثَّوَابِ وَنَيْلِ الْأَجْرِ.

### 3/ الإصلاح بين الورثة:

لَقَدْ وَضَعَ الْإِسْلَامُ الْعَدِيدَ مِنَ الْقَوَاعِدِ وَالْأَسْسِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا تَنْظِيمُ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ لِتَمْنَحَهُمُ الْعَيْشَ الْهَيِّئِ وَ الْإِحْسَاسَ بِالْأَمَانِ، فَكَانَ الْعَدْلُ أَهَمَّ هَذِهِ الْأَسْسِ، إِذْ بِهِ اتَّصَفَ الْحَقُّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَكَانَ مِنْ أَسْمَائِهِ "الْعَدْلُ"، وَبِهِ أَقَامَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَجَعَلَ النَفُوسَ مَفْطُورَةً عَلَى مَحَبَّتِهِ وَالسَّعْيِ إِلَى تَحْقِيقِهِ، وَفِي الْمَقَابِلِ النُّفُورِ مِنَ الظُّلْمِ وَالظَّالِمِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾<sup>(4)</sup>، وَقَالَ تَعَالَى أَيْضًا: ﴿...إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾<sup>(5)</sup>، كَمَا جَعَلَ الْمُتَصَفِّ بِه فِي مَقَدِّمَةِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يَظْلَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ فَقَالَ: ".....إِمَامٌ عَادِلٌ".

وَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَقَدْ حَرَصَتْ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَلَى تَحْقِيقِ هَذَا الْمَبْدَأِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَدَعَتْ الْجَمِيعَ إِلَى عَرْضِ أَعْمَالِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ عَلَى مِيزَانِ الْعَدْلِ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ صَاحِبُ كُلِّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ، وَيَبْدُو ذَلِكَ جَلِيًّا فِي الْمَنَازِعَاتِ وَالْخُصُومَاتِ الْأُسْرِيَّةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْمِيرَاثِ وَالْوَصَايَا، ذَلِكَ أَنَّ

<sup>1</sup>محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج5 ص 63 و 64 .

<sup>2</sup>نفس الآية السابقة.

<sup>3</sup>أخرجه أبو داود: كتاب الطلاق، باب في كراهية الطلاق حديث رقم: 2178 المجلد 2 ص 261 .

<sup>4</sup>من الآية 90 من سورة النحل.

<sup>5</sup>الآية 58 من سورة النساء.



## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

الالتزام بالعدل فيها يعتبر من أهم الأسباب التي تضمن الحقوق لأصحابها، فترتاح وتطمئن الأنفس وتزول أسباب الغيظ التي تُفضي بدورها إلى التنافر وقطع صلة الرحم التي أمرنا الله عز وجل بوصلها. ولذلك نجد قد وُضِعَ الاحتياطات اللازمة التي تحقق هذا المبدأ في كل المجالات وما يهَمُّنا في هذا المقام هو كيفية تحقيقه في مجال الخصومات الأسرية حول الميراث والوصايا، لأنَّ الأصل فيها كما جاء في التفسير المنير أن تكون الوصية عملاً من أعمال الخير والبر بعد الموت<sup>(1)</sup> وهو المعنى نفسه الذي أشار إليه الشعراوي بقوله: لا ينبغي أن تكون الوصية زائغة عن العدل والصراف المستقيم، فيها حرمان للفقير وزيادة في ثراء الغني، وترك الأقربين<sup>(2)</sup>.

ويقول الإمام القرطبي: «نَلْمَسُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(3)</sup> حُكْمًا بِالظَّنِّ لِأَنَّهُ إِذَا ظَنَّ قَصْدَ الْفَسَادِ، وَجَبَ السَّعْيُ فِي الصَّلَاحِ وَإِذَا تَحَقَّقَ الْفَسَادُ لَمْ يَكُنْ صُلْحًا، إِنَّمَا يَكُونُ حُكْمًا بِالِدْفَعِ وَإِبْطَالًا لِلْفَسَادِ وَحَسْمًا لَهُ<sup>(4)</sup>. ولو تأملنا هذا النص القرآني جيدا نجده سبحانه وتعالى قد توعد في الآية التي قبلها الذين يبذلون الوصية وذلك في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ الْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ، فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(5)</sup>، أورد الرازي في تفسيره أن المراد بذلك التبديل هو تبديل الحق بالباطل، أما إذا غيّر من باطل إلى حق، على طريق الإصلاح فقد أحسن لأنَّ الإصلاح يقتضي ضرباً من التبديل و التغيير فذكر الفرق بين هذا التبديل وبين ذلك التبديل الأول بأنَّ أوجب الإثم في الأول وأزاله عن الثاني<sup>(6)</sup>. والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف عالج الإسلام الإصلاح في هذه القضية؟ ومن هم المسؤولون عنه؟ وكيف يتم؟

كل هذه الأسئلة سنحاول الإجابة عنها في هذا الطرح التحليلي.

<sup>1</sup> وهبة الزحيلي: التفسير المنير، دار الفكر المعاصر: بيروت - لبنان و دار الفكر : دمشق - سورية، ط 1: 1411هـ / 1991م ج

2 ص 119.

<sup>2</sup> تفسير الشعراوي، المجلد 2 ص 760.

<sup>3</sup> الآية 182 من سورة البقرة.

<sup>4</sup> القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، المجلد 13 ج 2 ص 182.

<sup>5</sup> الآيتين 180 - 181 من سورة البقرة.

<sup>6</sup> الرازي : التفسير الكبير، المجلد 3 ج 5 ص 56.

جاء في تفسير الطبري أن بعض أهل التأويل يرى أن من حضر مريضاً وهو يُوصي عند إشرافه على الموت، فخاف أن يُخطئ في وصيته فيفعل ما ليس له، أو أن يعمدَ جوراً فيها فيأمر بما ليس له الأمر به، فلا حرج على من حضره فسمع ذلك منها أن يصلح بينه وبين الورثة<sup>(1)</sup>.

وذكر الرازي أن الظاهر أن المصلح هو الوصي الذي لا بد منه في الوصية وقد يدخل تحته الشاهد، وقد يكون المراد منه من يتولى ذلك بعد موته من وال أو ولي<sup>(2)</sup>. وبه قال قتادة: «أنه هو الرجل يوصي فيحيف في وصيته، فيردها الولي إلى الحق والعدل»<sup>(3)</sup>.

والملاحظ من خلال ما سبق أن دائرة المصلحين هي دائرة واسعة شملت أطرافاً متعددة حتى من هم ليسوا معنيين بالميراث ولا الوصية، ولعل في ذلك إشارة إلى أن مهمة الإصلاح هي مهمة اجتماعية عظيمة، لا تختص بشخص معين أو جماعة معينة وإنما هي تكليف لكل من كانت له القدرة والاستطاعة على فض النزاع وإنهاء الخصومة. وهذا الذي عبّر عنه الشعراوي بالوحدة الإيمانية في نفوس المسلمين التي تستوجب ضرورة التآزر والتواصي بين المؤمنين حماية لهم ولأمواهم. فقال: «أن المؤمن الذي يتصدى لإصلاح من هذا النوع قد يكون غير وارث ولا هو من الموصي لهم ولا هو الموصي، إنما هو مجرد شاهد»<sup>(4)</sup>.

أما عن المعنى بالإصلاح، فحتى تتمكن من الإجابة، علينا أن نُحدد أطراف النزاع.

جاء في تفسير ابن جرير الطبري أن الآراء اختلفت على أربع: (5)

الرأي الأول: منهم من يرى أن النزاع يحصل بين الموصي وبين الورثة.

الرأي الثاني: منهم من يرى أنه يحصل بين الموصي والوصي.

الرأي الثالث: منهم من يرى أنه يحصل بين الموصي والوصي والورثة.

الرأي الرابع: الإصلاح بين الورثة.

وأولى الأقوال ما ذكره ابن جرير.

<sup>1</sup> الطبري : تفسيره، المجلد 2 ص 129.

<sup>2</sup> نفس المرجع السابق ص 57.

<sup>3</sup> نفس المرجع نفس ص

<sup>4</sup> الشعراوي: تفسير الشعراوي ، ج2 ص 761 .

<sup>5</sup> الطبري : تفسير الطبري، المجلد 2 ج2 ص 129 - 130 .

و يبدو أن ابن جرير قد جمع بين الآراء الأربعة على اعتبار الاحتمالات المتوقعة لنشوب الاختلاف والتراع بين كل من تربطهم العلاقة بالموصي، فقال رحمه الله تعالى: «أَنَّه لَا بَأْسَ عَلَى مَنْ حَضَرَ أَنْ يُصَلِّحَ بَيْنَ (الْمَذْنِبِينَ) الَّذِينَ يُوصِي لَهُمْ وَبَيْنَ وَرَثَةِ الْمَيْتِ وَبَيْنَ الْمَيْتِ، بِأَنْ يَأْمَرَ الْمَيْتَ فِي ذَلِكَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَعْرِفَهُ مَا أَبَاحَ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ وَأَذِنَ لَهُ فِيهِ مِنَ الْوَصِيَّةِ فِي مَالِهِ، وَيَنْهَاهُ أَنْ يَجَاوِزَ فِي وَصِيَّتِهِ الْمَعْرُوفَةَ الْمَذْكُورَةَ»<sup>(1)</sup> ذلكفي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ الْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ...﴾<sup>(2)</sup>.

أما عن بيان كيفية الإصلاح فإنَّ المعروف أن هذا الأخير يشمل الجنف والإثم الحاصل والذي تعيّن من خلال نسخ هذه الآية بآيات الميراث، فإمّا أن يكون زيادةً أو نقصاناً أو عدولاً ولا يصلح حالها إلا بإزالتها ورد كل حقّ إلى مستحقّه<sup>(3)</sup>.

وفي الأخير نخلص إلى أن الإسلام قد سجلّ وقفةً مهمّةً فيما يخصّ التزاعات التي تقع بين الورثة، ذلك أن الله سبحانه وهو الأعلم بأحوال الخلق، وشهوات وزلات الأنفس التي قد تنحرف وتضعف أمام شهوة المال، فحرص على أن يكون ميزان الحق والعدل مرجعيةً لكل من سوّلت لهم أنفسهم التعدي على حقوق الآخرين بغير وجه حق، فدعا كلّ الأطراف المرتبطة بقضية الميراث من موصٍ وموصى إليه وشاهدٍ إلى إتباع ما أقرّته الشريعة الإسلامية من أحكام متعلّقة بذلك، خاصة وأن هذه الأطراف تحكمها رابطة صلة الرحم، فيضمن لكل ذي حق حقه، فيتلافى بذلك التراع والخلاف، الذي تسعى الشريعة الإسلامية إلى الحد منه في كل العلاقات الإنسانية عموماً وفي العلاقات الأسرية خصوصاً.

<sup>1</sup>المصدر السابق، ص السابقة

<sup>2</sup>الآية 180 من سورة البقرة.

<sup>3</sup>الرازي: التفسير الكبير، المجلد 3 ج 5 ص 58.

### 4/ الإصلاح إلى اليتامى:

تتجه الشريعة الإسلامية في كل نظمها وقواعدها إلى تحقيق التكافل الاجتماعي، الذي يضمن لكل من لحق به ضرر أو عجز، مدّ يد العون وسدّ الحاجة، سواء على الصعيد المادي أو المعنوي. فكان أن نالت شريعة هي في أمسّ الحاجة إلى تطبيق هذا المبدأ وإرسائه حظها في ذلك، ويتعلق الأمر باليتيم، الذي دعانا القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى الاهتمام بأمره والانتباه إلى حاله، حتى لا يبقى هذا العنصر مهماً ومهمّشاً، فيُعطي بذلك صورة لا تقبل الجدل بأنّ ذلك هو مخالف لمقاصد التشريع التي تقتضي جمع القلوب بعضها إلى بعض، في جوّ تسوده المحبة والألفة، يعيش في ظله الضعيف عموماً واليتيم خصوصاً، غير خائف من ضياع حقوقه ولا سلب أمواله ولا منعزلاً غير قادر على أداء دوره في الحياة الاجتماعية كبقية الأفراد.

ولعلنا لو تتبعنا لفظ اليتيم في القرآن الكريم<sup>(1)</sup>، فإننا نلاحظ أنّ شريعتنا قد استوصت به خيراً فاعتنت بحقوقه النفسية والاجتماعية والمالية ويظهر ذلك جلياً في الآيات القرآنية الآتية التي يقول فيها عز من قائل: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾<sup>(2)</sup>. وقوله أيضاً: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾<sup>(3)</sup>.

وفي موضع آخر: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ أُنْفِقُ مِمَّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَإِبنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾<sup>(4)</sup>. وقوله أيضاً: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾<sup>(5)</sup>.

غير أننا لو دققنا في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(6)</sup>، لاستوقفنا لفظة

<sup>1</sup> محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص 770.

<sup>2</sup> من الآية 36 من سورة النساء.

<sup>3</sup> الآية 9 من سورة الضحى.

<sup>4</sup> من الآية 215 من سورة البقرة.

<sup>5</sup> من الآية 2 من سورة النساء.

<sup>6</sup> من الآية 220 من سورة البقرة.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

الإصلاح كمؤشر من مؤشرات العناية باليتيم، هذا الإصلاح الذي يلاحظ أنه صيغ في شكل إجابة لسؤال تضمنته الآية الكريمة في قوله: "يسألونك".

فما المقصود بالإصلاح في هذه الآية؟

و بالرجوع إلى كتب التفسير ومحاولة استقراءها يتبين أن الإصلاح قد انصرف إلى رأيين :

**الرأي الأول:** الذي يرى أن الإصلاح في هذه الآية ينصرف إلى العناية المالية، وذلك بالنظر إلى سبب النزول الذي أوردته كتبُ التفاسير بسبب خوف بعض الصحابة من خلط أموالهم بأموال اليتامى. جاء في تفسير القرآن العظيم أن ابن عباس قال: لما نزل قوله تعالى ﴿...وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(1)</sup>، وقوله أيضا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾<sup>(2)</sup>، انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾<sup>(3)</sup> فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم وبشرابهم، وقالت عائشة رضي الله عنها: إني لأكره أن يكون مال اليتيم عندي على حدا، حتى أخلط طعامه بطعامي وشرابه بشرابي، فقوله: "قل إصلاح لهم خير"، أي على حدا، ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي وإن خلطتم طعامكم بطعامهم وشرابكم بشرابهم فلا بأس عليكم لأنهم أخوانكم في الدين<sup>(4)</sup>، وأورد القرطبي: إن فذلك دليلاً على جواز التصرف في مال اليتيم، تصرف الوصي في البيع والقسمة وغير ذلك على الإطلاق لهذه الآية. فإذا كفل الرجل اليتيم وحازه وكان في نظره، جاز عليه فعله وإن لم يقدمه وال عليه، لأن الآية مطلقة والكفالة ولاية عامة<sup>(5)</sup>.

**الرأي الثاني:** والذي يرى أن الإصلاح في الآية مطلق لا يقتصر على جهة معينة منه، بل يشمل كل صور الإصلاح، للأموال باستثمارها وتنميتها، وفي الوقت نفسه تشمل إصلاح اليتيم في بقية نواحي حياته، كالتربية والتهديب، و بعبارة أخرى التكفل باليتيم ليكون إنساناً صالحاً.

<sup>1</sup> من الآية 152 من سورة الأنعام.

<sup>2</sup> الآية 10 من سورة النساء.

<sup>3</sup> من الآية 220 من سورة البقرة.

<sup>4</sup> محمد علي الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير، دار الشهاب - الجزائر المجلد 1 ص 193 و 194.

<sup>5</sup> القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، المجلد 2 ج 3 ص 43

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

ويفضّل ابن عاشور قضية الإصلاح لليتامى فيقول: «استعمل "لهم" دون الإضافة، إذ لم يقل إصلاحهم لئلا يُتوهم قصرهم على إصلاح ذواتهم، لأنّ أصل إضافة المصدر أن تكون لذات الفاعل أو ذات المفعول فلا تكون على معنى الحرف، ولأنّ الإضافة لما كانت من طرق التعريف كانت ظاهرة في عهد المضاف، فعدل عنها لئلا يُتوهم أنّ المراد إصلاح معين، كما عدلَ عنها في قوله تعالى: "إيتوني بأخ لكم من أبيكم"، ولم يقل بأخيكم ليوهمهم أنّه لم يرد أحاً معهوداً عنده، والمقصود هنا جميع الإصلاح لا خصوص إصلاح ذواتهم، فيشمل إصلاح ذواتهم وهو في الدرجة الأولى، ويتضمن ذلك إصلاح عقائدهم وأخلاقهم بالتعليم الصحيح، والآداب الإسلامية، ومعرفة أحوال العالم، ويتضمن إصلاح أمرجتهم بالمحافظة عليهم من المهلكات، والأخطار، والأمراض، ودفع الأضرار عنهم، بكفاية ما يحتاجون،.....، ولقد أبدع هذا التعبير فإنّه لو قيل: إصلاحهم لتوهم قصره على ذواتهم فيحتاج في دلالة الآية على إصلاح الأموال إلى القياس، ولو قيل: قال تدبيرهم خير ليتبادر إلى تدبير المال فاحتيج في دلالتها على إصلاح ذواتهم إلى فحوى الخطاب، فالمعنى إصلاح أمورهم خيرٌ من إهمالهم أي أفضل ثواباً، وتحتّم أن يكون صفةً مقابل الشر إن كان خطاباً لتغيير الأحوال التي كانوا عليها قبل الإسلام<sup>(1)</sup>.

وفي دراسة نفسية تحت عنوان "حاجات الطفل اليتيم" يقول صاحبها: "أنّ الطفل اليتيم يحتاج إلى الغذاء ولكنه في حاجة أكبر إلى أن تُقدّم له مع الغذاء روحاً ترفاً بالرحمة والشفقة والعطاء، روحاً يستشعرها ويُجسّدُها في علاقته مع مَنْ حوله، وهذا يكون كمثل الأم التي تُرضع ابنها وتُعطيه مع الرضاعة لمسات دافئة من الحنان والمودة والرحمة كي يتلبسها في ذاته وكي تنعم نفسه بالاطمئنان والهناء، وبعد الحاجة إلى المحبة تأتي الحاجة إلى القبول، هذه الحاجة التي ينبغي أن يُجسّدُها العاملون مع الأيتام في سلوكهم و تصرفاتهم، لأنّ أشعارهم بالقبول سوف ينعكس إيجاباً على شعورهم بالطمأنينة والأمان ويعمق ثقتهم بأنفسهم وبالمجتمع من حولهم والتي غالباً ما يفتقدونها الأيتام، وعلى العكس من ذلك فإنّ إحساس اليتيم بالنبد وشعوره بأنّه غير مرحب به في المجتمع سوف يُولد لديه نوع من الشعور بالذنب ويرافقه إحساس عميق بالقلق، وهنا يحاول أن ينسج لنفسه وحوله أوهاماً وأسباباً خياليةً مغترّاً به عن الواقع وهذا ما يترك أثراً سلبية على صحته النفسية<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 2 ص 356.

<sup>2</sup> موقع شبكة النبا المعلوماتية، حسن الحمداوي: مظاهر الصحة النفسية للطفل اليتيم، تاريخ: 6 جمادى الأولى 1430هـ.

- وكان آية الإصلاح إلى اليتامى في هذا السياق تجمع معاني الإحسان إلى اليتيم التي فصلت فيها سورة الضحى، يقول تعالى: ﴿...أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾<sup>(1)</sup>، فيتبين أنها رمزت إلى الاعتناء باليتيم من ناحيتين:
- الجانب المادي: ورمز له بالمأوى الذي يحتضن اليتيم، فيكون بعيداً عن الشارع وقساوتهم من جهة، ومن جهة أخرى فاليتيم يحتاج إلى المال سواء بالصدقة عليه أو بتنمية ماله واستثماره حتى يصبح قادراً مؤهلاً لإدارة أمواله بنفسه.
  - الجانب المعنوي: وأشار إليها من جهة الهداية وما تتضمنه كلمة الهداية من تربية صالحة وتوجيه حسن، غير أن ذلك يتطلب قلباً ممزوجاً بالرحمة والعطف.
- فالعمل مع اليتيم هو تجارة رابحة مع الله سبحانه وتعالى، تحتاج إلى إخلاص وصبر، لذلك يقول عز من قائل ﴿...وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>الآيات من 6 إلى 10 من سورة الضحى.

<sup>2</sup>من الآية 220 من سورة البقرة

المبحث الثاني: الإصلاح العام للحياة

المطلب الأول: الإصلاح المعنوي.

1/ إصلاح الذات بعد الفساد .

2/ إصلاح الآخرين ( الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

المطلب الثاني: الإصلاح المادي ( البيئة و المحيط ).



## المبحث الثاني

### الإصلاح العام للحياة ( المادي والمعنوي )

تمهيد:

عَهَدَ اللهُ إِلَى بَنِي الْبَشَرِ مَهْمَةً الْإِسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ، فَكَانَ الْأَمْرُ بِهِ وَالِدَعْوَةَ إِلَيْهِ وَاضِحَةً فِي أَكْثَرِ مَنْ مَوْرَدٍ وَمَوْطِنٍ، يَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ (1)، وقوله أيضا: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ...﴾ (2)، أفادت في مجموعها أن القيام به والعمل في إطاره يقع ضمن التكاليف والواجبات الشرعية التي نصَّ عليها الشارع الحكيم. ولما كان الإصلاح أحد التكاليف التي تضمَّنَّها معنى الاستخلاف، على اعتبار أن الفعل في كليهما يقع من قبيل أن:

- الفعل في الإصلاح يتجه صوب العمل النافع والصالح، من حيث إزالة الفساد أو تحسين الصلاح أو محاولة إيجاد من عدم، في كل موجودات الكون.
- والخلافة تعني أول ما تعني ترقية الذات الإنسانية من خلال جهاد مع النفس وجهاد إزاء البيئة الكونية يهدف إلى تحقيق السمو الفردي في مراقبي الفضيلة والعلم والمعاني الإنسانية، والسمو الجماعي في مراقبي التعاون والتراحم والتكافل، والسمو المنهجي في التعامل مع بيئة الكون بما يضمن الانتفاع بها والمحافظة عليها على أحسن الوجوه من الانتفاع، وكل ذلك في نطاق الاقتراب من الله تعالى، بتطبيق أوامره ونواهيه<sup>3</sup>.

فإن ذلك أكسب الإصلاح أهمية لا يستهان بها، وشكّل بذلك محورا أساسيا من محاور الشريعة الإسلامية، ومبداً قامت عليه مختلف الدعوات والرسالات السماوية، فكان بذلك منطلقاً أساسياً أثبتت عليه وصية نبينا موسى لأخيه هارون عليهما أفضل الصلاة والتسليم، في قوله تعالى: ﴿...وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (4).

جاء في تفسير المنار أنه أوصاه بالإصلاح فيهم والإصلاح بينهم<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> من الآية 30 من سورة البقرة.

<sup>2</sup> من الآية 26 من سورة ص.

<sup>3</sup> عبد المجيد النجار: الاستخلاف في فقه التضرر الإسلامي، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية، ماليزيا، العدد 1 سنة 1417، ص 94.

<sup>4</sup> الآية 142 منسورة الأعراف.

<sup>5</sup> محمد رشيد رضا: تفسير المنار، المجلد 5 ج 8 ص 28

وفي التفسير المنير الإصلاح هو الاجتهاد في الأعمال الصالحة (1)

وذكر الإمام القرطبي أنّ "أصلح" أي "أرفق بهم، وأصلح أمرهم، وأصلح نفسك، أي كن مصلحاً" (2)، كما ورد ذكر هذه الوصية في قصة شعيب مع قومه، عندما طلب منهم إتباع سبيل الإصلاح وبالمقابل اجتناب الفساد في قوله تعالى: ﴿وإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (3).

ذكر ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية الكريمة، أنّ المراد بالإفساد في الأرض، هذه الكرة الأرضية بما تحتوي عليه من الأشياء القابلة للإفساد من الناس والحيوان والنبات وسائر الأنظمة والنواميس التي وضعها الله لها (4)، وفي موضع آخر قال: «الأرض خلقت من أول أمرها على صلاح، على نظام صالح بما تحتوي عليه، وبخاصة الإنسان الذي هو أشرف المخلوقات التي جعلها الله على الأرض» (5)، وهو ما أشير إليه في التفسير المنير بأنّ الإصلاح عامٌ يشمل العقيدة والسلوك والأخلاق ونظام المجتمع والحضارة والعمران وسائر وجوه التقدم الزراعي والصناعي (6) ويضيف في موضع آخر فيقول: «لا تفسدوا شيئاً في الأرض بعد الإصلاح، بما بناه المرسلون وأتباعهم المصلحون، وشيّدوا العقلاء المخلصون من النواحي المادية والمعنوية، كتقوية وسائل الحياة من زراعة وصناعة وتجارة و تهذيب الأخلاق والحث على العدل والشورى والتعاون والتراحم» (7).

وبتمعن بسيط في الأقوال السابقة يتبين أنّ: الإصلاح الذي كلف به الإنسان ودُعي إليه يستوعب ويستهدف إصلاح الحياة عامة فيشمل بذلك الحياة بشقيها المادي والمعنوي.

- أما الإصلاح المادي: فيتعلق الأمر بالبيئة وبعبارة أدقّ إلى المحيط وكل ما من شأنه تحقيق

الحضارة والعمارة، حيث تَمَّت الإشارة إليه في الأقوال السابقة للمفسرين بألفاظ تنتمي إلى هذه

<sup>1</sup> وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج5 ص331.

<sup>2</sup> القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، المجلد 4 ج 7 ص177.

<sup>3</sup> الآية 85 من سورة الأعراف.

<sup>4</sup> الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، المجلد 1 ج 1 ص 28.

<sup>5</sup> نفس المصدر السابق، المجلد 5 ج 8 ص 174.

<sup>6</sup> وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج5 ص 331.

<sup>7</sup> المصدر السابق ج 8 ص 240.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

---

المنظومة البيئية من حيوان ونبات وأشياء تُحيط بالإنسان، أوجدها الله سبحانه وتعالى وسخرها له.

- أما الإصلاح المعنوي فيُقصدُ به إصلاح الإنسان، سواء تعلّق الأمر بذاته، أو بغيره، وهو المعنى الذي أشار إليه الإمام القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: "وأصلح" بأن أمر موسى أخاه هارون عليهما السلام إصلاح نفسه وإصلاح غيره، ولا يتأتّى ذلك إلا بإتباع شرع الله ودينه الذي ارتضاه لبي آدم من عقيدة وعبادات ومعاملات وأخلاق.

فكان بذلك الإصلاح مؤشراً وعلامة واضحة على قيام الإنسان بأنبل وأشرف دور له، ألا وهو الخلافة.

المطلب الأول: الإصلاح المعنوي ( إصلاح الذات بعد الفساد).

تبيّن مما سبق أنّ المقصود بالإصلاح المعنوي، هو كل إصلاح يتجه نحو الإنسان وبصفة أدقّ، إلى أعلى ما فيه وهي نفسه، هذه الأخيرة التي تعتربها وتمتّزج بها شوائب تحجب عنها صفاتها ونقاها، فتعترك فيها قوى الشر والخير، والتي تقتضي منه في الحالين وقفة يسجّل فيها ما يعرف بالتخلية والتحلية.

أما الحالة الأولى فهي التي تبذل فيها الجهود وتَشقّ فيها السبيل، سعياً لتخليصها من أدران الفساد والأمراض التي تعلق بها، والتي تحوّل بين الشخص وبين أداء مهمته في الأرض، سواء تعلق الأمر بذاته ومهمته الفردية وهو ما يعبر عنه بتزكية النفس، أو بالذوات الأخرى التي تنتظر منه -حسب ما أقرّه الشرع - دفع الضرر عنها ودعوها إلى ما يصلح حالها في الدارين الدنيا والآخرة، من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ.....﴾ (1).

وبعبارة أخرى إنّ كانت النفس زكيةً طاهرةً تسعى للحفاظ على ذلك، واكتساب زيادة صفاء، وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك، فيبقى سعي الإنسان في هذا المقام يتأرجح بين أبعاد ثلاث:

- إما أن يكون حذراً قبل أن يقع في الزلات ويفسد حاله فيكون الإصلاح من قبيل الوقاية.

- إما أن يكون غارقاً في وحل المنكرات و المفاسد فيكون الإصلاح من باب العلاج.

- إما أن يكون على قدر من الخير وطهارة للنفس، تحمله على اكتساب حال أفضل، فيكون الإصلاح

من باب الاستثمار.

وما ينبغي التنويه إليه إلى أنّ الحالة الأولى والثالثة والتي ترفق بحالي الوقاية والاستثمار، لا تحتاج إلى

كثرة شرح وتفصيل، نظراً لأنّ ذلك معلوم من الدين بالضرورة.

أما الحالة الثانية - محل الدراسة - فقد ورد في شأنها ما يوضّح ويفصّل سبل علاج وإصلاح الخلل الحاصل في الإنسان، فنجد أنه الشريعة السمحة قد نبّهته عند الإحساس بالاتجاه نحو الانحراف والهلاك، عليه أن يحذر ويسعى جاهداً للتوبة وإصلاح حاله، فلا يغفل عن المحاسبة، يُروى أنّ عمر بن الخطاب

<sup>1</sup> من الآية 110 من سورة آل عمران.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

قال في هذا الصدد : "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر ، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا" (1) .

لذلك لو تتأمل كتابَ الله الكريم نجد في ثناياه آيات عديدة تتحدث عن التوبة تصل إلى 70 آية (2) . فكانت التوبة التي دعا إليها القرآن الكريم السبيل إلى النجاة؛ إذ بها يدخل المؤمن مرحلة جديدة من الصفاء؛ ويسدل على ماضيه الستار، وفي هذا راحة لنفسه وطمأنينة لقلبه، الأمر الذي يدفعه إلى تقويم سلوكه والتسابق إلى الخير واجتناب الشر.

قال تعالى: ﴿...إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (3) وقال في موضع آخر: ﴿...ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (4)، يعلّق الشعراوي على ذلك فيقول: « يعلن الحق -جل وعلا - أنه لا يقبل التوبة بمجرد إعلان لفظي وإنما يشترط على كل تائب من كل ذنب أن يحدث إصلاحا مثلما مارس الإفساد بالذنب» (5) .

بداية لوتتبعنا كتابَ الله يظهر لنا اقتران التوبة بالإصلاح في ثمان مواضع كان فيها الإصلاح شرطا من شروط قبول توبة التائب.

يقول الإمام الألوسي: «ذَكَرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ فَسَّرَهُ عَلَى أَنَّهُ الِاسْتِقَامَةُ عَلَى التَّوْبَةِ، وَلَعَلَّهُ مَنْدَرَجٌ فِي التَّوْبَةِ وَمَكْمَلٌ لَهَا» (6)

و يقول سيد قطب: «إنَّ التَّوْبَةَ وَالِإِصْلَاحَ تَعْدِيلَ أُسَاسِي فِي الشَّخْصِيَّةِ وَالْكَيْنُونَةِ وَالْوَجْهَةَ وَالطَّرِيقَ وَالْعَمَلَ وَالسَّلُوكَ» (7)، و ذكر صاحب المنار أنَّالإصلاح هو إتياع ذلك العمل السيئ التأثير على

<sup>1</sup> رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرفائق والورع باب 25/24 حديث رقم 2459 ، عارضة الاحوذى بشرح صحيح

الترمذي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 : 1418 هـ / 1997م، المجلد 5 ج 9 ص 207 .

<sup>2</sup> آمال بنت صالح نصير : التوبة في ضوء القرآن الكريم، دار الأندلس الخضراء: جدة- السعودية، ط1: 1419 / 1998 ص53-54

<sup>3</sup> الآية 160 من سورة البقرة.

<sup>4</sup> الآية 119 من سورة النحل.

<sup>5</sup> الشعراوي : تفسيره المجلد 2 ص 678 بتصرف.

<sup>6</sup> الألوسي: روح المعاني، المجلد 8 ج 14 ص 368.

<sup>7</sup> سيد قطب : في ظلال القرآن، المجلد 4 ج 1 ص 2600 .

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

النفس، عملاً يضاده ويذهب بأثره من قلبه حتى يعود إلى النفس زكاًؤها وطهارتها وتصير كما كانت من قبل أهلاً لنظر الرب<sup>(1)</sup>.

وفيما يلي نُبيِّن مدى احترام القرآن الكريم للمسيئين بعد توبتهم ليعودوا إلى مجتمعهم عناصر طاهرة تُمارس دورها الطبيعي في بنائه وإعمارهِ، من خلال الأمثلة الآتية:

○ فحينما يتكلم الله عن المنافقين الذين راجعوا أنفسهم وصحت ضمائرهم وفكروا في العودة إلى الطريق الواضح وإلى الطريق السليم، بيّن جلّ وعلا أنه لا يقبل هذه التوبة إلا إذا رافقها قيام بالإصلاح، فقال تعالى: ﴿...إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(2)</sup>، جاء في تفسير الجامع لأحكام القرآن أن في الآية الكريمة استثناء ممن نافق، ومن شرط التائب من النفاق أن يصلح في قوله وفعله، ويعتصم بالله، أي يجعله ملجأ وملاذ، ويخلص دينه لله؛ كما نصت عليه هذه الآية؛ وإلا فليس بتائب<sup>(3)</sup>.

○ والذي يَكْتُمُ العلمَ ويَحْبِسُ الحق، وَيَطْطِقُ بالباطل، ثُمَّ يَذْكَرُ خطأه، وَيُرِيدُ أَنْ يُصَحِّحَ مساره ويتوب إلى ربه، يقول الحق تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(4)</sup>،

يعلّق على ذلك الإمام القرطبي فيقول: «استثنى الله تعالى التائبين الصالحين لأعمالهم وأقوالهم المنيين لتوبتهم. ولا يكفي في التوبة عند علمائنا قول القائل: قد تبت، حتى يظهر منه في الثاني خلاف الأول فإن كان مرتداً رجوعاً إلى الإسلام مظهراً شرايعه، وإن كان من أهل المعاصي ظهر منه العمل الصالح وجانب أهل الفساد والأحوال التي كان عليها، وإن كان من أهل الأوثان جانبهم وخالط أهل الإسلام وهكذا يظهر عكس ما كان عليه»<sup>(5)</sup>.

○ والذين يرمون الناس بالسوء ويتهمون البراء بالغيب ويلوكون أعراض الناس، ثم يريدون التوبة والرجوع إلى المجتمع، يوضح الله أنه لا يقبل منهم التوبة حتى يُمارسوا الإصلاح، يقول تعالى: ﴿...والذين

<sup>1</sup> محمد رشيد رضا: المنار، ج 7 ص 450.

<sup>2</sup> الآية 146 من سورة النساء.

<sup>3</sup> القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، المجلد 3 ج 5 ص 273.

<sup>4</sup> الآيتين 159 و160 من سورة البقرة.

<sup>5</sup> نفس المصدر السابق المجلد 1 ج 2 ص 126.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

يَرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون<sup>1</sup> الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(1)</sup>

وكذلك الأمر فيما يخص ذنباً آخر في حق أموال الناس وهي السرقة، يُرشدنا الحقُّ أنه لا يقبل التوبة إلا بعد رد المظالم إلى أهلها، فيقول تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(2)</sup>، وينطبق الأمر كذلك على سائر الذنوب التي يتوب أصحابها بعد الذنب.

○ والكافر الذي ارتدَّ ورجع وأراد أن يستقر على الحق، يقول له الله تعالى: مثلما كانت ردَّتكَ إفساداً في الأرض، فلا يُقبلُ منك إلا إذا مارست مع الإيمان عملاً صالحاً: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (86) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (87) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (88) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(3)</sup>.

ولو تأملنا الآيات التي تتحدث عن قبول التوبة في شتى أنواع الذنوب والمعاصي نجدُها مقترنةً بأداة الاستثناء "إلا" و التي تُفيد قبول التوبة بشرط الإصلاح، لأنه و كما قال محمد الطاهر بن عاشور: «شرط كل توبة أن يتدارك التائب ما يمكن تداركه مما أضعاه بفعله الذي تاب منه»<sup>(4)</sup>.

قضية واضحة في كل آيات كتاب الله بين تفصيلها قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(5)</sup>، فيجتمع الإصلاح مع بقية الشروط الأخرى التي تتحقق بها التوبة غير أن آية صدق التوبة الإصلاح في العمل<sup>(6)</sup> على حد تعبير سيد قطب.

لنخلص في النهاية إلى أن طريقة إصلاح النفوس يكون بدوام علاجها بالرجوع إلى اللهفتمة التوبة والرجوع إلى الله لا يتوقف عند الإقلاع عن معصيته، بل لابد له من عمل وجهد في طاعته وهو المقصود بالإصلاح بعد الفساد، وهو ما وضحه ابن باديس حين قال: «أن النفوس بما ركبت فيها من

<sup>1</sup> الآية 89 من آل عمران.

<sup>2</sup> الآية 39 من سورة المائدة.

<sup>3</sup> الآيات من 86 إلى 89 من سورة آل عمران.

<sup>4</sup> محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ج 2 ص 72.

<sup>5</sup> الآية 119 من سورة النحل.

<sup>6</sup> سيد قطب: في ظلال القرآن، المجلد 1 ج 4 ص 151.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

شهوة وبما فطرت عليه من غفلة ، وبما عرضت له من شؤون الحياة وبما سلط عليها من قرناء السوء ومن شياطين الإنس و الجن - لا تزال - إلا من عصم الله في مُقَارَفَةِ الذنوب ومواقعة معصية صغيرة أو كبيرة من حيث تدري أو لا تدري، وكل فساد يطرأ عليها يجب إصلاحه بإزالة نقصه وإبعاد ضرره عنها، وهذا الإصلاح لا يكون إلا بالتوبة وبالرجوع إلى الله ولما كان طروء الفساد متكررا فالإصلاح كذلك»<sup>(1)</sup>.

كما يتبين أيضا أن منهج الإصلاح في الشريعة الإسلامية، مبني أساساً على إصلاح النفس البشرية، ويعدّ أوّل وأهم خطوة في طريق الإصلاح وكل شيء بعده سيصلح بصلاحه، والعكس صحيح، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "..... ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهو القلب"<sup>(2)</sup>. وهو ما فسره حسن البنا رحمه الله عندما قال: «الفرق بين القوانين السماوية والقوانين الوضعية، أن الأولى تتغلغل في نفوس الناس وتقيم في كل نفس حارساً على نفسها، أما الثانية فقد قصرت عن المعنى النفساني، ومن هنا كانت قاصرةً على القضاء على الجريمة»<sup>(3)</sup>.

وهذا يجرّنا للحديث عن نقطة أخرى تتعلق بفقهِ الأولويات، فنجد أن الإسلام قد نظّم سلّم الأولويات في الحياة عموماً و في الإصلاح بشكل خاص ، فجعل إصلاح النفس والقلب قبل أي إصلاح، هذه النقطة التي سيتم التعرض إليها بالتفصيل في أولويات الإصلاح.

### 2/ إصلاح الآخرين: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إنّ من تمام قيام الإنسان بمهمّة الإصلاح في الأرض بعد إصلاح نفسه، أن يتوجه ويلتفت إلى من يستظل معه تحت مظلة الإنسانية عموماً والإسلام خصوصاً، بأن يسحبّه ويجرّه معه إلى هذا الطريق وبعبارة أخرى، أن يسعى جاهداً لهداية الآخرين إلى هذا الخير، من خلال ما يُعرف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد ورد في نزهة الأعين النواظر أنّ معاني الإصلاح الأمر بالمعروف والنهي عن

<sup>1</sup> عبد الحميد بن باديس: آثار عبد الحميد ابن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر، ج1 ص 236.

<sup>2</sup> أخرجه البخاري ، كتابالإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم: 25، ج ص 34.

<sup>3</sup> سوسن هندي: حسن البنا كيف نفهم الإسلام، المكتبة الفاروقية: بيروت - لبنان، ط: 1413هـ / 1992 م، ص 159.



## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

المنكر، قال تعالى: ﴿..وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾<sup>(1)</sup>، أي يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر<sup>(2)</sup>.

وما دام أنّ المصلح هو ابتداء إنسان ارتضى الإسلام ديناً، فكان من لوازم ذلك أن لا يغفل عن قيمة الدعوة و الهداية، التي تُعدُّ وتُعتبر العنوان العريض والبارز للأمة الإسلامية، الذي أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ....."<sup>3</sup>.

فما المقصود بالمعروف والمنكر في ميزان الشرع؟ وما هي معايير كل منهما؟  
بداية فإنّ الذي يمكن أن نستشفه من عبارة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنّ يأمر المرء بما تعارف عليه الناس من حق وصدق وبصفة عامة أن يأمر بالخير، وفي المقابل أن ينهى عمّا أنكره الناس، والذي يحقّق بإتيانه كل شرّ.

وبذلك فإنّ معنى المعروف والمنكر الذي تشير إليهما الآية الكريمة، يشمّلان شبكة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والشعوب والأمم، وأنّ كل ما ينفع الإنسان ويورث الانسجام مع سنن الله وقوانينه في الخلق يندرج في قائمة المعروف، وما يضر البشر ويصطدم مع هذه السنن والقوانين يندرج في قائمة المنكر<sup>(4)</sup>.

فكانت بذلك المنفعة والمضرة معياران من معايير القيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قد نجد لهذين المعيارين مسمّيات أخرى كالحسن والقبح، وهو ما ورد عند الإمام حسن البنا عندما أراد توضيح المقصود من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال تقسيمه إلى:

**1/ شعور في النفس:** حسن إدراك للأمر يجعلك تستطيع أن تشعر بالحسن فتُسّر وتفرح، وأنّ تشعر بقبح القبيح فتشمئز له نفسك وتتقزز منه مشاعرك وتمتعض لنظره ولرؤيته وتجد فيه أذى وإيلاماً، فيدفعك هذا إلى أن تعبر عن شعورك.

**2/ عمل في الخارج:** فتعمل على أن تحمل الناس على الحسن وترعهم من القبيح.

و الإسلام كدين فردي واجتماعي يفرض عليك أن تُصلح نفسك وأن تدعو غيرك إلى الإصلاح<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> من الآية 117 منسورة هود.

<sup>2</sup> ابن الجوزي: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه النظائر، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط3: 1407هـ / 1987م، ص396.

<sup>3</sup> من الآية 110 من سورة آل عمران.

<sup>4</sup> ماجد عرسان الكيلاني: أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية، المعهد العلمي للفكر

الإسلامي الولايات المتحدة الأمريكية: ط1417: 2/ 1997 ص 268

<sup>5</sup> سوسن هندي: حسن البنا كيف نفهم الإسلام ص159.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

وعلى هذا الاعتبار لا يصح من المسلم أن ينشغل بنفسه عن غيره على اعتبار العلاقة التي تم توضيحها بين الإصلاح والإصلاح سابقاً، يعلق على ذلك يوسف القرضاوي بقوله: «الإسلام لا يكتفي بأن يكون المسلم صالحاً في نفسه سليم العقيدة، صحيح العبادة، حسن المعاشرة ثم يدع الحق مغلوباً والباطل غالباً والمعروف ضائعاً والمنكر ظاهراً قاهراً وهو لا يجرّك ساكناً ولا ينطق صامتاً ولا يبذل جهداً، إذ أن المسلم لا بد أن يعيش جندياً للحق يؤمن به ويحبه وينصره ويدعو إليه وهذا أساس فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام»<sup>(1)</sup>

إذ لا قيمة تُذكر للإنسان بدون هذا العمل - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - ، بل هو في خُسْر وضلال حتى يُؤمنَ ويعملَ صالحاً، ذلك أنه مكلف بأداء رسالة في مجتمع، من خلال السعي في إصلاح أحوال المسلمين في دينهم ودنياهم، ذلك أن كل ساع في تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية أو تكميلها، للمسلمين فإنه مصلح.

ويكفي المصلح حديث النبي عليه الصلاة والسلام حين قال: " والله لأن يهدى بهداك رجل واحد خير لك من حمر النعم " <sup>(2)</sup>، حتى لا يتوانى ولا يتراخى، أو تحدّثه نفسه بالخلود إلى الراحة، عن أداء واجبه، مادام هناك غارق ينتظر باب الفرج بمفتاح الإصلاح، هذا من جانب.

ومن جانب آخر فإن الجميع سوف يتأثر بما يحدث فإذا ظهر الفساد في المجتمع فإنه سوف يستشري ويشيع وحينئذ سيتأثر الجميع، ذلك أن حرية كل شخص محدودة بجزية الآخر.

لنصل في الأخير أن قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من القضايا التي استلهمت فكرَ وأقلام وجهود الكثيرين، ممن تيقنوا أنها صمام الأمان، الذي يضمن الانتماء إلى هذه الأمة الخيرة من جهة، فتكفل الأعداء عند الله من باب القيام بما أمر الله عز و جل وبينه المصطفى عليه الصلاة والسلام وما تبعهم من مخلصين ومن جهة أخرى. فتكون بمثابة ضمان الوقاية قبل لحاق الضرر والمفسدة، فتتجلى بذلك حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتصديق عبارة منقول: بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمثل خلاصة حركة الدين في واقع الأرض <sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> يوسف القرضاوي: الخصائص العامة للإسلام ص199.

<sup>2</sup> سنن أبو داود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، المجلد 2، ص ، حديث رقم: 3661.

<sup>3</sup> محمد قطب: واقعنا المعاصر، دار الشروق: القاهرة - مصر، ط 1 : 1418 هـ / 1997م، ص 130.

### المطلب الثاني: الإصلاح المادي ( المحيط والبيئة )

إنَّ المقصودُ بالإصلاح المادي هو كل جهد بشري ينصرف إلى عمارة الأرض وبنائها، بمعنى أن يَتَّجَهَ هذا العمل نحو البيئة والمحيط الذين يعيش فيهما الإنسان ويتفاعل معهما، بكل ما تحمله هذه العبارة من معاني الاستغلال والاستثمار للموجودات والإمكانات المادية، التي أوجدها الله عز وجل وسخرها للإنسان حتى يقوم بدوره في الأرض.

بداية الأرض هي مكان الخليفة وهو الإنسان، وهي مَحْضَنُ التَّكْلِيفِ والعمارة، قال تعالى: ﴿..... وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾ (1) ،

وقال أيضا: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ تَتَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (2) ، يقول الشعراوي: « فاعلم أن الألف والسين والتاء في كلمة "استعمركم" للطلب، وهكذا يكون معنى كلمة "استعمر" هو طلب التعمير وهذا يتطلب أمرين:

الأمر الأول: أن يبقى الصالح في الأرض على صلاحه، فالله عز وجل خلق الأرض صالحة للحياة وأوجد فيها الضروريات من طعام وماء وهواء في الكون لاستمرارها، وجعل فيها الأسباب الأصلية لاستبقاء الحياة والسماء والأرض والشمس والهواء و كل مسخر للإنسان ، ولا تحتاج إلى تكليف فيه، وبمقتضى ذلك فهو مُطالب ألا يُفسدَ فيما ليس له فيه اختيار، لأنه لا يستطيع إفساد قوانين الكون العليا.

الأمر الثاني: أن يزيد في صلاح الأرض. بأن يحقق الإصلاح معنى الانتفاع المادي الذي يتجاوز السعي الفطري لسدّ ضرورات الحياة، والذي يُشبه أن يكون الإنسان مشتركاً فيه مع الحيوان، فيتجاوز ذلك إلى السعي الواعي لاستخراج المنافع من مكانها المستترة، وتسخيرها في تنمية الحياة المادية، وذلك عبر جهود فكرية وعملية تهيء المادة الكونية للانتفاع.» (3) ،

ومثاله استصلاح الأراضي، مادام أن عدد السكان على الأرض في زيادة فلا بد من زيادة رقعة الأرض بالاستصلاح، لأنّ الأزمة التي نعاني منها الآن هي نتيجة للغفلة التي مرّت علينا، فزاد التكاثر عن الاستصلاح، وكان الواجب يقتضي أن نزيد من الاستصلاح بما يتناسب مع الزيادة في السكان.

<sup>1</sup> الآية 30 من سورة البقرة.

<sup>2</sup> الآية 61 من سورة هود.

<sup>3</sup> محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي المجلد 7 ص 4179.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

ولما كانت دعوة الإصلاح إلى البحث عن تجويد أساليب الحياة، انطلاقاً من الإصلاح الذي أوجده الله عزّ وجل، فإنّ النهي عن الفساد والإفساد له، يكون من باب أولى، وخير شاهد على ذلك نظرة والتفاتة إلى ما تشهده الأرضُ وتعيشُهُ المعمورة في الآونة الأخيرة، بما يعرف بظاهرة التلوث البيئي بشتى ألوانه، المائي والجوي والأرضي، والذي يظهر فيه الفعلُ السليبي للإنسان اتجاه الإصلاح الذي خلقت عليه الأرض، ليتبينَ أنّه لو سعى كلُّ واحد إلى المحافظة على الرصيد السابق لما آلت الأوضاع إلى ما هي عليه الآن، وبتصورٍ بسيطٍ لاستمرار التلوث البيئي على هذه الوتيرة الخطيرة فسَنجد أنفسنا بعيدينَ كالأبعد عن إمكانية استمرار الاستخلاف في الأرض وإعمارها وأداء وظيفته العبودية. لأنّ استمرارية الجنس البشري يتهددها الخطر. وقسْ على ذلك باقي مقومات الحياة التي أفسدها الإنسان بتفكيره الأعرج وما ظاهرة "ازدياد ثقب طبقة الأوزون و ظاهرة الاحتباس الحراري" بيّعد عن هذا التصور.

فيتبين من هذا الكلام أنّ استمرار الحياة، بل ورفيها مرهون بمقدار فهم ووعي الإنسان لقيمة الإصلاح اتجاه بيئته ومحيطه الذي يعيش فيه ويتفاعل معه في كافة نشاطاته، ومدى تجاوبه مع كل ما يسمح باستغلال أساليب الحياة، ومن ثمّة تطويرها و تجويدها على النحو الملائم لاستمرار الحياة في هذا الكون، بعبارة أخرى إنّ الحياة لا تستقيم والحضارة لا تدوم، عندما يزهد الإنسان في استثمار الكون لأي سبب من الأسباب، ويشهد التاريخ لحضارات حققت أشواطاً لا يستهان بها، فإذا هي تنهار وتضمحل وتتلاشى، لأنها زهدت وفرطت في ذلك.

الأمر الذي يؤكد أنّ الدعوة إلى الإصلاح المادي تبقى قائمة، بقاء حاجة الإنسان إلى ما أوجده الله له حتى يتسنى له القيام بدوره المنوط به.

### المطلب الثالث: خصائص منهج الإصلاح وصفات المصلحين في القرآن الكريم

#### 1/ خصائص منهج الإصلاح:

يَنفرد القرآن الكريم في طرحه لمنهج الإصلاح عن بقية المناهج الوضعية والأفكار البشريّة الهزيلة، بأنّ قَدَّمَ منهجاً ثريّاً بخصائص وقدرات تجعله جديراً بالبقاء والخلود، فكان بذلك المنهج الصالح المصلح لكل زمان ومكان، إذ أنّه يحوي كل كمال يفكر فيه عقل الإنسان أو حتى يتصوره، كيف لا؟ وهو مبثوث في صفحات كتاب تكفّل الله سبحانه وتعالى بحفظه، قال تعالى: ﴿...إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (1).

وفي هذا المقام يقول الشعراوي: «أنّ الكون لا يصلح إلا بمنهج الله، فهو الذي خلق، وهو الذي أوجد وهو أدري بصنّعه، وبما يفسدها وبما يصلحها لأنّه هو الصّانع، ولا يُوجد من يعلم سرّ ما يصلح صنّعه أكثر من صانعها، ونحن في المنهج الدنيوي إذا أردنا إصلاح شيء أتجهنا لصانعه، فهو الذي يستطيع أن يدلّنا على الإصلاح الحقيقي لهذا الشيء، فإذا لم يكن صانعه موجوداً في البلدة أتجهنا إلى من درّهم الصانع إلى الإصلاح، والعجيب أنّنا نتبع هذه الطريقة في حياتنا الدنيوية، ثم تأتي إلى الإنسان والكون فبدلاً من أن نتجّه إلى صانعه وخالقه لنأخذ عنه منهج الإصلاح، وهو أدري بصنّعه نتجه إلى خلق الله يصنعون لنا المناهج التي تفسد وظهرها الإصلاح ولكنها تزيد الأمر سوء» (2).

ولما ثبت أنّ المنهج الإسلامي هو أعظم منهج أصلح البشرية والكون على حد سواء، فحريٌّ بكل مصلح أن يعود إلى كتاب الله في كل صغيرة وكبيرة، إذ أنّ نُصُوصَه قد فصلت في أدقّ الجزئيات، التي تمكّنه من السير و الوصول بأمان إلى هدفه و مبتغاه.

و بعبارة أخرى يتوجّب على كل مصلح أن يلتزم بهذا المنهج، الذي فصلت كُتُب كثيرة في شأنه، و خصائصه ومميزاته، وأُنجِزَت فيه رسالاتٌ علميةٌ وُبُحُوثٌ أكاديمية (3)

ولما كانت هذه الخصائص كثيرة ومتنوعة، بحيث تضيقُ الكُتُب والخطبُ بها، فقد تمّ الاكتفاء بذكر بعض منها، على أنّ ما تمّ التّطرُقُ إليه من سِمَات وخصائص: كالربانية والشمولية والواقعية والتدرج والمرونة سيكون كافياً بمشيئة الله في توضيح المعنى المقصود.

<sup>1</sup> الآية 9 من سورة الحجر.

<sup>2</sup> الشعراوي في تفسيره، المجلد 1 ص 156.

<sup>3</sup> لمن أراد أن يتوسع في مسألة خصائص المنهج الإسلامي في التغيير والإصلاح، أنظر الخصائص العامة للإسلام: يوسف القرضاوي و منهج القرآن في إصلاح المجتمع. محمد سيد يوسف.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

الربانية: المقصود بذلك أن يكون المصلح مُنطلقاً في عمله الإصلاحي ممّا وضحتّه الشريعة الإسلامية، وبيّنته مصادر التشريع، كما لا يكون للمصلح من هدف سوى إرضاء الله تعالى، مصداقاً لقوله تعالى على لسان الأنبياء عليهم السلام في سورة الشعراء: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ"<sup>2</sup>.

أما الشمولية: فيقصد بها أن منهج الله قد رسم للمصلح خريطة الإصلاح، بأدق التفاصيل، التي يتموضع فيها رُوحٌ وعقلٌ وجسمٌ ووجدان كل إنسان، وكل ما يحتاجه الناس من توجيهات ونظم وقوانين وآداب. فلا يجوز للمصلح إهمال جانب من جوانب الإسلام، فيركّز على العقيدة دون الأخلاق أو العبادات دون الآداب، وهكذا فهو حلقات متصلة متشابكة يكمل بعضها بعضاً.

أما الواقعية: فالمقصود بها أن يعيش المصلح واقعهُ، فلا يقدّم نظريات في الإصلاح وهو بعيد عما يعيشه أو يعيشه الآخرون، فيكون عمله كالطبيب الذي يُقدّم دواءً لمرضى دونما تشخيص. والدليل على ذلك أن كلّ نبي بُعثَ لعلاج العلة التي أصابت قومه وإصلاح الخلل الذي أصابهم. فشعبٌ في الإصلاح الاقتصادي ولوط في إصلاح الأخلاق وموسى في الإصلاح السياسي ..

التدرج: والمقصود به أن يلج المصلح الطريق، وهو يضع في حسبانهِ أن هذه العملية تحتاج إلى صبر وطول بال، فلا يستعجل جني الثمار قبل التّضحّ فيحرم منه، ومثال ذلك منهج الإسلام في قضية تحريم الخمر التي لم يترل الحكم فيها دفعةً واحدةً، وإنّما كانت على مراحل.

المرونة: والمقصود من ذلك أن المصلح وهو سائرٌ في طريق الإصلاح، عليه أن يُدرك أنّه مهما التزم بالمرونة في طرح الأفكار وتطبيقاتها - فلا يتعصب لرأيه ولا لرأي فئة معينة - فإنّ ذلك يمكنه من فتح القلوب، فيحدث التواصل المفضي إلى المبتغى، شعاره في ذلك "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب"، فلا شيء في الوجود ثابت، إلا ما ثبت بالشرع نصاً ودلالةً.

<sup>2</sup>من الآية 164 من سورة الشعراء.

لا يختلف اثنان أن المصلح الداعي إلى الإصلاح هو ركيزة أساسية، وركن لا يُستهان به، وأن رجال الإصلاح ودعاته، كانوا ولا يزالون محلّ اهتمام وبحث فيهم وعنهم، فكان الشغل الشاغل الذي اجتهد المخلصون لتحقيقه، فيحكي التاريخ في معرض الحديث عن قيمة هؤلاء الرجال ووزنهم ما يعرف "بالأمنية العمرية" والتي جلس عمر فيها إلى جماعة من أصحابه فقال لهم : تمنوا ، فقال أحدهم : أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقه في سبيل الله ثم قال عمر ، تمنوا ، فقال رجل آخر : أتمنى لو أنها مملوءة لأولوا و زبرجدا و جوهرا أنفقه في سبيل الله وأتصدق به، ثم قال تمنوا، فقالوا ما ندري ما نقول يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : ولكني أتمنى رجلا مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة فاستعين بهم على إعلاء كلمة الله<sup>(1)</sup>.

ويعلّق على ذلك يوسف القرضاوي قائلاً : «أن الرجل الكفء الصالح هو أكسير الحياة، وروح النهضة، وعماد الرسالات، ومحور الإصلاح، فكل الأمم والرسالات لا تحتاج إلى المعادن المذخورة والثروات المنشورة، ولكنها تحتاج قبل ذلك إلى الرؤوس المفكرة التي تستغلها والقلوب الكبيرة التي ترعاها والعزائم القوية التي تُنفذها، إنَّها تحتاج إلى رجال»<sup>(2)</sup>

فما هي صفات هؤلاء الرجال ؟ وما هو أبرز ما يميزهم ؟

سبق وأن تمّت الإشارة إلى أن المصلح هو فردٌ مسلمٌ ابتداءً، فكان من لوازم ذلك أن يتحلّى بصفات الإسلام صفةً وفعلاً، والتي بيّنها الحق تعالى في كتابه العظيم، وفصلها رسول الله صلى الله عليه و سلم في سنته، فحقّ بذلك أن يسمّى المصطفى صلى الله عليه وسلم المصلح الأعظم، لما عرف به من أخلاق فاضلة، شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء، ونطقت بها أحرف كتاب الله في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(3)</sup>، وأكدّ على ذلك أنس بن مالك رضي الله عندهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه

<sup>1</sup>علي د محمد الصلابي : سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، دار المعرفة: بيروت - لبنان ط1 : 1425هـ / 2004 ص 142

<sup>2</sup>يوسف القرضاوي : من أجل صحوة راشدة، ط1 : 1408هـ / 1988 م ، ص149 .

<sup>3</sup>الآية 4 من سورة القلم .

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

وسلم أحسن الناس خلقاً"<sup>(1)</sup>، و يعلق محمد رشيد رضا على هذا الحديث بقوله: «فعلم بهذا أنه اجتمع له من الكمال ما كان متفرقاً في من سبقه من الأنبياء والمرسلين، إلى ما هو خاص به دونهم»<sup>(2)</sup> غير أنَّ المقامَ يحتاجُ إلى تفصيل وتوضيح وبسطٍ لبعض الحقائق، تتعلّق بصفات ضرورية للمصلح بحد ذاته، تجعلُ التعرُّضَ لها والوقوفُ بها مُهمًّا من باب أنَّه تمَّ ورودها بألفاظ صريحة، ارتبطت بمن حملوا لواءَ الإصلاح. على أنَّ الاقتصارَ على ذلك لا يُفيدُ الحصر، وإنَّما يتوجّه إلى أهميتها مقارنةً بباقي الصفات التي ينبغي التأكيدُ أن عدم ذكرها لا يقع بمعنى الاستغناء عنها أو مواصلة الدرب بدونها، فكلُّ خلقٍ أو صفةٍ تدخلُ في معنى الخير وتحقيق الإصلاح، لا بد للمصلح من التشبُّثِ بها والتعلُّقِ بها. لذلك لو تَبَعْنَا ما ذكر من صفات المصلحين في الآيات التي تناولت الإصلاح نجدُها تَدور حَوْلَ نقطتين مركزيّتين: (3)

الأولى: ما تعلق بمفهوم الإيمان وأحواله، كالتمسك بكتاب الله، وإقام الصلاة، والتقوى والإخلاص والاعتصام بالله.

الثانية: كلُّ ما يقع في دائرة الأخلاق، كالعفو والتواضع والعدل والقسط، والأمر بالمعروف، والعلم والمسارة في الخيرات، والإرادة والاستطاعة.

ولعلَّ في ذلك تأكيد على أنَّه يلزم المصلح تحصيل صفات تخص ذاته كمصلح لها، تضمَّن له الارتباط بالقوي المتين سبحانه وتعالى، فتمدّه بالقوَّة والتوفيق، وهو الزاد الذي يحتاجه كلُّ من سلك درب الإصلاح وسار في طريقه، كما يلزمه تحصيل ما يضمن له استمرار علاقته بالآخرين، كمصلح لهم، فشأن القلوب أنَّها تسمع وتلين لمن يعرض أفضل الأخلاق وأحسنها.

لنصل ونقترب في الأخير من الإجابة عن إحدى مؤشرات فشل ونجاح تجارب الإصلاح على جميع الأصعدة سواء كان الجهد فردياً أو جماعياً، والذي يعود إلى نوع البضاعة التي يعرضها المصلح على اعتبار المنهج المتبع والصفات التي يتحلّى بها حامل هذا المشعل.

<sup>1</sup> أخرجه الإمام مسلم في كتاب الفضائل باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً، حديث رقم: 2310 بيت الأفكار الدولية: عمان- الأردن، ط: 2005، ص946.

<sup>2</sup> محمد رشيد رضا: المنار، ج7 ص598.

<sup>3</sup> يرجع في هذا التقسيم إلى محاولة تقصي الصفات التي وردت في مواطن الآيات التي تم جمعها في جدول إحصاء الآيات في الفصل الأول، المبحث الثالث ص 23 إلى 27.



المبحث الثالث : الأحكام المتعلقة بالإصلاح

المطلب الأول: الإصلاح من أسباب إبعاد الهلاك عن القوم.

المطلب الثاني : الاستطاعة والإرادة في الإصلاح.

المطلب الثالث: علاقة الإصلاح بفقهِ الواقع وفقهِ الأولويات.

المطلب الرابع : الأبعاد المقاصدية للإصلاح.

المطلب الخامس: من ثمار وآثار الإصلاح.

## المبحث الثالث

### أحكام متعلقة بالإصلاح

#### تمهيد:

خلال القيام بعملية استقراء للآيات التي تضمنت الإصلاح، و لآراء الباحثين والعلماء الذين خاضوا في هذا الموضوع، تبيّن أنّ هناك مجموعة من الأحكام التي تتعلق بالموضوع، وكان البحث فيها والتوقف عندها ضروري، من باب استيفاء الموضوع من الناحية الموضوعية، وقد تمّ ذكر أهمّها، على اعتبار أنّها تُساهم في تكوين رؤية متكاملة لهذا الموضوع، منها:

- الإصلاح سببٌ لإبعاد الهلاك عن القوم.
- الاستطاعة والإرادة في الإصلاح.
- علاقة الإصلاح بفقهِ الأولويات وفقهِ الواقع.
- الأبعاد المقاصدية للإصلاح.
- ثمار و آثار الإصلاح.

#### أولاً: إبعاد الهلاك عن القوم المصلحين

إنّ تحقيق الأمن في الحياة والعيش في ظلّه والتنعم به، أقصَى ما يطلبه الإنسان ويحرص على الوصول إليه، فكان قدرُ الأمة أن تنعم به ما استقرّ فيها الخيرُ والصالحُ عموماً، يقول تعالى: ﴿..... إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(1)</sup>، وفي المقابل أن تُحرم منه وتفقدته متى انحرَف المسار عن ذلك. « فكانت سنة الله في عباده أن الحياة لا تطيب بفقد الأمن، فديار فقدته وغاب عنها، تُعدُّ صحراء قاحلة وحرى، وإن كانت ذات جنان وارفة الظلال تجري من تحتها الأنهار، وسماؤها فقدت نجومها، وأرض زالت جبالها الراسيات...»<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup> من الآية 69 من سورة المائدة

<sup>2</sup> سليمان الأشقر: محاضرات إسلامية هادفة، دار النفائس: لأردن، ط1: 1418 هـ / 1997 م، ص379.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

ولما كان الإصلاح ثمرة من ثمار الصلاح والخير، فلا ريب أن تمثله في واقع حياة الناس منهجاً ونظاماً لهم، يسهم بقدر معتبر في تحصيل نعمة الأمن والأمان. وفي ذلك يقول الحقّ تعالى: ﴿...وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾<sup>(1)</sup>

جاء في ظلال هذه الآية الكريمة، أن في ذلك إشارة إلى سنة من سنن الله في خلقه، التي لا تتخلف ونواميسه الثابتة التي لا تتبدل، حيث بينت أن الأمة التي يقع فيها الفساد في أي صورة من صورها، فيجد من ينهض لدفعه هي أمم ناجية، لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير، أمّا الأمم التي يظلم فيها الظالمون، ويفسد فيها المفسدون، فلا ينهض من يدفع الظلم أو الفساد أو يكون فيها من يستنكر، ولكنّه لا يبلغ أن يؤثر في الواقع الفاسد، فإن سنة الله تحقّ عليه، إمّا بهلاك الاستئصال وإمّا بهلاك الانحلال والاختلال كقوم شعيب ولوط...، فأصحاب الدعوة إلى ربوبية الله، وتطهير الأرض من الفساد، الذي يصيبها هم صمّام الأمان للأمم والشعوب<sup>(2)</sup>

ويضيف القرضاوي في نفس السياق، أن أسوأ ما يُصيب المجتمعات أن يُخرس الطغيان ألسنة الإصلاح، فلا تعلن بكلمة حق ولا تجهر بدعوة ولا نصيحة، ولا أمر ولا نهي، وبذلك تتهدّم منابر الإصلاح وتحتفي معاني القوة ويجترئ الشر ودعائه على الظهور والانتشار، فتنبثق سوق الفساد وتروج بضاعة إبليس وجنوده، من غير أن تجد مقاومة ولا مقاطعة. وحينئذ يستوجب المجتمع نقمة الله وعذابه فيصيب البلاء والنكبات على المقترفين للمنكر الساكتين عليه، قال تعالى: "...وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ..."<sup>(3)</sup> فكان أن لعن الله بني إسرائيل على لسان أنبيائه، وضرب على قلوب بعضهم ببعض، وسلط عليهم من لا يرحمهم، لانتشار المنكرات بينهم دون أن تجد من يغيرها أو ينهي عنها، وأسوأ من ذلك أن يموت الضمير الحي للأمة، أو يمرض على الأقل بعد الإلف للمنكر والسكوت عليه، فيفقد المجتمع الحس الديني والأخلاقي<sup>(4)</sup>

فكان بذلك أصحاب الضمائر الحية في المجتمع، الذين يقفون في وجه الشر ودعائه، صمّام الأمان الذي يحفظ الله به الأمم من الهلاك، فكانوا بذلك بمثابة "الأطباء"<sup>(5)</sup> الذين يعالجون العلل، من خلال رفعهم

<sup>1</sup> الآية 117 من سورة هود .

<sup>2</sup> سيد قطب: في ظلال القرآن، المجلد 4 ج 12 ص 1933.

<sup>3</sup> من الآية 25 من سورة الأنفال.

<sup>4</sup> يوسف القرضاوي: ملامح المجتمع المسلم، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1422/1:2001، ص68 وما بعدها

<sup>5</sup> محمد رشيد رضا: تفسير المنار ج 7 ص 419.

لشعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بمعنى أنه مااستدام الإصلاح في الحياة، فلن يجعل الله للهلاك للقائمين به سبيلا.

ويشير الإمام القرطبي في هذه الآية، إلى نقطتين مهمتين ينبغي التنويه إليهما:

أولاهما: أن المعاصي والإفساد أقرب إلى عذاب الاستئصال من الشرك، باعتبار أن الظلم شرك، لقوله تعالى: ﴿... إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(1)</sup>، وفي هذا المعنى يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رؤية فريدة من نوعها جاء فيها، أن أمور الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل الذي يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق، إن لم تشترك في إثم ولذلك قيل: إن الله يُقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يُقيم الظالمة وإن كانت مسلمة»<sup>(2)</sup>

ثانيهما: أنه لا يتأتى ويستحيل أن يهلك الله القرى بظلم لأن مراد الظالم أن يأخذ حق الغير لينتفع به ولا يوجد عند الناس ما يزيد الله شيئا، لذلك فالظلم غير وارد على إطلاق بين الخالق وبين البشر<sup>(3)</sup>.

وقد ورد في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ما يعزز هذا المعنى ويقويه، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، إذا استقوا الماء مروا على من فوقها، فقالوا: لو أن خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم نؤذ فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا"<sup>4</sup>، فهذا مثلٌ نبوي بديع يدعو إلى ضرورة الأخذ على يد العابثين المفسدين، صيانة للمجتمع كله من السقوط في هاوية الهلاك. فكان عدم إنكارنا على المفسدين عملهم، إغراء منا لهم على استدامة وإشاعة المنكر في المجتمع، نؤاخذ عليه، لأن بهذا الإغراء نجد الآثمين قد أصبحوا فتنة لغيرهم، وأغروا ضعفاء الإرادة على إتباع سبيلهم الهادم،

<sup>1</sup> الآية 13 من سورة لقمان.

<sup>2</sup> ابن تيمية: رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق محمد رشاد سالم، مكتبة السنة، القاهرة، ط1: 1417هـ/1997 ص 53.

<sup>3</sup> القرطبي في جامع الأحكام المجلد 5 ج 9 ص 76.

<sup>4</sup> أخرجه البخاري كتاب الشركة باب هل يقرع في القسمة حديث رقم: 2493، بيت الأفكار الدولية عمان الأردن ط: 2005، ص 471 و472.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

وهو ما صرحته حروف الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (1) وبمثله قال صلى الله عليه وسلم: " إذا رأيت أمي تمّاب أن تقول للظالم، يا ظالم، فقد تودع منها" (2).

ولعلّ ما حدث زمن خلافة الفاروق رضي الله عنه، عند اهتزاز الأرض وحدث زلزال فيها، فجمع عمر الناس، وقال: " ما كان هذا ليحدث إلا بذنب، والله لئن عادت لا أسكانكم فيها أبدا " (3)، فيه إشارة واضحة إلى هذا المعنى، وتأكيد على أنّ ما يهلك الناس من زلزال أو فيضان أو غيرها من أسباب الهلاك، يدعو إلى مراجعة و نقد ذاتي على مستوى الأفراد أو الجماعات شعوبا وأمما، لما لحق بهم من فساد لم يتبع بمحاولات واجتهادات لإصلاحه.

وفي الأخير بقي علينا أن نفهم مبادئ الإسلام التي تفرض على الأمة أن تكون دائما وأبداً يقظة، قوية في الحق، وحارسة له، وهو الأمر الذي يبيّن قيمة المصلح في المجتمع و أثره في تحقيق عبوديته في الأرض وهو ما عبّر عنه صاحب ظلال القرآن بقوله: «فتبرز بذلك قيمة كفاح المكافحين، لإقرار الربوبية لله وحده، والوقوف للظلم والفساد بكل صورته، إذ أنّهم لا يُؤدّون واجبه لهم ودينهم فحسب بل إنّهم يحولون بهذا دون أمهم دون غضب الله واستحقاق النكال والضياع» (4)

<sup>1</sup> الآية 251 من سورة البقرة.

<sup>2</sup> أخرجه الإمام احمد في مسنده من طريق عبد الله بن عمرو حديث رقم 6531 ، دار الفكر ، بيروت - لبنان، ط: 11410هـ/1991م. ط2: 1414هـ/1994ج2ص561.

<sup>3</sup> موسى محمد الأسود : منهج السلوك الإنساني دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط1: 1417هـ/ 1996م، ج 2 ص128.

<sup>4</sup> سيد قطب في ظلال القرآن المجلد 4 ج 12 ص 1933.

ثانياً: الاستطاعة والإرادة في الإصلاح.

أ / الاستطاعة في الإصلاح:

قال تعالى على لسان نبيه شعيب عليه السلام في سورة هود: ﴿...إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾<sup>(1)</sup>، يقوم النبي شعيب عليه السلام بأداء الأمانة التي كلف بها، فيرفع لواء الإصلاح في بني قومه، باذلاً في ذلك أقصى ما يمكن من جهد، معلناً بلسانه أن الإصلاح يكون على قدر الاستطاعة، وأن أيّ مصلح عليه أن يُدركَ أنّه مطالب بما قدر عليه، فنطقت حروف هذه الآية بما يفيد أن الله عزّوجل، قد راعى في تكليف الإنسان بمهمته في الحياة، الاستطاعة والقدرة للقيام بها، فتؤكد هذه الآية ما سبق من تصريح لهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿...لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ...﴾<sup>(2)</sup>

جاء في تفسير تيسير الرحمن، أن الإصلاح بحسب القدرة والإمكان بتحصيل المصالح وتكميلها أو بتحصيل ما يقدرُ عليه منها وبدفع المفسد وتقليلها ومراعاة المصالح الخاصة، وحقيقة المصلحة هي التي تصلح بها أحوال العباد، وتستقيم بها أمورهم الدينية والدينية ومنها أن مَنْ قام بما قدر عليه من الإصلاح لم يكن ملوماً ولا مذموماً في عدم فعله ما لا يقدر عليه، فعلى العبد أن يُقيم من الإصلاح في نفسه وفي غيره ما يقدر عليه<sup>(3)</sup>

ويضيف أيضاً أن حقيقة الاستطاعة هو السعي في الكمال الممكن حسب القدرة، بتحصيل المصالح أو تكميلها أو إزالة المفسد والمضار أو تقليلها، الكلية والجزئية، المتعدية والقاصرة<sup>(4)</sup>

غير أن إطلاق لفظ الاستطاعة دونما تقييد، يفضي إلى التساؤل الذي يطرح نفسه، ما المقصود بالاستطاعة؟ وما حدودها؟ وكيف يمكن الحكم أن شخصاً قد بذل ما يستطيع في مهمة معينة؟ بعبارة أخرى، هل يقصد بالاستطاعة الجانب المادي كالمال و....، أو الجانب المعنوي كالوقت والراحة... أم كليهما؟

<sup>1</sup> الآية 88 من سورة هود.

<sup>2</sup> الآية 286 من سورة البقرة.

<sup>3</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان ط: 1418 هـ / 1998 م، ص

<sup>4</sup> عبد الرحمن السعدي: القواعد الحسان لتفسير القرآن، مكتبة الرشد: الرياض - السعودية، ط: 1 / 1420 هـ / 1999، ص 120.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

جاء في المستفاد من قصص القرآن إنَّ مسألة الإصلاح بقدر الاستطاعة، هذه المسألة يجب أن يفهمها الداعي للإصلاح في ضوء الضوابط التالية:

- أن يزن مقدار استطاعته بالميزان الشرعي.
  - وأن يعرف لأي نوع من الإصلاح تصلح استطاعته القيام به.
  - وما هي الأولويات في سلم ودرجات الإصلاح ومراحلها التي يجب أن يقدم له قدرته واستطاعته ويستنفذها فيها قبل غيرها (1)
- و طرح الإمام الرازي في قوله تعالى: "... ما استطعت..." احتمالات ووجوه (2):

- الوجه الأول: أنه ظرف والتقدير مدة استطاعتي للإصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا.

- الوجه الثاني: أنه بدل من الإصلاح أي المقدار الذي استطعت منه.

- الوجه الثالث: أن يكون مفعولا له أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه.

ويبدو أنها تحتمل الوجوه الثلاثة لأن الإصلاح له علاقة بالوقت الذي تتم فيه العملية والكيفية وأيضا في كمية الأمور والمسائل التي يقدم المصلح على إصلاحها وإبطال الفساد فيها. فتبين مما سبق أن مهمة الإصلاح تكليفي يحتاج إلى بذل الجهد والتعب، وطريقها ليس محفوفاً بالورود بل قد تحتاج في أحيان كثيرة إلى الدوس على الشوك، فهؤلاء المصلحون لابد وأن تحصل لهم ابتلاءات بشتى صنوفها وألوانها.

ورغم ما تم توضيحه بشأن الصعوبات التي يواجهها المصلح، فإننا نؤكد أن الإصلاح يندرج ضمن القسم الذي يمكن للإنسان أن يقوم به وفي وسعه ذلك، فلو لم يكن كذلك لما أمرنا أن نقوم به، ولا أدل على ذلك من الفقه الواقعي للنسوة - محلاتأسي والافتداء - في إدراك أهمية أبعاد الاستطاعة من خلا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: "بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت! قال: مالك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا، (وفي رواية قال: ما أملك رقبة غيرها، وضرب على صفحة رقبته) قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، (وفي رواية: هل أصبت الذي أصبت إلا من الصيام؟) فقال: هل تجد إطعام ستمين مسكينا؟ قال: لا، (وفي رواية قال: والذي بعثك بالحق ما لنا طعام)، قال: فمكث النبي صلى

<sup>1</sup> عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن، مؤسسة الرسالة (بيروت - لبنان)، ط1: 2000/1421 ج1 ص 251.

<sup>2</sup> الرازي: التفسير الكبير، المجلد 7 ج18 ص 38.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

الله عليه وسلم، فبينما نحن على ذلك أتي النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيها تمر، قال: أين السائل؟ قال أنا، قال: خذ هذا فتصدق به، فقال الرجل: على أفقر مني يا رسول الله، فوالله ما بين لا بيتها - يريد الحرتين - أهل بيت أفقر من أهلي بيتي، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه، ثم قال: أطعمهاهلك" (1).

فتتجلى بذلك:

- رحمة الإسلام في أحكامه، التي يدعو إليها في نطاق الاستطاعة والقدرة البشرية، حتى يتقدم المصلح بكل جدّ ويسعى منظماً معتمداً على الله في بلوغ هدفه في الإصلاح وشعاره في ذلك ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (2)
- أن غياب تقدير الاستطاعات، واختلاط الإمكانيات بالأمنيات، قد يكلف المصلح الأثمانالباهظة، نتيجة للحسابات الخاطئة والمجازفات غير المبصرة، فيعتبر ذلك عبث بالأحكام وجهل بالواقع وعجز في تقدير الاستطاعة.

<sup>1</sup> رواه البخاري: كتاب الصيام، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء، حديث رقم: 1936، المكتبة العصرية، ط: 1

1417هـ / 1997، ج 2 ص 575

<sup>2</sup> الآية 88 من سورة هود.



### 2/ الإرادة في الإصلاح:

لا يختلف اثنان أن كلمة الإصلاح كلمة جميلة ولفظٌ عذب تستهويه القلوب، وتتطلع إليه الأنفس، ويدعو الجميع بتحقيقه والعيش في ظله، فكان تطبيقه على أرض الواقع العملي، يحتاج إلى إرادة قوية وتصميم واضح حتى يدخل كل بيت ويصلح كل فرد.

جاء على لسان نبي الله شعيب عليه السلام قوله: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (1)

فكانت الآية الكريمة نصاً واضحاً، وتقريراً ثابتاً بأن الإصلاح هو قبل كل شيء إرادة قوية وعزم صادق ينبع من ذات المصلح، يعبر من خلالها عن استعدادها لتحمل الأمانة التي عرضت عليه ضمن مهمة الاستحلاف في الأرض، قال المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (2)، فكان من دلالات هذه الآية أن أقرت منهج التدافع الأبدي بين إرادة الإصلاح و دوافعها الكامنة في النفس البشرية ، وبين إرادة الفساد ودوافعها داخل النفس الإنسانية.

وتأكد بذلك أن الإصلاح ليس مهمة مؤقتة أو طارئة، بل هو مشروع دائم دوام الفساد، ما يجعل من الإرادة مطلباً أساسياً وضرورة تدفع بعجلة الإصلاح نحو الأمام.

جاء في مدارج السالكين أن الدَّقَاقِي قال: «الإرادة لوعة في الفؤاد، لدغة في القلب، غرام في الضمير، انزعاج في الباطن، نيران تتأجج» (3)

و في المفردات: «الإرادة في الأصل هي قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل، وجعل اسماً لتزوع النفس إلى الشيء مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أو لا يفعل» (4)

فتكون بذلك أساس سلوك الإنسان فتكون إما قوة دافعة على فعل الخير، كالصدق في القول والوفاء بالعهد أو مانعة عنه، فيعجز الإنسان عن فعل مثل هذه الأمور. فتكون في الحالتين منبع للفضائل ومصدر للردائل .

كما أن هناك من يُقسَّم الإرادة إلى قسمين على اعتبار ما ينجر عنها من أفعال إلى إرادة جازمة وأخرى غير جازمة، فالإرادة الجازمة هي التي يجب وقوع الفعل معها إذا كانت القدرة حاصلة، فإنه متى وجدت

<sup>1</sup> الآية 88 سورة هود.

<sup>2</sup> الآية 30 من سورة البقرة.

<sup>3</sup> ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين، دار الجيل (بيروت- لبنان)، د ت ج 2 ص 412 .

<sup>4</sup> الراغب الأصفهاني في المفردات ص 371 .

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

الإرادة التامة مع القدرة التامة ولم يكن الفعل، لم تكن الإرادة جازمة، إذ هي إرادات الخلق لما يقدرون عليه من الأفعال، ولم يفعلوه مع تفاوت في القوة، لكن حيث لم يقع الفعل المراد مع وجود القدرة التامة فليست الإرادة إرادة جازمة<sup>(1)</sup>.

وبناء على ذلك بنى مالك بن نبي<sup>(2)</sup>، قائله ومُعادلته فيما يخص القدرة والإرادة بقوله: «إنَّ إرادة المجتمع وقدرته تضيفان على وظيفة الحضارة موضوعية وفعالية، فالعمل يتولد من القدرة والإرادة سواء كان سيئاً أم حسناً لأنَّ الإرادة هي التي تُوجِّهُ العمل وليست القدرة، وإنَّ كانت الإرادة تستعين بالقدرة في تنفيذ قصدها»<sup>(3)</sup>.

ورغم اختلاف وجهات النظر في مفهوم الإرادة فيبدو أنَّ الصواب والله أعلم ما ذهب إليه ابن تيمية وبعده مالك بن نبي باعتبار أنَّ الإرادة هي المحرك الأساسي لأي عمل وللإصلاح خصوصاً. ويشهد على هذا الكلام ما قاله النبي موسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾<sup>(4)</sup>، أي لا يزال مصرًا على دربه إلى أن يصل إلى مقصوده ولو سارَ زمانًا من الدهر، وأيضاً قصة رجل في سورة ياسين قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(5)</sup>، فاستعمال القرآن لعبارة "أقصى المدينة" يدلُّ على أنَّ هذا المؤمن الصادق لم يُثنه بعد المسافة عن القيام بواجب الإصلاح والدعوة إلى الإيمان باتباع الرسل، ولم تُضعف إرادته ولم يستسلم رُغم أنَّ بيته بعيد، بل عقد العزم ومضى في رحلته الشاقة إلى قصده.

وواقعنا المعاصر لم يبتعد عن مثل ما ذكر سابقاً، فيحكي مرة أخرى قصة رجل غير العالم. ذاك الرجل الحديدي الذي حمل لواء الجهاد على أرض فلسطين مهبط الأنبياء والرسل، وهو مشلول لم يبق من جسده، سوى عقل وإرادة، صنعَ بهما رجالاً وبنى نظاماً وغيرَ موازيناً، عجز غيره وهو يملك كل مقومات وأسباب التغيير عن فعل مثله، ذاك هو المجاهد الشهيد أحمد ياسين فصدق من قال: شيخ مشلول يتحدى أذكوبة جيش لا يقهر.

<sup>1</sup> أحمد بن محمد الحلبي: المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، شركة الرياض - السعودية، ط1: 1417 / 1996، ص 701.

<sup>2</sup> ولد الأستاذ مالك بن نبي في 1 يناير 1905م بمدينة قسنطينة، درس بولايات الجزائر تبسه وقسنطينة و آفلو، وفي 1930م غادر الجزائر إلى باريس لمواصلة دراسته، وتحصل على شهادة مهندس كهربائي، وهناك بدأ يزاول نشاطاته الفكرية و الساسية وسط المغتربين، كما تعرّف على الحضارة الغربية، ثم انتقل بعدها إلى القاهرة مستمرا في نضاله،

<sup>3</sup> مالك بن نبي في مشكلات الحضارة في العالم الإسلامي، دار الفكر: دمشق - سوريا، ط1: 1413 / 1992 ص 43.

<sup>4</sup> الآية 60 من سورة الكهف.

<sup>5</sup> الآية 20 من سورة يس.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

جاء في كتاب الموسوعة الجامعة للأخلاق أن كثيراً من علماء الأخلاق لا يعترفون بشيء مجرد اسمه الإرادة، فلا يستخدمون المفهوم على أنه موجود قائم بذاته، بل هو سلوك قائم في مواقف حية، إذ أنّها في نظرهم، مجموعة التصرفات والنشاطات الدائبة والإنتاجية المتدفقة، التي تصدر عن الشخص في مواقف معينة<sup>(1)</sup>

كما أن للإرادة مقياساً ومعيّاراً من خلال مقدار ما يبذل من النفس والمال، فإذا صار للإنسان استعدادٌ لبذل نفسه وماله في سبيل قضية ما، فقد بلغ أرقى مُستوى في الإرادة<sup>(2)</sup>.

وكتابُ الله قد استوعب قضية الإرادة في كثير من المواطن، ذالاً عليها وأمرّاً بها، منها قوله تعالى في سورة مريم مخاطباً النبي يحيى عليه السلام: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾<sup>(3)</sup>، وخطابُهُ لكافة المؤمنين للمسارعة بفعل الخيرات: ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(4)</sup>، فكانت هذه المسارعة عملاً يحتاجُ إلى إرادة وعزم لا ينثني عنها إلا متكاسل.

فيمَا دَعَانَا المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى التَعَوُّذِ مِنْ كُلِّ عَجْزٍ وَكَسَلٍ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ»<sup>(5)</sup>، وفي حثّه على تقوية الإرادة أَخْبَرَنَا أَنَّ «أَحَبَّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَامٌ»<sup>(6)</sup>، حيث يصدق على المرء من واقع حاله في الحياة، أَنْ يُصِيبَهُ الْهَمُّ لِأَمْرٍ فَتَثُورُ فِيهِ الْهَمَّةُ، فَيَسْعَى وَيَجْرُثُ وَيَكْتَسِبُ

والمعنى في المصلح القائم بالإصلاح أدقّ وألزم، ذلك أنّه ينبغي أَنْ يَهْتَمَّ بِنَفْسِهِ وَأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ وَحَالِ الْأُمَّةِ، وَمَا تَشْهَدُهُ الْيَوْمَ مِنْ فِسَادٍ، تَفَشَّى فِي كِيَانِهَا، فَيَصْبِحُ هَمُّ الْإِصْلَاحِ وَالنَّهْوضِ بِالْأُمَّةِ شُغْلَهُ الشَّاعِلِ، وَتَثُورُ هَمَّتُهُ لِأَدَاءِ رِسَالَتِهِ، عَلَى نُورٍ وَبَصِيرَةٍ، لَا يَسْتَسَلِمُ لِلضَّعْفِ وَالصَّعَابِ، وَيَشْتَغِلُ عَلَى تَقْوِيَتِهَا بِالْإِيمَانِ وَالْإِحْتِسَابِ. فَيَكُونُ بِذَلِكَ مِمَّنْ قِيلَ فِيهِ: «هَمُّ يُؤَلِّدُ هَمَّةً»، قَدَوْتَهُ فِي ذَلِكَ الْمُسْتَفِي صُلَى

<sup>1</sup> سعدون بن عبد الله الحزيمي: الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، دار الفجر ط: 2005، المجلد 1 ص 127.

<sup>2</sup> جودت سعيد العمل قدرة وإرادة دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان ط: 2، 1414هـ / 1993م، ص 133.

<sup>3</sup> الآية 12 من سورة مريم.

<sup>4</sup> الآية 133 من سورة آل عمران.

<sup>5</sup> أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من الجبن والبخل، حديث رقم 6369، بيت الأفكار الدولية ط: 2005

ص 1223 و 1224 .

<sup>6</sup> صحيح سنن أبي داود كتاب الأدب باب في تغيير الأسماء حديث رقم 4950 المجلد 4 ص 289.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

الله عليه وسلم، عندما تُودِي من فوق سبع سموات بالتدثير والإنذار في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (1).

جاء في ظلال هذه الآية أنه صلى الله عليه وسلم علم أن هناك تكليفاً ثقيلاً وجهاداً طويلاً... فقيل له قُمْ، فقام وظل قائماً بعدها أكثر من عشرين عاماً (2).

وما قيل في النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام يَنْطَبِقُ تَمَاماً على بقية الأنبياء والرسل، الذين سَارُوا على بَيِّنَةٍ من أمرهم بإرادة وعزيمة، هذه الأخيرة التي لم تقف أمام النار التي وُضِعَ فيها إبراهيم، ولا الجب الذي أُلقي فيه يوسف، ولا الحوتالذي التقم يونس... ، إرادة تزول معها الجبال الشمّ ولا تزول، فتحدوا فيها الشدائد والصعاب، راسمين منهجاً فريداً من نوعه في الإصلاح والتمكين لدين الله في الأرض.

وفي الأخير يُمكن القول أن الإرادة هي المفرق بين كثير من الناس، أو بالأحرى بين الناجحين والفاشلين، فَحَرِيٌّ بالمصلح أن يسعى إلى تقوية إرادته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وأن لا يستسلم للضعف، فيفشل وتضيع رسالة الإصلاح ، فلا يجد من أعذار يُقدّمها أمام المولى تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (3).

<sup>1</sup> الآيتان 1 و 2 من سورة المدثر.

<sup>2</sup> سيد قطب: في ظلال القرآن المجلد 6 ج 30 ص 3752.

<sup>3</sup> الآيتين 88 - 89 من سورة الشعراء.

### المطلب الثالث: علاقة الإصلاح بفقهِ الأولويات وفقهِ الواقع

#### 1/ علاقة الإصلاح بفقهِ الأولويات:

إنَّ المتدبر في أحوالنا اليوم تَنبَري أَمَامَهُ حَقِيقَةٌ واضِحَةٌ، أَنَّنَا نَعِيشُ عَصْرًا قَدْ اخْتَلَّتْ فِيهِ النِّسَبُ واضطربت فيه الموازين في تقدير الأمور والأفكار والأعمال، واختلَّطَ فيه الحابل بالنابل، فأصبحنا نُقَدِّمُ ما حَقُّهُ أَنْ يُؤَخَّرَ، ونُؤَخِّرُ ما حَقُّهُ أَنْ يُقَدَّمَ، وفي ذلك يقول الداعية يوسف القرضاوي: «أصبحنا نَهْتَمُّ بالجزئيات قبل الكليات وبالمختلف فيه قبل المتفق عليه، ونسأل عن دم البعوض، ودم الحسين مهراق، ونُثِيرُ معركة من أجل نافلة، وقد ضيع الناس الفرائض..» (1)

بصفة عامة يمكن القول أننا أصبحنا نُعاني اختلالاً في سُلْمِ الأولويات. فمن أهم مظاهر أزمة العقل المسلم اختلال الموازين والأولويات التي وضعها الإسلام (2)، وأمام هذه الانحرافات الخطيرة التي مسَّت الأفراد والجماعات والأمم، تعالت الأصوات المنادية بضرورة الاهتمام بترتيب الأولويات وبرز ما يعرف بـ: "فقهِ الأولويات" وكثر ترداده على ألسنة الدعاة والمصلحين، وراجت القضية في ساحة الدعوة والإصلاح.

فما المقصود إذن بفقهِ الأولويات؟ وفيما تتمثل حاجة الإصلاح إليه؟

يعرِّف الدكتور يوسف القرضاوي فقهِ الأولويات بقوله: «فقهِ الأولويات هو وَضْعُ كُلِّ شَيْءٍ فِي مَرْتَبَتِهِ بِالْعَدْلِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْقِيَمِ وَالْأَعْمَالِ، ثُمَّ يُقَدِّمُ الْأَوَّلَى فِالْأَوَّلَى بِنَاءً عَلَى مَعَايِيرِ شَرْعِيَّةٍ صَحِيحَةٍ يَهْدِي إِلَيْهَا نُورُ الْوَحْيِ وَنُورُ الْعَقْلِ. فَلَا يُقَدِّمُ غَيْرَ الْأَهْمِّ عَلَى الْمَهْمِ، وَلَا الْمَرْجُوحَ عَلَى الرَّاجِحِ، وَلَا الْمَفْضُولَ عَلَى الْفَاضِلِ، عَلَى أَسَاسِ أَنَّ الْقِيَمَ وَالْأَحْكَامَ وَالْأَعْمَالَ وَالتَّكَالِيفَ مُتَفَاوِتَةٌ فِي نَظَرِ الشَّرْعِ تَفَاوُتًا بَلِيغًا، وَليْسَ كُلُّهَا فِي مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ» (3).

فيفهم من ذلك أن من فقهِ الأولويات أن نَعْرِفَ أَيَّ الْقَضَايَا أَوْلَى بِالْإِهْتِمَامِ فَتَعْطَى مِنَ الْجُهْدِ وَالْوَقْتِ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْطَى غَيْرَهَا وَ يُفْتَرَضُ أَنْ يَتَعَامَلَ مَعَ الْقَضَايَا الْمَخْتَلِفَةِ عَلَى مَسْتَوِيَّاتٍ عَدِيدَةٍ، فَيَتَعَامَلَ بِهَ عَلَى مَسْتَوَى الْأَفْرَادِ وَعَلَى مَسْتَوَى الْأَسْرِ وَالْجَمَاعَاتِ وَالشُّعُوبِ وَالْأُمَّمِ .

#### 1/ على مستوى الإصلاح الفردي:

<sup>1</sup> يوسف القرضاوي: أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، ص 37.

<sup>2</sup> عبد الحميد أبو سليمان: أزمة العقل المسلم سلسلة المنهجية الإسلامية (1) الدار العالمية للكتاب الإسلامي الرياض - السعودية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي هيردن - فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية ط 1414:3 / 1994 ص 27.

<sup>3</sup> يوسف القرضاوي: فقهِ الأولويات في ضوء القرآن السنة، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط 1: 1420 هـ / 1999 ص 9.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

إنَّ أهمَّ ما ينبغي أننَشغَلَ به اليوم إذا أردنا إصلاح حالنا، أن نبدأ البداية الصحيحة، التي تتجّه إلى الفرد، باعتباره أساس البناء كله، وهي النقطة التي أشار إليها حسن البنا رحمه الله عليه حين قال: «وَمِنْ هُنَا يَأْتِي حَجْرُ الزَاوِيَةِ فِي مَنْهَجِ الإِصْلَاحِ الإِسْلَامِيِّ وَالتَّعَالِيمِ الإِسْلَامِيَّةِ أَلَا وَهُوَ إِصْلَاحُ النَّفْسِ الإِنْسَانِيَّةِ، إِذَا قُلْنَا أَنَّ النُّظْمَ الشَّكْلِيَّةَ، أَوْ النُّظْمَ العَمَلِيَّةَ، تَأْتِي فِي المَرْتَبَةِ الثَّانِيَّةِ فِي كِتَابِ اللّهِ بَعْدَ صِلَاحِ القَلْبِ وَبَعْدَ السَّمُوِّ بِالنَّفْسِ وَبَعْدَ عِلاجِ الرُّوحِ الإِنْسَانِيَّةِ.....، وَلَعَلَّ الفَرْقَ بَيْنَ القَوَانِينِ السَّمَاوِيَّةِ وَالقَوَانِينِ الوَضْعِيَّةِ أَنَّ الأَوَّلَى تَتَغَلَّغَلُ فِي نَفُوسِ النَّاسِ وَتُقَيِّمُ فِي كُلِّ شَخْصٍ حَارِساً عَلَى نَفْسِهِ، أَمَّا الثَّانِيَّةُ فَقدِ اقْتَصَرَتْ عَلَى المَعْنَى النَّفْسَانِيَّةِ وَمِنْ ثَمَّ كَانَتْ قَاصِرَةً عَنِ القَضَاءِ عَلَى الجَرِيمَةِ» (1)

وفي نفس الفكرة يصب كلام المراغي، واصفاً الحضارة الغربية التي اختل ميزان الأولويات لديها من خلال اهتمامها بالمادة على حساب الإنسان فيقول: «أنظر إلى الأمم ذوات الحضارة والمدنية تراها أصلحت كل شيء من معدن ونبات وحيوان ولكنها عجزت عن إصلاح نفس الإنسان، ومن ثم تحوّل كل ما هدوا إليه من وسائل العمران إلى إفساد نوع الإنسان، فتعادت الشعوب وتنازعت على الملك والسلطان، وأباحت الكفر والعصيان وبذل الثروة في سبيل التنكيل بالخصوم والجناية على الأعداء ولو بالجناية على أنفسهم، وما الحروب القائمة في مشارق الأرض ومغاربها بين الدول الكبرى والتي أكلت الحرث والنسل وأزهقت أرواح الملايين من النساء بين حين وآخر إلا شاهد على صدق ما نقول» (2)

ولهذا كان كل جهد يبذل لتكوين الإنسان المسلم الحق وتربيتها تربيةً إسلاميةً كاملةً له الأولوية على ما سواه. غير أن ذلك لا يتأتى إلا بتثقيف الفرد بفن إدراك الأولويات حسب ما ذكره صاحب دراسة تناولت "فقه الأولويات دراسة في الضوابط"، فيقول فيها: «لابد من إدخال فن إدراك الأولويات في ثقافة الفرد الذي يطمح إلى إصلاح نفسه، ويتطلع ويهفو إلى تركيتها، والعودة بها إلى الخط الذي يُمكنه من تحمّل مسؤوليته ومهمته التي كلف بها في حياته حتى ينهض بها بصدق وجدّ، فتنتظم حياته مادام حيّاً، ويتمكّن بذلك من رسم خارطة لأولوياته، تجعله واعياً في تقديم ما حقّه التقديم من شؤونه وتأخير ما حقّه التأخير، ذلك أن طموحات الإنسان وتطلعاته لإصلاح نفسه، تتجاوز في الغالب أوقاته

1. سوسن هندي: حسن البنا كيف نفهم الإسلام، ص159.

2. المراغي: تفسيره، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1: 1418هـ / 1998، المجلد 3 ج8 ص179.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

ووسائله وأدواته، كما تتجاوز قدراته الآنية سواء في إطار عدم توافر الشروط أو في دائرة وجود الموانع...»<sup>(1)</sup>.

وبالتالي فهي تُحتمُّ عليه مثلاً معرفة واجب الوقت فيقدمه على غيره، ويعطيه حقه ولا يؤخره فيفوت فرصة قد لا تعوّض إلا بعد زمن طويل وقد لا تعوض، وأولوية الكيف على الكم فليست العبرة بكمية العدد ولا بالضخامة في الحجم إنَّما المدار على النوعية والكيفية، وألوية العلم على العمل لأنَّ العلم يسبق العمل، وغيرها من الأولويات التي يضيق المقام بذكرها والتفصيل فيها.

وخلاصة القول إنَّ إدراك الأولويات يُمكنُ الفردَ من معرفة وتمييز أي القضايا أولى بالاهتمام فتعطي من الجهد والوقت أكثر مما يُعطى غيرها، وقياساً على ذلك يأتي الإيمان على رأس هرم الأولويات لإصلاح النفس. وفي هذا المقام يقول يوسف القرضاوي " « فأول ما يبني الإنسان، بالإيمان أي بغرس العقيدة الصحيحة في قلبه، التي تصحح له نظرته إلى العالم وإلى الإنسان، وإلى الحياة وإلى رب العالم، وبارئ الإنسان، وواهب الحياة، وتعرف الإنسان بمبدئه ومصيره ورسالته، كما يجب لفت الأنظار في مجال إصلاح الفرد، إلى تقديم كل ما يتعلق بتقويم الفكر، وتصحيح التصوُّر، وتصويب منهج النظر والعمل. فهذا بلا ريب هو الأساس المكين لكل إصلاح يرتجى. إذ من غير المعقول أن يستقيم العمل على منهج سليم والفكر غير مستقيم. فمن ساء تصوُّره لأمر ما، فالمتوقع أن يسوء سلوكه في شأنه، فإنَّ السلوك أثرٌ للتصوُّر، حسناً أو قبحاً. ومن هنا كانت المعركة الفكرية التي تُعنى بتصحيح الأفكار المعوجة، والمفاهيم المغلوطة، لها الأولوية وحق التقديم على غيرها»<sup>(2)</sup>

لنصل في نهاية المطاف و نؤكد مرة ثانية على ما سبق الإشارة إليه من كلام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي حين قال: «أنَّه لن يقدر على إصلاح أهل الدنيا من لا يقدر على إصلاح أهل منزله، ولا يقدر على إصلاح أهل منزله من لا يقدر على إصلاح نفسه، ومن يقدر على إصلاح نفسه فينبغي أن تقع البداية بإصلاح القلب وسياسة النفس، ومن لم يصلح نفسه وطمع في إصلاح غيره كان مغروراً»<sup>(3)</sup> مصداقاً لقوله تعالى: ﴿...أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> محمد الوكيل: فقه الأولويات دراسة في الضوابط المعهد العالمي للفكر الإسلامي: هيردن - فيرجينيا، و م أ، ط1416: 1 هـ/

1997 م، ص ش

<sup>2</sup> يوسف القرضاوي: فقه الأولويات في ضوء القرآن والسنة، ص215 و 227.

<sup>3</sup> رفيق العجم: موسوعة مصطلحات الإمام الغزالي مادة "أصلح" مكتبة لبنان ط1: 2000 ص 68.

<sup>4</sup> الآية 44 من سورة البقرة.

### 2/ على مستوى الإصلاح الجماعي :

بداية لا بد من تسجيل نقطة مهمة تتعلق بأهمية مراعاة الأولويات في العمل الجماعي، فما تمت الإشارة إليه سابقاً بخصوص الأولويات التي يجب مراعاتها في حق الفرد، فإن الأمر ينطبق على الإصلاح الجماعي، بمعنى أن هذه القضية يشترك فيها الفرد والجماعة لبلوغ المرام والوصول إلى الهدف، فإن تأكدت ضرورتها في حياة الفرد بحد ذاته، فإنها في العمل الجماعي تكون ألزم وأوجب، خاصة وأن هذا العمل يطرح تنوعاً في الأفكار والآراء، ناهيك عن التنوع في المفاصل والمصالح التي لا تقع على درجة واحدة، وبالتالي فإنه يتحتم على العاملين في هذا الحقل الاهتمام بهذا السبيل - ترتيب الأولويات - فيقدمون ماحقه التقديم ويؤخرون ماحقه التأخير، فيكون ذلك مدعاةً للاتفاق والوفاق، هذه الأخيرة التي تمثل ركيزة ودعامة لا يُستهان بها في نجاح أي عمل جماعي من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن العمل المبني على أساس ترتيب الأولويات يُوفرُ جهداً ووقتاً، بأن يكون العمل منظمًا وموجهًا صوب الأهم فالمهم فالأقل أهمية، مما يُتيح للمصلحين فرصة معايشة الواقع، من خلال البحث عن القضايا محل الإصلاح وترتيبها وفق سلم الأولويات، فيكون السعي لإيجاد الحلول المقترحة، يتسم بالصوابية، بعد ثبوت نية الإخلاص، وهما شرطان أساسيان لنجاح أي عمل، بمعنى أن ينبني هذا العمل على هاتين النقطتين: الإخلاص والصواب.

وفي المقابل فإن العمل بدونه جعلنا - ولازلنا - ندفع أثماناً باهضة، يُترجمه الواقع المر الذي تعيشه الأمة الإسلامية في كافة المناحي، سواء على الصعيد الفردي أو على مستوى العمل الجماعي في أشكاله المختلفة، مؤسسات عامة أو خاصة، جمعيات أو أحزاب، قيادات أو جنود، فتكاد تخلو كل الأبواب التي نظرها من هذا الفقه، ولا نجد إلا العشوائية والفوضى تتحكم في الأمور وتكون عنواناً بارزاً في الأفكار والأعمال.

ولعل أهم سبب يمكن أن تُرد إليه إخفاقات الاجتهادات الإصلاحية التي قادها المصلحون على مرّ السنين في شكل فردي أو جماعي إلى غياب هذا الفقه في دساتير إصلاحاتهم، فتعجب لإنسان يُؤدّي حجّات متتابعة بنية التقرب إلى الله، فيدفع كل سنة أموالاً معتبرة في ذلك، بينما تُجاوره أرملة لا تجد ما تكفي به مؤونة عيالها من أكل وشرب وتعليم.....، فيقدم الحجاج على الصدقة عليها، فأين ترتيب الأولويات عنده؟ وقس على ذلك نقص المكتبات والمدارس وغيرها من المرافق التي تقع على رأس حاجات الأمم والشعوب التي تسعى في إصلاح حالها ويبقى هذا مثلاً للتوضيح لا الحصر فالمقام يضيق بذكر أمثلة يندى لها الجبين في هذا الخصوص.



أما الاجتهادات الجماعية والتي يقدم أصحابها برامج إصلاحية، فأغلبها لا تخضع لهذا المعيار، فتري منهم من يركّز على السياسة والآخر على الاقتصاد وآخر على العقيدة وهكذا هي الحلول عندهم. كل ذلك يوجّهنا إلى أن تحديد الأولويات، يخضع لاعتبارات تحكّمها قواعد المصلحة من جهة، والأحوال والظروف المحيطة من جهة أخرى.

وقد سجّل التاريخ الإسلامي في بكرته، على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اختلافاً وتبايناً في المواقف مع أعداء الإسلام، في العهدين المكي والمدني، الذي تجلّى فيه العمل بفقّه الأولويات، فنجدّه صلى الله عليه وسلم لم يشن الحرب على أعدائه حتى استكمل تجهيز عدته وعتاده، فترأس التكوين الإيماني وبناء الرجال سلم الأولويات، ليأتي التفكير بعد استكمال القوة والاستعداد، لمواجهة الأعداء.

وفي الأخير من الواجب والأکید على من يريد إصلاح نفسه وإصلاح الآخرين، أن يسير على درب يكون فقّه الأولويات فيه معياراً مهماً ومعتبراً، وصدق من قال: «...فبقدر وضوح قضية الأولويات يكون السير في دين الله»<sup>(1)</sup>.

### 2/ علاقة الإصلاح بفقّه الواقع:

مسألة فقّه الواقع، من المسائل الحساسة التي بدأت تأخذ حيزاً كبيراً من الاهتمام من قبل المفكرين والعلماء والباحثين المسلمين، وتأكّدت الحاجة إليه في الآونة الأخيرة بعدما أصبح العالم الإسلامي اليوم بكل أشكاله وألوانه، يمرّ في مرحلة غاية في الدقة والحرج، كأنّها عنق زجاجة أو سمّ حياط. ولو قلبنا النظر في هذا الواقع مُحاولين تلمّس الأسباب، لتبيّن أن هناك أسباباً عدّة يضيق المجال بذكرها وتعدادها، ساهمت في بلورته، غير أن الأکید أن الجهل بالواقع والغفلة عنه، قد ساهم في تأزم الوضع و تفاقمه، فجعلنا في مؤخرة الركب، منحرفين بذلك عن المسار الذي صاغه لنا المولى تعالى في قوله: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ»<sup>2</sup>.

غير أن الأدهى والأمر، لا يتوقف عند الغفلة والجهل بالواقع، فلا يتبناه كإحدى المنابع أو المصادر التي ترشده في المسار الإصلاحي لذلك الواقع، بل تجد من يكفر حتى بهذا الواقع ويشكّل معه قطيعة. وهنا

<sup>1</sup> سعيد حوى: تربيّتنا الروحية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط2: 1401/ - 1981 ص 86.

<sup>2</sup> من الآية 110 من سورة آل عمران.

تَكْمُنُ المصيبة التي تَفْطَنَ لها الأعداء، فتراهم اليوم قد يُخَطِّطُونَ أو بالأحرى يَتَفَنَّنُونَ في التخطيط للإطاحة بالإسلام والمسلمون، الذين يعيشون في حالة من التخدير عن واقعهم، منشغلين عنه بأمور تافهة رَوَّجَ لها أعداء الإسلام، وعَظَمَهَا في عيونهم مستخدماً ومُستغلاً أبرعَ ما وَصَلَ إليه تفكيرهم، ويقصد بذلك بشكل خاص "الإعلام"، بشتى ألوانه، هذا الأخير الذي دخل بيوت المسلمين بدون استئذان. فَمَلَّكَ عُقُولَ وقلوبَ الكبير منهم قبل الصغير، وما قصَّة كرة القدم التي جرت أحداثها بين الجزائر ومصر بعيد عن هذا التصور، فترى الصغير والكبير، الجاهل والمتعلم، كلهم يخوضون في الحديث عنها وكأنها قضية أمة، بل أبعدَ من ذلك قضية موت أو حياة.

من أجل ذلك كان لابد من وقفة بخصوص فهم الواقع وعلاقته بالعمل الإصلاحي.

و السؤال الذي يطرح نفسه، كيف يمكن أن تُغَيَّرَ ما تَجَهَّلَهُ؟، وكما قيل: "فاقد الشيء لا يعطيه". من هذا المنطلق يمكن أن نؤكِّد على أن فَهْمَ الواقع أضحى ضرورة، لا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء عنها أو الانطلاق في التجديد والإصلاح من دونها، الأمر الذي فَرَضَ في أوساط البحث والفكر ابتداءً وفي الوسط الدعوي الإصلاحي ثانياً ما يُعرف "بفقه الواقع".

فما المقصود بفقه الواقع؟ وفيما تتمثل أهميته في الإصلاح؟.

قبل التطرق إلى مفهوم فقه الواقع لابدَّ من التنويه إلى أصل اعتبار الواقع في التشريع الإسلامي، يَقُولُ في ذلك سيد قطب: «إنَّ الإسلام منهجٌ واقعي للحياة، لا يَقُومُ على مثاليات خيالية جامدة في قوالب نظرية، بل هو يُواجه الحياة البشرية، كما هي بعوائقها ومُلابساتها الواقعية، يُواجهها ليقودها قيادة واقعية إلى السير وإلى الارتقاء في آن واحد، يُواجهها بحلول عملية تكافئ واقعتها، ولا تترفرف في خيال حالم ورؤى مجنحة لا تجدي على واقع الحياة شيئاً»<sup>(1)</sup>

ويؤيد هذا الكلام ويدعمه تاريخ قصص الأنبياء حيث أنَّ دعوات الأنبياء التي ارتبطت بالقضايا الواقعية التي كانت في شعوبهم، فدعوة شعيب ارتبطت بمشكلة اقتصادية، وموسى بالحكم والسياسة و

<sup>1</sup> سيد قطب: في ظلال القرآن المجلد 1 ج 1 ص 226.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

لوط بالأخلاق، فكان بذلك الواقع هو محل الدعوة، وإصلاحه وتقويمه بشرع الله هو المقصد والهدف من النبوة ومن وريثة النبوة» (1)

وبالعودة إلى مفهومه نجد أن من عرفه على أنه يعيد دراسة الواقع المعيش، دراسةً دقيقةً مستوعبة لكل جوانب الموضوع، معتمدة على أصح المعلومات وأدق البيانات والإحصاءات (2)

بالتدقيق في هذا التعريف يتضح لنا بعض الأسس التي ينبني عليها هذا العلم منها:

أولاً: أنه يدعُو المصلح أن يكون طرفاً في هذا الواقع، فيتفاعل معهم خلال التعامل مع الناس والوقوف على مشاكلهم عن كثب، مُعمماً ذلك على نطاق واسع، يشمل في ذلك ما أمكن من طبقات وفتات المجتمع، فلا يقترح أو يقدم حلولاً بناء على ما قدمه له الآخرون، وفي ذلك إشارة إلى التشخيص الذاتي. ثانياً: أن يكون المصلح مُلمّاً بكل ما يتعلق بالقضية من قريب أو بعيد، حتى ينتفي بذلك الخيال والأحلام، ويحصلُ تكامل في الرؤية وبعد في النظر، يساعده على بناء آراء ومواقف سليمة.

ثالثاً: أنه يتطلّب استعمال وسائل مهمّة، منها الاعتماد على البيانات والإحصاءات ودقة المعلومات بمعنى أن يكون الاجتهاد في فهمه حقيقته مبنياً على علم وقواعد تتناسب مع طبيعته.

وبجدشنا عن فقه الواقع، فإنّ اعتباره في النفس البشرية مهمّ بما كان، فلا يُمكن أن تتكلّم عن واقع بدون إنسان أو إنسان بدون واقع، ذلك لعلاقة التحكّم بين الطرفين، فيتكيف الإنسان معه أو يكيّفه طبقاً لحاجياته ومقتضيات التشريع بما وهبه الله عز وجل من استعدادات فطرية تختلف من إنسان إلى آخر، كل حسب طبعه ومزاجه وخصائصه النفسية.

لنصل في نهاية المطاف إلى أن مراعاة الواقع تعتبر ضرورة لا يمكن للمصلح أن يصل إلى أهدافه ولا أن يؤتي الإصلاح بثماره من دونها، بل لا يمكن البدء فيه من دون دراسة مستوفية للواقع، حتى لا يعدّ الجهد الموجه هباء منثوراً، فيؤول العمل إلى إحدى الصور الثلاث: إمّا التأخر، أو الفشل أو الاندثار. فيكون بذلك العمل استنباتاً للبذور في الهواء بدل زرعها في الأرض

<sup>1</sup> محمد الوكيل: فقه الأولويات دراسة في الضوابط ص 177.

<sup>2</sup> يوسف القرضاوي في أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، ص 26.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

وهو المعنى الذي طرحه عبد المجيد النجار حين قال: "..... أنَّ المصلح لا يتحرَّك في فراغ، وإنَّما في واقع يتحمل فيه حقيقة الوحي، التي تدعوه إلى الإصلاح، وكشرط مبدئي عليه أن يفهم الواقع الذي يُريدُ أن يجريه على أساس من الوحي، وأن يتعمَّق في فهمه، ويبدل الجهد الكبير في ذلك، وكلِّما كان فهمه أشمل وأعمق، كانت قدرته على تكييفه بحسب مقتضيات الوحي أكبر، بما يستكشف من المفاصل التي يسهل منها تطويعه لينفعل بحقيقة الدين»<sup>(1)</sup>.

---

<sup>1</sup> موقع إسلام ويب، عبد المجيد النجار: فقه التدين فهماً وتزيلاً - ج1، الفصل الثالث: فهم الواقع، سلسلة كتاب الأمة، المكتبة الإسلامية، (بتصرف).

### المطلب الرابع: الأبعاد المقاصدية للإصلاح

يقول ابن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة: «أن المقصد العام من التشريع هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه، بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان ويشمل صلاحه عقله وصلاح عمله وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه»<sup>(1)</sup>، بعبارة أخرى المقصد العام للشريعة يقع بمعنى الصلاح وإزالة الفساد، وفي موضع آخر خصَّ القرآن الكريم وهو أول مصادر التشريع بقوله: «أنَّ المقصدَ الأعلى له هو إصلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية، بحيث يستطيع الإنسان بإتباع تعاليمه والعمل وفق أحكامه وتوجيهاته، وتمثُّل قيمه وإرشاداته والسعي لتحقيق مقاصده وغاياته، أن يقيم مجتمعه على أرسخ أساس ويشيد حضارته على أدوم مقام»<sup>(2)</sup>

وعبَّرَ عنه ابن تيمية بقوله: «يكفي المؤمن أن يَعْلَمَ أن ما أمر الله به، فهو لمصلحة محضة أو غالبية، وما نهى الله عنه فهو مفسدة محضة أو غالبية، وأنَّ الله لا يأمر العباد بما أمرهم لحاجة إليهم ولا نهأهم عما نهأهم بخلا به، بل أمرهم بما فيه صلاحهم ونهأهم عما فيه فسادهم»<sup>(3)</sup>

ولما كان موضوعُ الدراسة عن الإصلاح الذي هو مقصد القرآن والشريعة، فإنَّ العمل يتوجَّه نحو محاولة الكشف عن بعض المصالح التي تتحقق بالامتثال لأمر الإصلاح، بما في ذلك المفاصد التي تدرأ به على حد سواء.

على أنَّ حبل الحديث يطول ويحتاج إلى بحث خاص و متوسع. لذلك سنقتصر في البحث على الأبعاد المقاصدية للإصلاح، من خلال الكليات الخمس: الدين والنفس والعقل والمال وأخيرا النسل .

#### حفظ كلية الدين:

بداية المقصود بالدين، هو الدين الحق المترل من رب العالمين، الخالص من البدع والتحريف، إذ هو من أهم المقاصد التي جاءت الشريعة الإسلامية إلى الدعوة بحفظه باعتباره لب المقاصد كلها و روحها، وما عداه فهو متفرع عنه محتاج إليه<sup>(4)</sup>، ولما كان كذلك فلا يُمكن تصوُّر ضياع هذا المقصد أو تحريفه، أو تبديله لأنَّ في ذلك ضياعاً للمقاصد الأخرى، وخراب للدنيا بأسرها. قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ

<sup>1</sup> محمد طاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة، دار النفائس للنشر والتوزيع - الأردن، ط 2: 1421 / 2001، ص 147.

<sup>2</sup> نفس المرجع ص 67.

<sup>3</sup> ابن تيمية: زيارة القبور والاستنجاد بالمقبر، دار الصحابة للتراث، طنطا - مصر، ط 1: 1412 هـ / 1992 م، ص 37.

<sup>4</sup> البيوي: مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، دار الهجرة للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية ط 2:

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

الإسلام ﴿ (1) ، هذا الدين الذي تَوَلَّى اللهُ تعالى حفظه فقال في محكم تتريله : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (2)

ومع تسليمنا لذلك نجدُ أنَّ الحقَّ تعالى قد شرَّعَ وسائلَ يتم من خلالها حفظ الدين، منها الإصلاح وذلك من وجهين:

### الوجه الأول: الاحتكام إلى الدين في قضايا الإصلاح والعمل به

إذ من غير المعقول أن يُحفظ هذا الدين إن لم يكن هو الحاكم الذي يستمد منه المصلح أحكامه، ومن ثم يشهد الواقع بتنفيذها وتطبيقها، منطلقاً بذلك من قوله تعالى: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (3) هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد أعلن المولى تعالى من فوق سبع سموات أن الدين كاملٌ وتام، قد بيَّنت آياته المبادئ الكلية، والأحكام التفصيلية لكل شيء بما في ذلك كل ما يتعلق بالعملية الإصلاحية، قال تعالى: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (4)، فلم يعد المصلح بحاجة إلى تصوُّرٍ يُقصِّدُ يستدعي الإكمال ولا تصوُّراً يستدعي الإكمال ولا تصوُّراً يستدعي التطوير والتحرير، وإنما بقي عليه إظهار هذه الأحكام والشعائر وإقامة الحدود، وترسيخ هذه المفاهيم، فَجَدُّهُ مثلاً دَعَا إلى الإصلاح بين الناس فأمر بالقسط والعدل فيهم، قال تعالى: ﴿...وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصِلُوهَا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَاصِلُوهَا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (5)، ذلك أن العدل والقسط يمنع ثوران الفتنة مرة أخرى، ولأنَّ الإحساس بالعدل يُولد الرضا وبالتالي تخمد النيران وتنطفئ جمره الشقاق بين المتخاصمين أو المتقاتلين.

وباستقراءنا لجميع الآيات التي تناولت وتحدثت عن الإصلاح نجدُ أنَّها قد فصلت في أحكامه وبنيت مبادئه فلم يبق للمصلح إلا الالتزام بها وتطبيقها، وهو ما عبَّر عنه صاحب مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية بقوله: «هذا الالتزام الذي يسدُّ الباب على أهل الأهواء المنحرفة والمذاهب

<sup>1</sup> الآية 19 من آل عمران.

<sup>2</sup> الآية 9 من سورة الحجر.

<sup>3</sup> الآية 44 من سورة المائدة.

<sup>4</sup> الآية 3 من سورة المائدة.

<sup>5</sup> الآية 10 من سورة الحجرات.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

الهدامة التي تبين الفارق الكبير والبون الشاسع بين أحكام وسعها علم الله في صورة كمال وإتقان وبين أحكام بشر التي لا بد أن يدخلها النقص والضعف»<sup>(1)</sup>

### الوجه الثاني: الدعوة إلى دين الله

فلا يُمكن أن يُتصور قيام دين وانتشاره فضلا عن حفظه دون الدعوة إليه وبيان محاسنه وتوضيح أحكامه وتفصيل آدابه، هذه المهمة التي هي في الأصل أساس العمل الإصلاحي وجوهره، إذ أن كل جهود المصلح تُصبُّ في معنى الدعوة إلى دين الله وهو الدرب الذي سار عليه الأنبياء والمرسلون ومن بعدهم الصالحون، قال تعالى: ﴿... فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(2)</sup>

ولقد جاء على لسان موسى عليه السلام قوله لأخيه هارون عليهما السلام: ﴿... وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(3)</sup>، في الآية الكريمة إشارة واضحة وبيان واف عن وجوب التمسك بدين الله والدعوة إليه، ومن ثمة مواجهة الضالين المضلين.

يقول الإمام القرطبي: «في معنى قوله: "أصلح"، هو أمر بالإصلاح، قال ابن جريج: "كان من الإصلاح أن يزجر السامري ويغيّر عليه، هذا الأخير الذي دعا بني إسرائيل إلى عبادة العجل والحكم بغير ما أنزل الله»<sup>(4)</sup>.

### حفظ كلية النفس:

يعدّ مقصد حفظ النفس المقصد الأساسي الثاني من المقاصد العامة للشريعة، وقد وردت نُصوصٌ كثيرةٌ تُؤكدُ أهميّة لزوم الحفاظ عليه، فشرع من الأحكام ما يجلب المصالح لها، ويدفع المفساد عنها، وذلك مبالغة في حفظها وصيانتها، ودرء الاعتداء عليها، لأنّه بتعريض الأنفس للضياع والهلاك، يُفقدُ المكلف الذي يتعبد الله سبحانه وتعالى.

<sup>1</sup>اليوبي: مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، ص 422 - 423.

<sup>2</sup>الآية 122 من سورة التوبة.

<sup>3</sup>الآية 142 من سورة الأعراف.

<sup>4</sup>القرطبي: جامع الأحكام، المجلد 4 ج 7 ص 177.

ويأتي الإصلاح بحفظ النفس من وجوه:

**الوجه الأول:** من جهة عدم الإهلاك، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾<sup>(1)</sup>، جاء في معنى الآية أن الإصلاح يحفظ الناس من الهلاك، وأن المصلحين صمام أمان للناس من الهلاك والعذاب فكان ذلك من باب وظيفة الفرد في الحفاظ على نفسه وغيره على حد سواء، وقصص القرآن والتي تحكي تاريخ الأمم السابقة زاخر بما يفيد هذا المعنى. فهلاك قوم عاد وثمود وغيرهم خير شاهد على ذلك.

وبحصول الطمأنينة للنفس يتحقق الحفاظ عليها وبالتالي يستقيم وجودها وفعاليتها، لأنّ الفعالية تتأثر سلباً وإيجاباً بعوامل الأمن والخوف.

**الوجه الثاني:** ويتعلق الأمر بالمحافظة على الصحة النفسية، إذ أنّه من المعلوم أن الله عز وجل خلق الفطرة سليمة في الإنسان يقول ابن عاشور: «إذا أجدنا النظر في المقصد العام للتشريع..... نجده لا يعدو أن يساير الفطرة، ووجود هذه الفطرة السليمة عندما يخالف سننها يشعر أنّه ارتكب ذنباً ويظل هذا الذنب يؤرقه ويقلقه، فيؤذيه ويذهب عن نفسه الطمأنينة والأمان النفسي، وكما هو معروف أن التوازن و الانفعال والهدوء العاطفي يمثل القاعدة الأساسية لصحة النفس البشرية»<sup>(2)</sup>. هذه الأخيرة التي تجعله في معزل عن الاضطرابات النفسية فكان إصلاح ما قام به المذنب من أخطاء في حق نفسه أو غيره هو دعوة إلهية لإنقاذ هذه النفس من أي اضطراب نفسي أو آلام، ولعله هو المعنى الذي أشار محمد رشيد رضا عندما قال: «الإصلاح في العمل هو إتباع ذلك العمل السيئ التأثير في النفس عملاً يضاده ويذهب بأثره من قلبه حتى يعود إلى النفس زكائها وطهارتها بعد اقترافها الذنوب والجرائم»<sup>(3)</sup>، وهو الأمر الذي تجلّى في قوله تعالى في حدّ جريمة السرقة حين قال: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(4)</sup>، ولعموم الذنوب عموماً في قوله تعالى: "إلا الذين تابوا وأصلحوا.....".

جاء في دراسة لموضوع التوبة في القرآن الكريم ذكرت فيها صاحبة الدراسة أنّ إصلاح العمل الذي يقوم به التائب من الذنب بمثابة الرجوع إلى الفطرة السليمة التي انحرفت، وأقدمت على الذنب، رجوع

<sup>1</sup> الآية 117 من سورة هود.

<sup>2</sup> الطاهر ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية ص 266.

<sup>3</sup> محمد رشيد رضا في المنار ج 7 ص 450.

<sup>4</sup> الآية 39 من سورة المائدة.



## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

إلى أمان واطمئنانٍ تُرجمُهُ سُلوِكُ فعَّالٍ وإنتاجٌ متزايدٌ للخير والمنفعة، شاكرًا اللهُ على هذه الفرصة التي أعادته للحياة من جديد، وربطته بالسعادة والراحة النفسية، فَنَجِدُهُ يُبَادِرُ للخير ويُدعِ لآئِنه من جهة لا يعرف كيف يشكر الله فيتفانى في ذلك، ومن جهة أخرى يريد أن يُنقذ كل من سوَّلت له نفسه ارتكاب الذنوب، فيحرم السعادة التي يعيشها هو الآن» (1).

**الوجه الثالث:** حِفظُ النفس بذاتها، من خلال إقامة الصلح عند الفتن والافتتال، مصداقًا لقوله تعالى: " فأصلحوا بين أخويكم....."، والذي يُقصد منه ابتداء حفظ النفس ومنعها من الوقوع في جرائم القتل أصلاً أو توسيع دائرة القتل بين الناس فرادى أو جماعات، ناهيك عن تقطُّع أو اضرار الأُخوة، وبالتالي وحدة الأمة وتماسكها، الذي يمكن أن يسببه الهجران الذي ينشأ بعد الخلاف والعداوة بين المتخاصمين، فيتقاطع الناس ويتعصبون لهذا أو ذاك فيؤدي بالضرورة إلى جريمة القتل هذا من ناحية، وهناك من يرى أن الخلاف يمكن أن يفضي ويؤدي إلى تعصُّب في تداول المنافع بين الناس خاصة ما تعلق بالحاجيات الأساسية للعيش من طعام أو دواء أو غيرها من الحاجات وأن ينصرفَ إلى زيادة الأسعار للتنكيل والانتقام مما يصعب العيش على الأفراد ويلحق الضرر بالناس» (2).

وتجدرُ الإشارة إلى أن توجيه الإسلام إلى الإصلاح لم يتوقف عند هذا الحد، بل أمر بالقسط عند الإصلاح بين الناس في قوله سبحانه وتعالى: ﴿..... فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (3). فكان إقرارُ العدل في الإصلاح ونشر ثقافته في العلاقات الفردية أو الاجتماعية مبدأً أصيل في الشريعة، إذ يُعدُّ وسيلة في الحفاظ على النفس، من باب أنه يمنع التعدي الذي يتحقق بالرضا الناتج عن العدل، وفي المقابل فغيابه يُقوي البغضاء والشحناء، ويولد في النفوس الحقد والإحساس بالظلم و الذي يولِّد بدوره حب الانتقام، ويصلُّ إلى حد القتل حتى يُشفي الغليل، فيكون بذلك الاحتكام إلى العدل وسيلة من وسائل الرضا، التي تقضي على حب الانتقام.

### حفظ كلية العقل :

يُعدُّ العقل أهمَّ ميزة يتميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات و التي تشاركه في باقي المزايا، فبالعقل صار الإنسان خليفة الله في الأرض، يسعى في مناكبها بما يرشده عقله ويعبد الله تعالى.

<sup>1</sup>آمال بنت صالح نصير : التوبة في القرآن الكريم ص 517.

<sup>2</sup>عبد القادر بن عزوز : محاضرات في مقاصد الشريعة، دار القرطبة - الجزائر، ط1:1427هـ/ 2006 ص 53.

<sup>3</sup>الآية 9 من سورة الحجرات.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

جاء في كتاب مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية أنه لم يخالف أحدٌ على وجوب المحافظة على سلامة العقل من المفسدات، وهو ما أرشدت إليه الشرائع السابقة، وأكدت عليه الشريعة الإسلامية في كثير من نصوص القرآن والسنة النبوية الشريفة، فنصت على أحكام كل ما من شأنه إفساد العقل وإدخال الخلل في التفكير<sup>(1)</sup>

ويأتي الإصلاح كأحد المفاهيم التي من شأنها توضيح التصورات السلبية عن غيرها في الدين أو الاجتماع أو السياسة، فوضّح ذلك ابن جرير الطبري بقوله: «أنّ المولى تعالى قد هَمَى في كتابه العزيز المنافقين الذين عَطَّلُوا عُقُولَهُمْ عن التفكير السليم فلم يميّزوا بين الإصلاح والفساد، فَضَيَّعُوا بذلك أمر الله وارتكبوا المعاصي، وَشَكُّوا في دين الله وظاهروا أهل الكتاب، مُتَّصِرِينَ الإفساد صلاحاً، فكان العمل بمقتضى العلة الفكرية»<sup>(2)</sup>، لقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾<sup>(3)</sup>

وفي هذا المقام يقول ابن عاشور: «بهذا نستدلُّ على أنّ إصلاح التفكير من أهمّ ما قصده الشريعة الإسلامية في إقامة نظام الاجتماع من طريق صلاح الأفراد، وبهذا نفهم وجه اهتمام القرآن باستدعاء العقول للنظر والتذكر والتعقل والعلم والاعتبار. ذلك أنّ الذهول عن الحقائق والخطأ في إدراكها من أكبر المصائب في العاجل والآجل لأنّه يُوقِعُ صاحبه في مهوأة الضلالة من حيث يتطلب الهدى والنجاة أو يضيع عليه مدة من نفيس عمره حتى يفتيق من ضلاله. وجماع القول فيها أنّ كل فرد مأمور بصحة التفكير في دائرة ما يحتاجه من الأعمال تفكيراً يعصمه من الوقوع في مهاوي الخطأ»<sup>(4)</sup>

### حفظ كلية المال:

يُعَدُّ حفظُ المال من المقاصد الضرورية التي لا تستقيم مصالح الدنيا إلا بها سواء في حق الفرد أو في حق الأمة، ضرورة المال للأفراد من حيث هم محتاجين إليه لما فيه من قيام مصالحهم الدينية أو الدنيوية كضرورة الملابس والمطعم ..... للتمكن من أداء مختلف الواجبات الدينية الأخرى<sup>(5)</sup>

ولقد أحاط الإسلام الملكية بسياج قوي من الحماية، وفرض من العقوبات ما يزر المتعدي ويحفظ المال فقرّر في قوله تعالى: ﴿السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما...﴾<sup>(6)</sup>، ولم يقف عند هذا الحد بل أوجب

<sup>1</sup>اليوبي: مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية ص 235 - 236.

<sup>2</sup>الطبري في تفسيره المجلد 1 ج 1 ص 158.

<sup>3</sup>الآية 11 من سورة البقرة.

<sup>4</sup>إطاهر بن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، المؤسسة الوطنية - تونس، ط 2: 1985، ص 52.

<sup>5</sup>اليوبي: مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية ص 283.

<sup>6</sup>من الآية 39 من سورة المائدة.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

الإصلاح بعد جريمة السرقة، وذكر بعض أهل العلم أن الإصلاح هنا يأتي من وجه ضمان المتلفات، و به قال صاحب المغني: « فمن غَصَبَ شيئاً وَجَبَ عليه رده ما كان باقياً بغير خلاف لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "على اليد ما أخذت حتى تؤديه"<sup>(1)</sup>، "الأصل في ضمان المتلفات ضمان المثل بالمثل والمتقوم بالقيمة"<sup>(2)</sup>

ويذكر محمد رشيد رضا في معرض ذكر التوبة بعد السرقة أن التوبة لا تُسقط حقَّ المسروق منه بل لا تَصَحُّ التَّوْبَةُ إلا بإعادة المال المسروق إليه بعينه إن بقي، وإلا دَفَعَ قيمته إن قَدَرَ، ولا يظهر لنا وجه لما قال به بعض الفقهاء من عدم الجمع بين الحد وغرامة المسروق، فإنَّ الحدَّ حقُّ الله تعالى لمصلحة عباده عامة؟، والمال حق من سرق منه خاصة<sup>(3)</sup>

وفي نفس السياق ذكر الشعراوي أنه إذا كان الشيء المسروق في حوزة السَّارِق، فعليه أن يردّه إلى صاحبه، فيأتي إلى صاحب الشيء فيستحلّه، وفي الجملة إيصال الحقوق إلى أصحابها من أعظم المقاصد، كل ذلك مراعاة لطبيعة النفس البشرية وفطرتها، فالإنسان مَفْطُورٌ على حب المال وعلى الانتقام ممن آذاه، فإذا لم يَرَى نصفة في ذلك وعدلاً برِدِّ الحق إلى نصابه، رَجَعَ إلى فطرته في الانتقام غير العادل<sup>(4)</sup>. فحاصل الكلام أن الشريعة الإسلامية قد راعت حق من لحقه الإلتلاف أو الضرر في أموال الناس و أغراضهم، بأن طلبت من الذي يريد الإصلاح، بإعادته إلى صاحبه إن كان ممكناً.

### حفظ العرض :

فرغم الاختلاف في عدّ حفظ الأعراض هل من الضروريّات أم لا ؟، فإنَّ الأكيد أنَّ انتهاكه كبيرة، ويكوّن المنع منه من باب المحافظة على ضروري آخر وهو النسب أو النسل.

لهذا وصيَّانَةٌ للأعراض من التهجم وحماية لأصحابها من الآلام الفظيعة التي تصب عليهم جراء الاتهام بالزنا وبالتالي، الأمر الذي يؤدّي إلى الشك في انتساب النسل إلى أصله، فقد شدّد القرآن الكريم في عقوبة القذف، فقال تعالى: "وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا

<sup>1</sup> رواه الإمام أحمد في المسند: مسند البصريين من حديث سمرة بن جندب حديث رقم 20108 ج7 ص242.

<sup>2</sup> ابن قدامة: المغني، تحقيق محمد شرف الدين خطاب و السيد محمد السيد، دار الحديث القاهرة - مصر،

ط1: 1416هـ / 1996م، ج7 ص32.

<sup>3</sup> محمد رشيد رضا في المنار ج 6 ص317.

<sup>4</sup> الشعراوي في تفسيره المجلد 5 ص 3129.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

---

لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (4) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>1</sup>،  
فالإصلاح في هذا المقام يقتضي أن يكذب القاذف نفسه، ويُقرّ أنه كاذب فيما قال، وهو واجبٌ عليه،  
قال الشافعي رحمه الله: «التوبة منه إكذابه نفسه، ولو تَيَقَّنَ وَقُوعُهُ، حيث لم يأت بأربعة شهداء»  
(2)، حسب ما ذكره صاحب تفسير كلام المنان.

---

<sup>1</sup> الآيتين 4 و5 من سورة النور.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تفسير كلام المنان دار التقوى - المدينة المنورة، دت، ج 3 ص 433.

### المطلب الخامس: من ثمار الإصلاح

للإصلاح في القرآن الكريم آثار وثمار عديدة نذكر منها:

#### 1— جلب المغفرة والرحمة:

إنَّ أفضل وأغلى ثمار يتحصل عليها المصلح على الإطلاق، أن يَتَحَقَّقَ له وَعَدُّ الله الذي وَعَدَ به القائم عليه، من مغفرة وأجر وتوبة، وكل ذلك من فضل الله ورحمته، يَتَفَضَّلُ به على من يشاء من عباده، وذلك الفوز المبين، وَكَوْنُ الإصلاحِ وسيلةً يَتَقَرَّبُ وَيَتَوَسَّلُ بها الإنسان إلى ربه ليفوز. فَإِنَّا نَفْهَمُه من خلال ما نطقت به حروف الآية الكريمة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿... ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(1)</sup>

جاء في تفسير المنار أن هذه الآية تُفِيدُ قاعدة ترتب المغفرة على التوبة والإصلاح، فشأنه سبحانه في معاملته أَنَّهُ وَاسِعُ المغفرة والرحمة فيغفر للمصلح، وهذه قاعدة من قواعد الدين وأسس من أساسه أمر الله تعالى رسوله الأمين أن يُبَلِّغَهَا لمن يَدْخُلُون فيها ليهتدوا بها<sup>(2)</sup>

#### 2— الأمان و الاطمئنان:

الإصلاح أمانٌ أي شيء يَفْرَعُ في الحياة، وحيلولة دون وقوع الحزن، يقول رب العزة: ﴿... فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(3)</sup>، فأفادت الآية الكريمة أن الإيمان والإصلاح في العمل، يَتَقَضِي عدم الخوف على صاحبه من عذاب الدنيا الذي يَتَرَلُّ بالجاحدين ولا من عذاب الآخرة الذي يَجَلُّ بالمكذبين ولا حزناً يوم لقاء الله على شيء فائت، لأنَّ الله يُقِيهِم الفرع الأكبر، الذي أخبر به في قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾<sup>(4)</sup>، ويعلق على ذلك صاحب تفسير المنار فيقول: «ولك أنتقول أن هؤلاء الكلمة لا يحزنون في الدنيا مما يحزن الكافر والفاسق كفوات شهوات الدنيا ولذاهما، أو لا يكون حزنهم في شدته

<sup>1</sup> الآية 119 من سورة النحل

<sup>2</sup> محمد رشيد رضا المنار ج 7 ص 45.

<sup>3</sup> الآية 48 من سورة الأنعام.

<sup>4</sup> الآية 103 من سورة الأنبياء.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

وطول أمدده، فإنَّهم إذا عرض لهم الحزن لسبب صحيح كموت الولد والقريب أو الصديق أو فقد المال وقلة النصر، يَكُونُ حُزْنُهُمْ رَحْمَةً وَعِبْرَةً مَقْرُونًا بِالصَّبْرِ وَحَسَنَ الْأَسْوَةِ، لَا يَضُرُّهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَلَا أَبْدَانِهِمْ، وَلَا يُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ عَادَاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ» (1)

فإذا انْتَفَى الخوفُ والحزنُ حَصَلَ الأَمْنُ التَّامُّ والسعادة والفلاح الأبديين.

### 3 - النجاة من الهلاك:

يقول الحق تعالى في محكم تنزيله: ﴿...وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرْيَةَ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ (2)، إِنَّ المدَّقَّ في هذه الآية العظيمة يَسْتَبْشِرُ خَيْرًا بما هَيَّأه اللهُ من عظيم رحمة ومِنَّة إلهية للقائمين بالإصلاح، حيث سَحَلَتْ هذه الآية الكريمة معادلة قرآنية، تمثلت في أَنَّ كُلَّ طُغْيَانٍ فِي الْبِلَادِ يَنْتُجُ عَنْهُ إِكْثَارٌ فِي الْفَسَادِ وينتج عن ذلك الفساد والطغيان عذاب وعقاب، وَأَنَّ الطَّرِيقَ الْوَحِيدَ لِلنَّجَاةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هُوَ الْإِصْلَاحُ، إِذْ أَنَّ ذَلِكَ يُمَثِّلُ قَاعِدَةً عَامَةً وَسُنَّةً كَوْنِيَّةً.

جاء في تفسير المنار، أَنَّهُ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ رَبِّكَ وَسُنَّتِهِ فِي الْاجْتِمَاعِ الْبَشَرِيِّ أَنْ يُهْلِكَ الْأُمَّمَ بِظُلْمٍ مِنْهَا لَهَا فِي حَالِ كَوْنِ أَهْلِهَا مُصْلِحِينَ فِي الْأَرْضِ، بِمَجْتَنِبِينَ لِلْفَسَادِ وَالظُّلْمِ وَإِنَّمَا أَهْلَكَهُمْ وَيُهْلِكُهُمْ بِظُلْمِهِمْ وَإِفْسَادِهِمْ فِيهَا كَمَا تَرَى فِي الْآيَاتِ الْعَدِيدَةِ مِنْ سُورَةِ هُودٍ وَغَيْرِهَا (3)

وَتَجَدُّرُ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ اسْتِعْمَالَ صَاحِبِ الْمَنَارِ لِفِعْلِ الْهَلَاكِ فِي الْمَاضِي وَالْمُضَارِعِ "أَهْلَكَهُمْ وَيُهْلِكُهُمْ" إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يُؤَكِّدَ أَنَّ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ لَيْسَتْ خَاصَّةً بِالطُّغْيَانِ السَّابِقِينَ، كَعَادِ وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ وَلَكِنَّهَا قَاعِدَةٌ مَطْرُودَةٌ وَسُنَّةٌ رَبَّانِيَّةٌ دَائِمَةٌ تَنْطَبِقُ عَلَى الطُّغْيَانِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

إِذْ أَنَّ قَضِيَّةَ الْإِصْلَاحِ وَالْإِفْسَادِ تَجْعَلُنَا كُلَّنَا فِي مَرَكَبٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّ لَمْ يَأْخُذِ الْعَاقِلُ الصَّالِحُ عَلَى يَدِ الْمَفْسُودِ لِهَلَاكِ الْمَفْسُودِ وَالْعَاقِلُ مَعًا، وَلَنْزَلَ الْبَلَاءُ الْعَامَ عَلَى الْجَمِيعِ وَهَذَا مَا تُوضِّحُهُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (4)

<sup>1</sup> محمد رشيد رضا: تفسير المنار ج7 ص250 .

<sup>2</sup> الآية 88 من سورة هود.

<sup>3</sup> نفس المصدر السابق

<sup>4</sup> الآية 25 من سورة الأنفال.

### 4 - احتساب الأجر:

ويقصد بذلك أجر دفع الضرر والأذى عن المسلمين من جهة، وأجر أن الإصلاح هو الاهتداء من جهة أخرى. يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله" (1) و للمصلح أن يتخيّل أن يكون الأجر على الله، أجود الأجودين ويترك الأمر مطلقاً ومفتوحاً. وفي هذا المقام لا بد أن نُشير إلى أن ما اختص الله به الصالحين من حياة طيبة و رضا وولاية، كل ذلك ينجرُّ بطبيعة الحال على المصلح على اعتبار أنه فردٌ صالحٌ قبل أن يكون مُصلحاً. والمتأمل لهذه الآثار يظهر له جلياً أنها ترفع من منزلة الإصلاح وتثبت له خصوصية تُسمى بخصوصية الأمة الإسلامية قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (2).

<sup>1</sup> رواه مسلم: كتاب الإمارة باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب غيره وخلافته في أهله بخير، حديث رقم: 1893 بيت

الأفكار الدولية عمان - الأردن ص 787.

<sup>2</sup> الآية 110 من سورة آل عمران.

الفصل الثالث: الإصلاح بين قصص الأنبياء والواقع.

المبحث الأول: الإصلاح في قصص الأنبياء.

المبحث الثاني: الإصلاح في الواقع.



## المبحث الأول

### إصلاح الأنبياء

#### تمهيد:

إنَّ القرآنَ الكريمَ مليءٌ بالنماذج الحَيَّة التي تمثل أنموذج الشخصية الإصلاحية، ويقع على رأس الهرم الأنبياء والمرسلون، ويلحقُ بدرهم الصالحون، الذين جعلهم القرآن بمثابة مدرسة علمية وعمليَّة عظيمة يستمدُّ منها الإنسان كل ما يحتاجه في عموم وخصوص حياته، بما فيها الحاجة إلى الإصلاح، الأمر الذي جعل الاقتداء بهم أَلزَمَ وأَوْجَبَ لكل من أراد أن يسير على درب الإصلاح يقول الشعراوي: «فكلُّ النَّبَوَات لا يُرسلها اللهُ تعالى إلا حين يَطمُّ الفساد ويأتي النَّبِيُّ المرسل بمنهج يَدُلُّ الناس إلى ما يُصلحُ أحوالهم من خلال "افعل" و"لا تفعل"» (1)

وفي معنى يُقارَبُه يقول الرازي: «اعلم أنَّ عَادَةَ الأنبياء عليهم السلام إذا رأوا قومهم مقبلين على نوع من أنواع المفاصد إقبالاً أكثر من إقبالهم على سائر أنواع المفاصد بدؤوا بمنعهم على ذلك» (2)

وقد وَقَعَ الاختيار لتبيين الوظيفة الإصلاحية لخيرة البشر عليهم أفضل الصلاة والسلام، على خمس مدارس إصلاحية، بقيادة: إبراهيم، موسى، شعيب، لوط، ليكون الختام بآخر وخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والتسليم.

على أنَّ هذا الاختيار لا يَمُتُّ بصلَّة إلى التفريق والتفضيل بينهم، فَكُلُّهم أنبياء ورسلكم تعاونوا جميعاً على بناء الإنسان، فقد قام كُلُّ نبي بما أَوْحَى اللهُ إليه ببناء لبنة في صرح الإنسان بدءاً من آدم عليه السلام وانتهاء بخاتم الأنبياء، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث النبوي: "إنَّ مَثَلِي ومَثَلُ الأنبياء من قبلي، كمثل رجلٍ بنى بيتاً فأحسنته وأجمَلته، إلا موضعَ لبنةٍ من زاوية، فجعلَ الناسُ يطوفونَ بهِ ويعجبونَ له، ويقولون: هلاَّ وُضِعَتْ هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين" (3)

<sup>1</sup> محمد متولي الشعراوي : تفسير الشعراوي، المجلد 11 ص 6622 .

<sup>2</sup> الرازي: التفسير الكبير، المجلد 7 ج 14 ص 141 .

<sup>3</sup> رواه البخاري : كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم حديث رقم : 3534 ، بيت الأفكار الدولية عمان -

الأردن ط : 2005م، ص 679 .

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

وورد في كتاب الله ما يُثبت هذا الكلام في قوله تعالى: ﴿... لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (1)

ويُبين ذلك الشيخ محمد الغزالي بقوله: «وقد نظرتُ إلى العلل التي توزعت على الأولين و أودت بهم، فوجدتها تتلاقى في رحاب هذه الحضارة، وتنتشرُ بين نظمها المختلفة» (2) وبناء على هذا الأساس تم اختيار:

- إبراهيم عليه السلام أنموذجاً في الإصلاح العقدي.
- موسى عليه السلام أنموذجاً في الإصلاح السياسي.
- شعيب عليه السلام أنموذجاً في الإصلاح الاقتصادي.
- لوط في عليه السلام أنموذجاً في الإصلاح الأخلاقي.
- محمد صلى الله عليه والسلام أنموذجاً في الإصلاح الشامل .

وحتى يَسْتَبِينَ السبيل في قصة إصلاح كل نبيّ فقد تم الاقتصار على بعض التفاصيل بما يخدم الموضوع - محل الدراسة - وذلك من أجل توضيح نقطتين مهمتين في هذه العملية تتمثل في:

- 1/ التخطيط الإصلاحي: وهي الخطة التي اتبعتها كل نبي لإصلاح ما فسد في بني قومه.
  - 2/ المنهج: ونقصدُ به الأسلوب المتبع في تطبيق هذه الخطة سواء تعلق الأمر بوصف للشخص المصلح، أو وصف للطريقة المتبعة والمعينة لبلوغ الأهداف المسطرة في ذلك.
- على أن مَنْ يُريدُ التعرف على جميع التفاصيل التي تخص حياة الأنبياء وقصصهم فالتاريخ الإسلامي عموماً وقصص الأنبياء خصوصاً زاخراً بذلك، والمؤلفات كثيرة يمكن الرجوع إليها سواء التي تم الاعتماد عليها في مقام الدراسة، أو كتب أخرى ودراسات قد اعتنت بهذه القصص عناية خاصة، سواء بالإجمال من خلال التعرض لجميع الأنبياء، أو بالتخصيص لنبيّ معين (3).

<sup>1</sup> الآية 285 من سورة البقرة.

<sup>2</sup> محمد الغزالي: المحاور الخمسة للقران الكريم دار القلم، دمشق- سوريا ، ط2 : 1418 / 1997م ص 103 .

<sup>3</sup> انظر قصص الأنبياء: عبد الوهاب النجار، دار الجيل، بيروت - لبنان، د ت و قصص القرآن لمجموعة من المؤلفين: محمد أحمد جاد المولى و محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البحاي و السيد شحاتة، دار الجيل، بيروت - لبنان ط 1417هـ / 1997م مع الأنبياء في القرآن الكريم: عفيف عبد الفتاح طيّارة، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط25: 2007، يوسف في القرآن الكريم والتوراة: زاهية راغب الدجاني، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت - لبنان، ط2: 1417هـ / 1997م.

المطلب الأول: الإصلاح العقدي ( إبراهيم عليه السلام أمودجا)

سَجَّلَ القرآنُ الكريمَ عموماً وقصص الأنبياء والصالحين خصوصاً سجلاً وافياعن أمم كثيرة انحرفت فكريا وعقديا، وتطرق الشرك إليها، فابتعدت عن معرفة ربها وعبادته، واتخذوا الأوثان والأصنام والطواغيت أربابا وآلهة، فسادت بذلك أوضاعٌ منحرفة وفسادة، اقتضت إصلاحاً وتغييراً يحمله قادة اصطفاهم المولى عز وجل لهذه المهمة الصعبة والشاقة في آن واحد، تركزت في مجملها صوب هدف عظيم، يقوم على نبيذ عبادة الأوثان الحجرية والبشرية، والتوجه إلى عبادة الله عز وجل.

فكان كلُّ رسول يبذلُ قصارى جهده لتحقيق وتمثل هذا المقصد العظيم، ويتبني فكرة إنقاذ أمته من هذا الزيغ والنجاة بها من عواقب الكفر والشرك، إذ لا منازع أن التوحيد كان الهدف الأول والأسمى الذي جاءت به واتفقت عليه جميع الشرائع السماوية، بدءاً من أبي البشرية آدم عليه السلام إلى آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم، ترجمه دعوة جميع الأنبياء أقوامهم بخطاب واحد وموحد في قوله تعالى:

﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (1).

غير أن ما تجدر الإشارة إليه أن دعوة وقصة إبراهيم عليه السلام في إصلاح العقيدة والانحراف الفكري الذي مس قومه، كانت العنوان البارز والواضح من بين قصص الإصلاح النبوي، على اعتبار أنها قصة عاش من خلالها النبي إبراهيم عليه السلام من البداية إلى النهاية من أجل إصلاح هذا الخلل بعينه، مقارنةً بقصص الإصلاح التي تبناها باقي الأنبياء عليهم السلام، حيث كان إصلاح العقيدة المنطلق لإصلاح مفاسد أخرى عرفت في أقوامهم في أشكال مختلفة تمس جوانب معينة من الحياة.

جاء في تفسير سيد قطب أن قصة النبي إبراهيم عليه السلام الذي اختاره الله للإمامة والرسالة في قوله تعالى: ﴿...قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (2)، تقفبطلوها كله لتقرر هذا المعنى، فلقد كان لإبراهيم عليه السلام أكبر قسط في إقرار كلمة التوحيد في الأرض وإبلاغها إلى أجيال من بعده عن طريق ذريته وعقبه. (3).

<sup>1</sup> من الآيات 59، 65، 73، 85 من سورة الأعراف.

<sup>2</sup> الآية 124 من سورة البقرة.

<sup>3</sup> أحمد فائز الحمصي: قصص الرحمن في ظلال القرآن ج 2 ص 116

الخطة الإصلاحية:

-إصلاح التفكير:

بداية إن تاريخ سيدنا إبراهيم عليه السلام ينبئ أنه كان يعيش في بيئة سيطرَ عليها تعدُّ الآلهة ونُصبت فيها التماثيل لعبادتها، فقد جاء في تفسير ابن كثير: "أن منهم من يعبد الأصنام ومنهم من يعبد الكواكب<sup>(1)</sup>، وأنه عليه السلام كان يحمل فطرة سليمة وصادقة، تَنَمُّ عن إيمان فطري أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(2)</sup>، هذه الأخيرة التي استقبحت الأفعال الشنيعة التي كان قومه يعكفونَ عليها والتي جعلت منها بيئة موبوءة يسودها الشرك والضلال، يعلّق الشعراوي فيقول: «وإذا كان خليل الرحمن قد اتخذ هذه الأوثان عدّوا له، لا لشيء إلاّ أنّه فكّر وتدبّر وتأمّل الكون، ولم يقصر عقله على التقليد الميراثي»<sup>(3)</sup>

وبعدما أدرك خليل الله عليه السلام هذا البون الشاسع بين حال قومه وفطرته، هذه الأخيرة التي أبت إلاّ أن تُوقظ العقول وتوجّهها نحو الحقّ والصواب، من خلال محاربته للخرافات التي استبدت بتفكيرهم، وعطلت عقولهم عن القيام بوظيفتها في معرفة الخالق الحق، واستبداله بأحجار وأوثان لا تنفع ولا تضر. فكان العمل والاجتهاد مُنصّباً نحو تحرير هذه العقول من زيف الجمود وتطهيرها من مجموعة من الأوهام والشبهات التي علقت بها، وفي المقابل دعوتهم ولفت أنظارهم إلى عبادة الله وحده. تطلّب هذا العمل ألواناً شتى من الاستدلالات والبراهين الساطعة التي تُخاطبُ الإنسان بجميع قواه ومداركه .

كل ذلك قصد إعلاء كلمة: "لا اله إلا الله"، فعمل إبراهيم عليه السلام على أنترسخ في العقول والقلوب، وتطوف بالقلب البشري، وتعرّف الناس برهم الحق، وتصلّفي النهاية إلى تعبيدهم لربهم الحق، تعبيد ضمائرهم وأرواحهم وتعبيد سعيهم وحركتهم وتعبيد شعائرهم وحياتهم لهذا السلطان المتفرد، على أساس أن حياة كل الناس تنبثق من هذا الأصل<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار الفيحاء دمشق، دار السلام الرياض، ط 1: 1414 هـ/1994م، المجلد 3 ج 16 ص 167 و أنظر محمد رشيد رضا: المنار ج 7 ص 467 .

<sup>2</sup> أحمد فائز الحمصي: قصص الرحمن في ظلال القرآن ج 2 ص 12 .

<sup>3</sup> محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء، مكتبة التراث الإسلامي، مصر، توزيع دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، دت، ج 1 ص 477 .

<sup>4</sup> سيد قطب: في ظلال القرآن المجلد 5 ج 25 ص 3184 .

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

فكانت الانطلاقة فيها من بيته إذ بدأ دعوته بأبيه، قال تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾<sup>(1)</sup>، واختار لذلك أسلوب الحوار، حوار جمع بين ولد صالح، رفض بفطرته طريق الضلال في قومه بشكل عام و بشكل خاص مع أبيه، فتفجرت عاطفة البنوة المشفقة على حال الوالد الكافر، موضحة له أن عمله وصنعه للأصنام، لن تنفعه ولن ترد عنه ضرراً، واستعمل في ذلك الدليل الحسي، مبيناً له أن عليه أن يسمع ويصير للحق مادام أن هذه الأصنام والتماثيل لا تسمع ولا تبصر.

لينتقل بعدها إلى دعوة عبدة الأصنام: و يبدأ إبراهيم عليه السلام دعوته بسؤال قومه، قائلاً: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾<sup>(2)</sup>، سؤال استنكر من خلاله ما كان يقوم به قومه، وجمع بين الأب والقوم بحرف العطف الذي يقضي باشتراكهما في نفس الحكم، وما زاد الطينة بلّة، إصرارهم على الضلال، وأكثر من ذلك فقد عللوا ذلك بعذر كان أقبح من ذنبهم

"فكانت إجابتهم: أنهم قلّدوا الآباء، وهو جواب يدل على التحجر العقلي والنفسي، داخل قوالب التقليد الميتة"<sup>(3)</sup>، ويمضي الحوار فيقول عليه السلام: ﴿.. قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾<sup>(4)</sup>، فيبين لهم الخليل أنه ربّ واحد، ربّ الناس وربّ السموات والأرض، جاء في ضلال هذه الآية أنها ربوبية ناشئة عن كونه الخالق لا كما يعتقد المشركون أن الآلهة أرباب، ثم يعبدون تلك الآلهة التي لا تخلق شيئاً<sup>(5)</sup>، وينتقل الخليل من القول إلى الفعل، من مرحلة تغيير المنكر باللسان إلى مرحلة التغيير باليد، فقام بتحطيم الأصنام وترك كبيرهم، قال تعالى: ﴿... فَجَعَلَهُمْ جَذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(6)</sup>، ليثبت دائماً أن هذه الحجارة عاجزة، وكانت بذلك محاولة جديدة لإقناع القوم وتجديد الحوار معهم، ووقعت حيرة القوم وبدأت العقول تتساءل عن المتسبب في هذه الفعلة؟ استغل إبراهيم الفرصة ليوجه أنظارهم إلى استخدام عقولهم وإعمال تفكيرهم وإعادة النظر في عقيدتهم، وكادوا يرجعون إلى الحق، لكنهم استكبروا وقالوا لإبراهيم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَؤُلَاءِ

<sup>1</sup> الآيتين 41 و 42 من سورة مريم.

<sup>2</sup> الآية 52 من سورة الأنبياء.

<sup>3</sup> محمد بسام رشدي الزين: مدرسة الأنبياء عبر و أضواء دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا ط1:

2000 وإعادة ط: 2001 ص 82 و سيد قطب: ظلال القرآن: المجلد 4 ج 17 ص 2385.

<sup>4</sup> الآية 56 من سورة الأنبياء.

<sup>5</sup> سيد قطب: ظلال القرآن المجلد 4 ج 17 ص 2385.

<sup>6</sup> الآية 58 من سورة الأنبياء.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

يَنْطِقُونَ ﴿١﴾، وهنا فسح المجال لتأكيد الربوبية الحقة، فقال عليه السلام: ﴿... قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ، أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾

### -إصلاح عقيدة عبدة الكواكب و النجوم:

وَيَمْضِي الخليل عليه السلام في مسيرته وجهاده لنبذ الكفر، وَيَسْتَوْقِفُهُ في هذه المرّة مشركون اتخذوا الكواكب والنجوم آلهة من دون الله، غَيْرَ أَنَّ المسلك مع هؤلاء تغيّر، فاتبع أسلوباً جديداً " طريقة الموافقة في العبارة من أجل إلزام الخصم" (3)، وذلك يحتاج إلى الحكمة والعلم اللذان أودعهما الله في شخصه عليه السلام، حيث أراه الله عزّ وجل ملكوت السموات والأرض، فسخر العلم الذي علّمه إياه المولى عز وجل في مُحاجة هؤلاء الكفرة. حيث تبيّن له أنّ الحجة القولية والبرهان اللفظي وإن كانا ضروريان، فإنّهما لا يُجديان نفعاً مع أناس استحكّم فيهم التّيه والضلال، فعمدَ إلى إشراك أبصار القوم مع بصائرهم وحواسهم مع أفئدتهم في تفهّم العقيدة من خلال الحوار والجدال الذي أجراه معهم حول الكواكب والنجوم التي كانت تظهر وتختفي، كيف لهم أن يعبدوا من كانت هذه صفاته؟ أسئلة خاطبَ بها العقول والبصائر بعد رؤية البصر، قادهم بذلك إلى بحث بعقولهم في الكون ووصولاً في نهاية المطاف إلى الخالق.

فكان أن استدل بالأفول والزوال والتغير والانتقال على أنّ هذه الكواكب لا تصلح أن تكون إلهاً، لأنّ الإله قديم لا يتغيّر والمتغيّر يحتاج إلى مغيّر (4).

### -أما مع الملك النمرود:

يواصلُ خليل الله مقصده في تحرير العقول من زيف الشرك والضلال، و هذه المرّة يتوجّه إلى ملك جبار يدعى "نمرود"، أتاه الله الملك والسلطان، فعَمِيَ بصره وبصيرته عن معرفة الرازق والمالك لكل شيء، وهو السبيل الذي شقّه الخليل عليه السلام لتوضيحه وتبينه للناس جميعاً، قال تعالى: ﴿...أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ ، فكان الحوار والجدال بين إبراهيم عليه السلام وهذا الملك، حيث تركز على حقيقة

<sup>1</sup> الآية 65 من سورة الأنبياء.

<sup>2</sup> الآية 66 من سورة الأنبياء.

<sup>3</sup> أحمد البراء الأميري : فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم ص 194 .

<sup>4</sup> نفس المرجع السابق ص 197 .

<sup>5</sup> الآية 258 من سورة البقرة .

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

الموت والحياة، يقول سيد قطب: «يرمي من وراءه إلى إنشاء تصور صحيح لحقائق هذا الوجود. الأمر الذي لا بد منه للإقبال على الحياة، بعد ذلك إقبالاً بصيراً، مُنبثقاً من الرؤية الصحيحة الواضحة، وقائماً على اليقين الثابت المطمئن، فنظام الحياة ومنهج السلوك وقواعد الأخلاق والآداب..، ليست بمعزل عن التصور الاعتقادي، بل هي قائمة عليه مستمدة منه. وما يُمكن أن تثبت وتستقيم ويكون لها ميزان مستقر إلا أن ترتبط بالعقيدة» (1)

ففي دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام قومه إلى أعمال العقل والفكر هي دعوة أيضاً إلى نبد التقليد وإدراك المسؤوليات والوعي بالمصير. فالتقليد نقيض الحرية، فكلما تفكّر الإنسان مارس قسطاً من حريته، وكلما أعطي مزيداً من الحرية اتسع أفق التفكير لديه، والعكس صحيح، وبناء على ما ذُكر فكل ما يدعو إلى التفكير فهو يدعو إلى الحرية بطبيعة الحال (2)

### -من خصائص منهج إبراهيم عليه السلام في الإصلاح:

1/ لقد رسم القرآن في القصة شخصية الخليل إبراهيم عليه السلام، أنه أُمُودج الهدوء والتسامح والحلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (3)، حلیم يَحْتَمِلُ أسباب الغضب فيصبر، وظهر ذلك في حوارهِ مع أبيهِ، فقد كان في غاية اللطف إذ دعا أباه إلى الله، فما من عبارة إلا وسبقها باستدرار العاطفة، مما يُبين أن المصلح عليه أن يكون رقيقاً في الدعوة لطيفاً في الموعظة، وأن يتعد عن العنف والمخاشنة في الخطاب، فقد يَكُونان سبباً في الإعراض، حتى إذا وصل إبراهيم مع والده إلى طريق مسدود هجر والده هجراً جميلاً.

«وأواه الذي يتضرع في الدعاء من التقوى والمنيب الذي يعود سريعاً إلى ربه» (4)

2/ التدرّج والتنويع في أساليب الحجّة ووسائل الإقناع، إذ أنّه لما كان المنطق السليم لا يثمر ثمرته مع النفوس السقيمة والعقول المتحجرة، لجأ إلى طريقة عمليّة يَفْضَحُ بها فساد الأفكار السائدة فيهم فدبّر المكيدة المحكمة لأهتهم الصمّاء الخرساء، حتى يلمسوا بأيديهم ضعفها وذلتها. بينما سلك مسلكاً مغايراً مع عبدة النجوم والكواكب التي اتبع فيها طريقة الموافقة من أجل إلزام الخصم.

<sup>1</sup> سيد قطب: ظلال القرآن، المجلد 1 ج 3 ص 296 و 297.

<sup>2</sup> عبد الرحمن حللي: حرية الاعتقاد في القرآن الكريم دراسة في إشكالية الردة والجهاد والجزية المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء -

المغرب و بيروت - لبنان، ط1: 2001 ص 91.

<sup>3</sup> الآية 75 من سورة هود .

<sup>4</sup> أحمد البراء الأميري: فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم ص 247 و 238.

3/ الحوار: استخدم الخليل عليه السلام الحوار في جميع أحواله، فلم يستغن عنه لأي ظرف من الظروف، اعتقاداً منه أن ذلك يوفر المناخ المناسب لنشر الأفكار وإقناع الآخر بوجهات النظر. « فكل دعوة تقوم على التفكير، لا بد أن تعتمد الحوار طريقتاً، لأن الفكر لا يتحرك إلا في مناخه، والحوار يستند إلى التفكير ويشريه ويتفاعل به ومعه حتى يغدو أحد صورته، وإذا أريد للفكر أن يكثر معتنقه ويمتد فلا طريق له إلا الحوار العقلي، لذا فإن بين الحوار والحرية علاقة جدلية يمكن اكتشافها من طبيعة الحوار الذاتية التي تتمثل في تقديم كل محور فكره مع الانفتاح على فكر الآخر. وانطلاقاً من هذه الجدلية أطلق إبراهيم حرية المناقشات واعتبر الحوار قاعدته الأساسية في دعوته قومه إلى الإيمان بالله وعبادته وكذا في كل قضايا الخلاف بينه وبين قومه»<sup>(1)</sup>

إذ لا إكراه في الدين ولا إجبار في العقيدة، ومهمة المصلح أن يبين للمدعويين الرشد من الغي ويطلق عقولهم من أسر الهوى والجهل.

4/ اعتماده على العلم، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾<sup>(2)</sup>، وهذا يكشف عن حقيقة مهمة وهي أن العلم أس مهم في العملية الإصلاحية، ذلك أنه السبيل للوصول إلى الحق والإيمان بالله والمعين عليه، فبالعلم يتمكن المصلح من لفت الأنظار إلى الحقائق وإلى آيات الله المبثوثة في الأنفس والآفاق وبالتالي التمييز بين الحق والباطل.

5/ الشجاعة في الحق: لقد واجه إبراهيم عليه السلام طاغيةً جباراً من أعنى الطغاة في التاريخ إذ أراد أن يُنازع الله في ملكه، فحاوره إبراهيم بالعقل وأجرى معه مناظرة أقام من خلالها الحجة عليه ولفت أنظاره وأنظار من حوله إلى آيات الله في الآفاق والأنفس، فكان لزاماً على المصلح أنه مهما واجه طغياناً من حوله، فإنه ينبغي عليه استخدام أسلوب الحوار.

<sup>1</sup> عبد الرحمن حللي حرية الاعتقاد في القرآن الكريم دراسة في إشكالية الردة والجهاد والجزية ص 101.

<sup>2</sup> الآية 43 من سورة مريم.



### المطلب الثاني: الإصلاح السياسي موسى عليه السلام نموذجاً

شغلت قصة موسى عليه السلام حجماً معتبراً في القصص القرآني، ساقها النص القرآني في سور عديدة، فحسب دراسة إحصائية لقصة موسى في القرآن الكريم، فقد بلغ عدد السور التي تحدثت عنه 44 سورة منها -البقرة- طه- الأعراف. . . الخ، فيما يبلغ عدد الآيات التي تناولتها 563 آية أي بمقدار 9.28% من مجموع آيات النص القرآني<sup>(1)</sup>

تُعكسُ في مجموعها المحطّات الرئيسية لحياته عليه السلام، ممتدة من الميلاد حتى الممات، مصوّرة في ثلاث مشاهد:

**المشهد الأول:** مرحلة النشأة والتكوين وتبدأ بعقبة الميلاد والتربية، بما فيها الحياة داخل القصر الملكي إلى غاية هروبه من مصر إلى أهل مدين إثر حادثة القتل.

**المشهد الثاني:** مرحلة الصراع السياسي مع السلطة الحاكمة ممثلة في فرعون وملكه والتي امتدت من عودته من مدين إلى سقوط وانهيار نظام الحكم الفرعوني.

**المشهد الثالث:** مرحلة الصراع مع الأتباع، وتمتد من خروج بني إسرائيل من مصر إلى موته عليه السلام.

غير أن ما يعيننا ونُحنُّ في صدد إبراز التجربة الإصلاحية في دعوته عليه السلام، المشهد الثاني، الذي يحمل في طياته معالم الإصلاح، فيرصد لنا تفصيلات وافية ومواقف واضحة للعمل الذي اتّسم بالطابع السياسي، فالتاريخ في هذه المرحلة ما هو إلا تاريخ صراع سياسي مع السلطة الحاكمة آنذاك، والممثلة في حكم فرعون المستبد الظالم، ويظهر جلياً في الآيات المتعلقة ببعثته عليه السلام، فتحسّ وكأنّ موسى عليه السلام لم تكن له إلا رسالة سياسية، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(2)</sup>،

قضية، الزعيم والحاكم طرف فيها فهي قضية سياسية، سجّل فيها التاريخ وشهد لفرعون نزعة الاستبداد التي مارسها على شعب بني إسرائيل.

<sup>1</sup>عبد العزيز خواجة : أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني قصة موسى عليه السلام تطبيقاً ، صفحات للدراسات والنشر:

دمشق - سورية ، ط2007: 1 ص 164 و167 .

<sup>2</sup>الآية 103 من سورة الأعراف.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

زوّدتنا بذلك القصة بصورة حيّة عن شخصية سياسية، تبدأ بفرعون وتظهره كحاكم عنيد جبار يتخذ من القوة والبطش طريقاً لتثبيت حكمه القائم على فكرة التأليه. ظهر هذا النظام الفاسد من خلال استبداد فكري وآخر عملي<sup>(1)</sup>

### 1/ استبداد فكري:

سخر فيه فرعون الدّين لتنفيذ حكمه، على أساس أن الدّين يتضمّن في طيّاته معنى السلطة والالزام ، بلغ به الأمر إلى حدّ تنصيب نفسه إلهاً ورباً، مُعلنًا ذلك في قوله في الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾<sup>(2)</sup> في موضع آخر: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾<sup>(3)</sup>

" فبعد أن نسب فرعون " التأليه " لذاته، والذي يعني وضع الذات الإنسانية في مكان فوق الحدود المقررة لها دون حق "<sup>(4)</sup>، الأمر الذي سمح بوجود علاقة ثنائية يخضع فيها طرف لآخر، كما يدخل في مضمونه فكرة الملكية الخاصة له، قال تعالى: " وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ"<sup>(5)</sup>، فادّعى أن كل البلد ملكه الشخصي، ويتصرف على هذا الأساس، ليتجاوز بعد ذلك الحد، فيعلن امتلاكه لعقول الناس وللناس أنفسهم. فجعلهم على شكل طبقات، لا يسمح لأي طبقة بالتفكير بطبقة أعلى منها حتى أنه سنّ قوانيناً للتوظيف تسمح بتوظيف لطبقة دون أخرى، و فقد المجتمع ثقته بثقافته وفكره، وعقله ثم بنفسه، فامتلك بذلك فرعون الطاقة الحركية لبني إسرائيل التي تدفع نحو البناء والمثمنة في الحرية والقدرة على الاختيار والتفكير، ثم التغيير صانعاً بذلك حواجز نفسية وفكرية منعتهم من الحركة الإيجابية، فحال بذلك بين الفكر والعمل السياسي حتى يبقى الأول مُتمرداً والثاني أعمى، فيكون بذلك فرعون قد استولى على حد تعبير مالك بن نبي على عالم الأفكار والأشياء والأشخاص فعطل بذلك البناء الحضاري، الذي سمح بوجود أفكار مشلولة وعقيمة، لا تسمح للشعب بفرصة التدارك أو التفكير والنظر إلى الممتلكات بمنطق الفعالية"<sup>(6)</sup> ،

<sup>1</sup> محمد البنيادي في مقال : علاقة الإسلام والديمقراطية في فكر مالك بن نبي بتاريخ : 17 - أبريل - 2006 موقع : موقع ملتقى

طلبة الماجستير الدراسات السامية ومقارنة الأديان بتاريخ 2010/2/12 .

<sup>2</sup> الآية 38 من سورة القصص.

<sup>3</sup> الآية 24 من سورة النازعات.

<sup>4</sup> زاهية الدجاني : أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التوراة ، دار التقريب بين المذاهب بيروت - لبنان ، ط: 1414/

1995 ص 129.

<sup>5</sup> الآية 51 من سورة الزخرف.

<sup>6</sup> مالك بن نبي: تأملات دار الفكر المعاصر: دمشق - سوريا، دار الفكر: بيروت - لبنان ط: 2000 ص 136-137.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

وفي موضع آخر قال: "لقد عكست الملكية هنا، فبدل أن يكون للشعب حكومة أصبح للحكومة شعباً، وأضحى المالك مملوكاً".<sup>(1)</sup>

**2/ استبداد فعلي:** لقد تَفَنَّت السلطة الفرعونية في مُمارسة وسائل القمع المتعددة، على اعتبار أنّها قوية وهو الأمر الذي يُحافظُ على بقائها ويضمن استمراريتها، قال تعالى: "وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى"<sup>(2)</sup>، "فيصوّر لنا القرآن المسار وخط القمع الذي ارتكز أساساً على الحد من التزايد السكاني وإضعاف القوة البشرية، وتشويه الموروثات الجينية للسّلالة من خلال تذييح الأبناء واستحياء النساء قال تعالى: "وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ"<sup>(3)</sup>، ناهيك عن الظلم والاحتقار والتعذيب وغيرها من الأساليب التي تعكس في مضمونها ومجموعها وضعية مزرية وصعبة عاشها بنو إسرائيل في ظل الحكم الفرعوني<sup>(4)</sup>.

لكن مع السياسة الفرعونية المستبدة تجدر الإشارة إلى أن طبيعة بني إسرائيل كانت عاملاً مساعداً لتقبّل الأوضاع، وتذوّق فنون الذل والهوان باعتبارها طبيعة محلحلة الهزيمة، ضعيفة الروح، لديها الاستعداد والقبالية للاستبداد ومن ثم للاستعباد، فأصبحوا لهم صفة الأشياء عند الحكم الفرعوني، وأصبحوا عدداً على الهامش<sup>5</sup> يضيف مالك بن نبي.

فشكّلت بذلك أوضاعاً مزرية وقاسية استدعت وجوب إصلاح وتحرك لتغييرها، بعبارة أخرى موقف يقتضي المواجهة برسالة قوية قوة ارتباطها بالله القوي المتين، عندها انطلق النداء الربّاني ليؤكد حسمه في موقف الدين من الظلم والظالمين، قال تعالى: "وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"<sup>(6)</sup>، فاستدعي موسى عليه السلام من قبل الحق تعالى ليواجه قوماً لهم في الظلم باع طويل، ظلموا أنفسهم أولاً بالكفر، وعن هذا الكفر نشأ ظلم آخر حين اتخذوا بني إسرائيل عبداً.

و يلبي موسى عليه السلام النداء ويتوجه لي طرح قضية الإصلاح والتغيير فيأمره الحق تعالى بذلك رفقة أخيه هارون عليهما أفضل الصلاة والتسليم في قوله تعالى: "اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا

<sup>1</sup>مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي دار الفكر المعاصر دمشق - سوريا و دار الفكر ، بيروت - لبنان، ط:

2000ص 80.

<sup>2</sup>الآية 71 من سورة طه.

<sup>3</sup>الآية 49 من سورة البقرة.

<sup>4</sup>عبد العزيز خواجه : أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني قصة موسى عليه السلام تطبيقاً ص 215.

<sup>5</sup>مالك بن نبي في تأملات ص 137 بتصرف.

<sup>6</sup>الآية 10 من سورة الشعراء.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى"<sup>(1)</sup>، فوقع التكليف الإلهي لقيادة حركة المستضعفين من الظلمات إلى النور ومن الظلم إلى العدل.

### -الخطة الإصلاحية :

بداية تجدر الإشارة إلى أن المهمة التي كلف بها كلّم موسى عليه السلام كانت شاقة وصعبة تتجه من جهة صوب الطاغية المتجبر والمتكبر فرعون، ومن جهة صوب بني إسرائيل الذين ضرب فيهم الضعف في عمق فكرهم حتى سلبهم الإرادة والقدرة على أيّ تغيير للأوضاع المزرية التي يعيشونها و هنا تظهر الجهود الجبّارة التي قام بها موسى عليه السلام في الإصلاح عن طريق العقل والدين، وبذلك تتلخّص القضية والعمل في إطار "إصلاح سياسي بفكر توحيدي"<sup>(2)</sup>.

فأول ما بدأ به مسيرته الإصلاحية دعوته إلى عبادة الله وتنظيم العلاقة معه ومع الخلق، رغم علمه بخطر ما أقدم عليه، وأنّ ذلك سيُلحقُ به الضرر، على اعتبار أنّ ذلك مساس بالملك والسلطان. جاء في تفسير ظلال القرآن أنّ موسى عليه السلام كان يعلم أنّ في ذلك ثورة على فرعون وملته ودولته ونظام حكمه، فربوبية الله تعني أولّ ما تعني إبطال شرعية كل حكم يزاول السلطان على الناس بغير شريعة الله، وتّنحية كل طاغوت عن تعبيد الناس من دون الله كما تعني أيضاً إعلاناً للحرية من شرع وحكم البشر"<sup>(3)</sup>، كما "عمد إلى كل ما من شأنه إصلاح تفكيرهم، محاولاً إعطاء الأفكار أقصى ما يمكن من الفعالية، بدءاً بترشيدهم ولفت أنظارهم إلى وجود رب للكون غير الذي أيقنته عقولهم ، فإذا تمكّن من ذلك رفع الضعف عنهم، واستمدوا القوة من العليّ القدير الذي لا يظلم عنده مثقال ذرة ليصل في آخر المطاف إلى بيان الشريعة وتأسيس الحكومة العادلة"<sup>(4)</sup> ، وهو الأمر الذي يُنغصُ حياة الطّغاة ويفقددهم الصواب إذا اهتزّ كرسيّ السّلطان من تحتهم ذلك أنّ الطغيان لا يخشى شيئاً كما يخشى يقظة الشعوب، وصحوة القلوب، ولا يكره أحداً كما يكره الداعين إلى الوعي واليقظة، ولا ينقم على أحد كما ينقم على من يهزون الضمائر الغافلة"<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> الآيتين 43-44 من سورة طه.

<sup>2</sup> محمد البعيادي في مقال: علاقة الإسلام والديمقراطية في فكر مالك بن نبي. موقع ملتقى طلبة الماجستير الدراسات السامية ومقارنة الأديان بتاريخ 12 / 2 / 2010.

<sup>3</sup> سيد قطب في ظلال القرآن المجلد 3 ج 9 ص 1346.

<sup>4</sup> محمد عمارة : فقه دعوة موسى ص 35 بتصرف.

<sup>5</sup> أحمد البراء الأميري : فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم ، ص 385.

يَتَجَلَّى في ذلك كل ما يصبُّ في معنى المعارضة للطبقة الحاكمة، وفي المقابل تأييد للطبقة المقهورة من بني إسرائيل. مُمَثَّلًا لأمره تعالى في قوله: "وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ"<sup>(1)</sup>، فقد أفادت الآية الكريمة رفض الضعف والاستسلام له، وأنَّ الله عزَّ وجلَّ سيُعينُ الضَّعيفَ وينصره، بل يُمكن له في الأرض ويرتقي بهم إلى الإمامة والقيادة، بشرط أن تتحرَّك نحو التحرر، فبتوفر نية التحرر من ربة الاستعباد يضمن عون الله تعالى.

من هذا المنطلق قام موسى عليه السلام يقود القوم، حكومةً وشعباً تُجاه تحرير مفهوم العبودية الحقَّة عبر حوار يعتمد البرهان والدليل والمنطق، ناهيك عن تأييد الله له، ما أكسبه ثقة وقوة في النفس، تجلَّت في حوارهِ مع هذا الملك المتكبر لتبليغ رسالة ربه .

إنَّ مِنْ أسباب نجاح الحوار أن يَمْتَلِك أطرافه حرية الحركة الفكرية التي يُرافقها ثقة الفرد بشخصيته الفكرية المستقلة، فلا ينسحق أمام الآخر لما يحس فيه من العظمة التي يمتلكها الآخر، فتتضاءل إزاء ذلك ثقته بنفسه وبالتالي بفكره وقابليته لأن يكون طرفاً للحوار فيتجمد ويتحول إلى صدى للأفكار التي يتلقاها من الآخر"<sup>(2)</sup>، بمعنى أنَّه كان يريد أن يفهمهم أنَّ معنى الحرية المطلقة التي يخلو منها كل مؤثِّر سوى الله عز وجل، فركَّز على التقليد الأعمى الذي سيطرَّ على بني إسرائيل بفعل فرعون من جهة، وطبيعتهم المهلهلة والقابلة للذل والهوان من جهة أخرى، فجعلهم يعيشون في دائرة الجمود والتخلُّف، حيث وصل الأمر بالقوم إلى أن قالوا لموسى: "قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ"<sup>(3)</sup> الأمر الذي جعلهم غير قادرين على الحركة والسير في مضمار الرقي"<sup>(4)</sup>.

بعدما دخل موسى وهارون على فرعون بإذن من الله سبحانه وتعالى، ابتدأ الكلام بتبيين وتوضيح أنَّهما رسولان من عند الله، ابتعثهما الله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى: "فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى"<sup>(5)</sup>، فَجَرَى الحوار في شكل مناقشات لفظية وشفوية، لتليها مناقشات في ربوبية الله، بعدما تجاهل فرعون هذه الربوبية من خلال خلطها بمفهوم الرب الذي يقوم على التربية، الأمر الذي حصل مع النبي موسى عندما رآه فرعون في بيته، وأغدق عليه نعمه، من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ الرب هو المالك لمصر

<sup>1</sup> الآية 5 من سورة القصص.

<sup>2</sup> عبد الرحمن حللي حرية الاعتقاد في القرآن الكريم ، دراسة في إشكالية الردة والجهاد والجزية ص94 .

<sup>3</sup> من الآية 78 من سورة يونس.

<sup>4</sup> عبد العزيز خواجه : أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني ص 224 .

<sup>5</sup> الآية 47 من سورة طه.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

أرضاً وشعباً، فكانت الإجابة من خلال الآيات التي بثت في الأنفس والآفاق، من خلق الأرض والسموات والإنسان والحيوان والنبات و.....، فكانت أدلته وبراهينه العقلية تتميز بقوة المنطق، وحسن الحديث، وترابط الأفكار.....، وتواصلت النقاشات وفي كل مرة تظهر براعة الحق على لسان المرسلين، إلى أن أحسَّ فرعون بالخسارة، وهنا سرعان ما انتقلت الوسيلة إلى مستواها الرمزي الحسي بتقديم أدلة فوقية (معجزات) لتدعيم محتوى الرسالة الشفوية بطلب من المرسل، فكانت العصا والحية<sup>(1)</sup>.

– من ملامح منهج موسى عليه السلام في الإصلاح السياسي:

1/ الواقعية : فقد كان عليه السلام منطقياً مع نفسه، ومع الواقع عندما أفصح عن ضعف إمكاناته في مواجهة فرعون وملئه، إلى جانب ما بدر منه من قتل القبطي، فطلب العون من ربه فالمعركة تحتاج إلى الحكمة وبصر بعواقب الأمور إلى جانب سلاح البيان وقوة البرهان قال تعالى: "وَاجْعَلْ لِي وَاوِيئاً مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً"<sup>(2)</sup>، وعندما يقف هارون إلى جانبه يكون قد استكمل عدّة المواجهة، ولم يكن هذا الرجاء هروباً من الدعوة، لكنّه في الحقيقة غيرة عليها، وحرص على أن تحقق هدفها<sup>(3)</sup>.

2/ التحلي بالقول اللين: يقول تعالى: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا"<sup>(4)</sup>، إرشاد سام تمثّل في التبليغ عن طريق اللين، وتجنّب المخاشنة فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا صاحبهما اللين من الكلام، كأننا أفعل وأشدّ أثراً في النفس في ردّها عن الغي، لأنّه يترك لها فرصة التفكير في الوضع الذي هي فيه وفي فائدة ما قدّم لها، وهذا يرضي الكبرياء ويجعلها طيعة لقبول ما يعرض عليها، بخلاف الشدة والقول الغليظ فإنّه يحملها على التمرد وعدم التقبّل<sup>(5)</sup>.

3/ الحوار : اعتمده كوسيلة للوصول إلى مبتغاه، فحرص على أن تظلّ قنوات الاتصال قائمة رغم سفّه فرعون في أسئلته، ومراوغاته الفكرية التي كان يطرّحها في سبيل إنهاء الحوار، لكنه بذكائه استطاع أن يواصل طرح أفكاره، بطريقة توحى على التصميم وعدم الاستسلام.

4/تنوع أساليب الإقناع: فقد استعمل البراهين الفكرية والعقلية للاستدلال على ربوبية الله ووجوده مُنطلقاً من الطبيعة التي يعيشون فيها، وبالتالي ربّط تفكيرهم بعالم قريب منهم يشمل موجودات الحياة

<sup>1</sup>محمد بسام رشدي الزين : مدرسة الأنبياء عبر وأضواء ص 203 و 204 .

<sup>2</sup>الآيات من 29 إلى 35 من سورة طه.

<sup>3</sup>محمد عمارة : فقه دعوة موسى عليه السلام ص 38 - 39 .

<sup>4</sup>من الآية 44 من سورة طه

<sup>5</sup>عفيف عبد الفتاح طبارة : مع الأنبياء في القرآن الكريم ص 263 .

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

---

التي كثيراً ما يطرح فيها الإنسان الأسئلة عن كيفية خلقها؟، ومن خلقها؟، حتى إذا وصلَ إلى طريق مسدود لتتحقق الهدف، فانتقلَ إلى الأدلة الحسيّة ( المعجزات ) التي لا مناص للعقول إلا التسليم والإيمان وهو الأمر الذي حصل مع السحرة وبقية القوم.

### المطلب الثالث: الإصلاح الاقتصادي (شعيب عليه السلام نموذجاً):

لا يختلف اثنان أن مسألة الاقتصاد ركيزة أساسية، شغلت فكر وعقول الشعوب والأمم في الماضي والحاضر والمستقبل، كيف لا؟ وهي قضية ترتبط بما زينه الله في نفوس البشر ألا وهو المال، قال تعالى: "زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ"<sup>(1)</sup>. فكان الذهب والفضة والأنعام وكل ما يرمز إلى القيمة المالية في الآية الكريمة سبباً من أسباب التمتع بالحياة وتحقيق التقدم والازدهار، فحق بذلك أن تنال هذه القضية هذا النصيب من الاهتمام، الذي تُرجم بعد ذلك إلى أساس مهم في تقييم الأمم والحضارات.

فكان بذلك عنواناً للمجد والسيادة لمن تمكن من تثبيت هذه الركيزة وتطويرها، وفي المقابل تأخر وتخلف لمن لم يستثمر فيه. وبناء على ذلك نلمس تأثير الإنسان بذلك تأثيراً مباشراً في جميع أحواله الفكرية والدينية والسلوكية، ناهيك عن تأثير الأمة به عسكرياً وسياسياً واجتماعياً وفي جميع مناحي الحياة عموماً.

ولما كان هذا شأن الاقتصاد وتأثيره في العالم، فلا بد أن يكون للإسلام نظرتة التي من شأنها ضبط العلاقات الاقتصادية والتعاملات المالية، هذه الأخيرة التي نحن اليوم في أمس الحاجة إليها، خاصة مع انفتاح المعاملات المالية، بشكل واسع وعجيب، فتكاد كل يوم تستحدث طريقة أو عدة طرق لجلب المال والاستثمار دون أن يستند أصحابها إلى أسس شرعية وضوابط تحكمها وما ذاك إلا تعبير عن حقيقة الطمع والجشع الذي يسعى إلى جمع المال وتحصيله وبالتالي التمتع به، ولو حساب الدؤس على القيم والأخلاق.

وبالعودة لقصص الأنبياء وسيرتهم الإصلاحية للفساد السائد في أقوامهم آنذاك، "فإن قصة شعيب عليه السلام تعكسُ أضواءً على التعامل الاقتصادي"<sup>(2)</sup>، وبالتالي فهي تُعطينا صورةً متكاملةً وواضحةً فيما يخصُّ إصلاح الاقتصاد، الذي رَفَعَ رَأْيَتَهُ خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ شعيب عليه السلام قائلاً: "إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> الآية 14 من سورة آل عمران.

<sup>2</sup> محمد بسام رشدي الزين : مدرسة الأنبياء عبر و أضواء ص 162 .

<sup>3</sup> الآية 88 من سورة هود.



## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

شعارُ رَفَعَهُ النَّبِيُّ الصَّالِحُ المصْلِحُ بعدما تَسَرَّبَ الخللُ في أهله إلى العقيدة فعبدوا الأوثان وكفروا بالله، بالإضافة إلى الفساد والخلل الذي لَحِقَ سلوكياتهم وتعاملاتهم خاصة ما تعلق منها بالمعاملات المالية، فقد عرَفُوا بالتطفيف والغش، وبخس الناس أشياءهم.

وقد وصفهم القرآن الكريم بصفتين<sup>(1)</sup>:

1/ الظلم: في قوله تعالى: "وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ"<sup>(2)</sup>.

2/ الكفر: في قوله تعالى: "وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ"<sup>(3)</sup>.

ويصف القرطبي حالهم بقوله: "إِنَّهُمْ صَنَفٌ مِنَ الْبَشَرِ اتَّصَفُوا بِاللْتَوَاءِ، فَتَلَاعَبُوا بِالْمُؤَازِينِ، وَأَخْلَوْا بِالْحَقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ، فَكَانُوا إِذَا جَاءَهُمْ بَائِعٌ بِالطَّعَامِ أَخَذُوا بِكَيْلِ زَائِدٍ، وَاسْتَوْفُوا بِغَايَةِ مَا يَقْدِرُونَ، وَإِنْ جَاءَهُمْ مُشْتَرٍ لِلطَّعَامِ بَاعُوهُ بِكَيْلٍ نَاقِصٍ وَشَحَّوْا لَهُ بِغَايَةِ مَا يَقْدِرُونَ، فَكَانُوا بِذَلِكَ سَبَبًا فِي عَذَابٍ وَشَقَاءٍ الضَّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينَ، فَسَهَلَتْ بِذَلِكَ عِنْدَهُمْ لُغَةُ التَّعَدِي عَلَىٰ حَقُوقِ الْآخَرِينَ وَسَلَبَ أَمْوَالَهُمْ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ مُمْكِنَةٍ، وَصَلَ بِهِمُ الْأَمْرُ إِلَىٰ فِرَاقِ ضَرَائِبِ عَلَىٰ التَّجَارِ الَّذِينَ كَانُوا يَمْرُونَ بِقَوَافِلِهِمْ مِنْ خِلَالِ دِيَارِهِمْ مُسْتَغْلِينَ بِذَلِكَ أَهْمِيَّةَ مَوْقِعِهِمُ الْجُغْرَافِيِّ أَبْشَعِ اسْتِغْلَالٍ"<sup>(4)</sup>.

بعد هذه المقدمة الوجيزة للأوضاع السائدة في أهل مدين آنذاك ننتقل إلى عرض الرسالة الإصلاحية في نقطتين مهمتين نركز من خلالهما على:

التخطيط الإصلاحي: تخطيطٌ مُحْكَمٌ وَفْقَهُ وَاضِحٌ لَدَىٰ نَبِيِّ اللَّهِ شَعِيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، تَأَكَّدَ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ بَعْدِ نَظَرِهِ، فِي قِضِيَّةِ قَوْمِهِ الَّتِي مَسَّتْ فِي الْأَسَاسِ "مَسْأَلَةَ ضَبْطِ الْمَقَائِيسِ"<sup>(5)</sup>، وَالَّتِي ارْتَبَطَتْ بِنَقْطَتَيْنِ مَهْمَتَيْنِ، إِرْتَأَىٰ تَقْدِيمَهَا لِيَبْلُغَ بَعْدَهَا هَدَفَهُ وَغَايَتَهُ وَيَتَعَلَّقَ الْأَمْرُ بِ:

1/ إصلاح العقيدة والتوحيد: إنَّ انْتِطَاعَ مَسِيرَةِ الْإِصْلَاحِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ شَعِيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ تَتَّمِيزْ عَنْ سَابِقِيهَا مِنْ مَسِيرَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، حَيْثُ ابْتَدَأَتْ بِالِدَّعْوَةِ إِلَى الْوَحْدَانِيَّةِ وَبِذِّعْبَادَةِ الشَّرِكِ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ تَنْبَثِقُ مِنْهَا كُلُّ مَنَاجِجِ الْحَيَاةِ وَكُلِّ أَوْضَاعِهَا، كَمَا أَنَّ مِنْهَا تَنْبَثِقُ قَوَاعِدُ السُّلُوكِ وَالخَلْقِ وَالتَّعَامُلِ، وَلَا تَسْتَقِيمُ كُلُّهَا إِلَّا إِذَا اسْتَقَامَتِ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ .

<sup>1</sup> محمد بسام رشدي الزين : مدرسة الأنبياء عبر و أضواء ص 156 .

<sup>2</sup> الآية 78 من سورة الحجر .

<sup>3</sup> من الآية 93 من سورة الأعراف .

<sup>4</sup> القرطبي في الجامع لأحكام القرآن المجلد 4 ص 87 .

<sup>5</sup> محمد عبد الحليم عمر: دروس اقتصادية من قصص الأنبياء .

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

فَدَعَا قَوْمَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ لَا شَرِيكَ، قَالَ تَعَالَى: "وَأِلَى مَدِينٍ أَحَاهُمْ شُعْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ"<sup>(1)</sup>، على أساس أنها هناك علاقة وثيقة بين الإيمان ومقتضيات ذلك الإيمان سواء تعلق الإيمان بالله أو باليوم الآخر، كما يُوضِّحُه سيد قطب بقوله في تفسيره: "إنَّ الذي يُؤمن بالله تعالى ويصدق به، يُحظى بالرعاية الإلهية، التي تتوسع من خلالها آفاق تفكيره، وتصل شخصيته، وتُقوي بصيرته فيرى الأمور من منظرها الصحيح"<sup>(2)</sup>.

كما تَلَزمت عقيدة الإيمان بالله مع الإيمان باليوم الآخر، لأنَّ الإنسان إذا آمن بوجود يوم يقوم فيه الناس لرب العالمين، يسألهم فيه عمَّا قَدَّمُوا، عندها يَسْتَقِيم سلوكهم، كما أنَّهم " يعلمون أنَّ الحياة الدنيا فانية وأنَّ الدار الآخرة هي دار البقاء والخلود، فيحرصون على العمل الطيب أي تَرَكُّزُ أساساً على المحاسبة والمراقبة الدقيقة للنفس، هذه الأخيرة التي تدفع بواقع الأمر إلى الالتزام بالأمانة والصدق في كل قول وعمل ومجال بما في ذلك المعاملات المالية.

مَفَادُ الرسالة التي أراد شعيب عليه السلام إيصالها هو أن يفهم قومه أن الحياة لا تستقيم في ظل الابتعاد عن عقيدة التوحيد لأن ذلك يؤدي إلى الظلم المتعلق بحقوق الناس، فيعم الفساد وتشتت الفوضى ويستولي القوي على الضعيف، ويصبح هذا الأخير خاضعاً لشرور الملكية وعتوها، ولرغبات التملك بأية وسيلة تكون، فيطغى المالكون ويبيحون لأنفسهم التصرف بكل شيء. ليصل من وراء كل ذلك إلى عدم الفصل بين الدنيا والدين أي أن في إرشادهم إلى التوحيد تكمن الحرية من حبال المال المنون، وهو الدواء الناجع لداء الطمع والجشع.

2- إصلاح التفكير: إنَّ التجاوز في السعي وراء شهوة حب المال، يُفقد الإنسان في أغلب الأحيان أسس التفكير السليم، فتختلط عليه المفاهيم، وتغيب عنه القيم، فيصبح عبداً مملوكاً لذلك المال والجاه. لا يُراعي في تصرفاته ومعاملاته حقوقاً، وهو الشأن الذي لمس سيدنا شعيب عليه السلام في قومه.

فقام بإزالة الغبار عن مفهوم ساد في ذلك الوقت، ويتعلق الأمر " بموضوع الحرية الإنسانية التي اختلط مفهومها عند أهل مدين بالفوضى والدوس على كرامة الناس على اعتبار أن الإنسان حرّ فيما يملك، فيتصرف بغير رشد، فيحق له أكل أموال الناس بالباطل، وهضم حقوقهم، كل ذلك في سبيل جمع أكبر قدر من المال، بلغ الأمر حدَّ فرض ضرائب ومبالغ مالية على القوافل المارة بديارهم فأسسوا بذلك

<sup>1</sup> الآية 36 من سورة العنكبوت.

<sup>2</sup> زاهية راغب الدجاني: أحسن القصص ص 88.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

لقانون الغاب - الغلبة للأقوى- فببهم شعيب عليه السلام إلى وجوب الابتعاد عن هذه الأفكار المدمرة للاقتصاد و القاطعة لحبل العلاقات الاجتماعية على حدّ سواء. قال عليه السلام "وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا"<sup>(1)</sup>، كما بين لهم أن تقييد الإنسان أو التاجر بضرورة الرشد في التصرفات المالية لا يعد تعدياً على حريته، و إنما هو توجيه لمعنى ومفهوم الحرية التي تعني أنّها تتوقف عندما تبدأ حرية الآخرين.

ومن جهة أخرى فقد بين مفهوم الحرية من زاوية أخرى وهو الأمر الذي وضّحه صاحب تفسير الضلال قائلاً أن حُرِّيَّةَ الإنسان أساس لتقرير المصير، من خلال وضعه الفضائل أمام قومه، وأنّه لا يستطيع منعهم عن القبيح وأنّه لن يتكفل بحفظهم لو استحقا العقاب بعد ذلك نتيجة تكذيبهم له وإصرارهم على البخس المنافي للعدل فاستعمل أسلوب يشعر المخاطب بخطورة الأمر، و بثقل التبعة، ويوقفهم وجهاً لوجه أمام العاقبة دون وسيط ولا حفيظ، ليقفَ في الآخر عند نقطة لا تملك أن يتراجع وراءها خطوة، نقطة التريث وانتظار أمر الله<sup>(2)</sup>، قال تعالى: "وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِئْنَا شِعْبِيًّا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ كَأنْ لَمْ يَعْنُوا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ"<sup>(3)</sup>. ليتوجه بعد ذلك إلى إصلاح الخلل بعينه، و نعي به ضبط المقاييس، وفي ذلك يضيف أيضاً أن القضية هنا، قضية أمانة وعدالة بعد قضية العقيدة والتوحيد أو هي قضية الشريعة والمعاملات التي تنبثق من العقيدة<sup>(4)</sup>.

فنادى عليه السلام بالعدل في التعاملات على أساس أنّها حقوق مادية محددة وواضحة تُقاس وتُكال وتُوزن، فقال: "وأوفوا الكيل" ذلك أن أي خلل في هذه المعايير يعني خللاً في الحقوق، التي تستثير في النفس الإحساس بالظلم الذي يتولد عنه فساد على مستوى الاقتصاد الذي يفرز بدوره مفهوم الطبقيّة والذي يلحق أثره إلى مستوى العلاقات الاجتماعية .

وطلب الوفاء بالكيل كانت دعوة شعيب عليه السلام، ليأتي محمد صلى الله عليه وسلم فيؤكدها ما طرحته سورة المطففين في قوله تعالى: وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ<sup>(5)</sup>، فكان بخس الناس أشياءهم هو أشد أشكال الفساد فتكاً في المجتمع، بينما

<sup>1</sup> من الآية 86 من سورة الأعراف.

<sup>2</sup> سيد قطب في ظلال القرآن المجلد 3 ج 8 ص 1318

<sup>3</sup> الآيتين 94-95 من سورة هود.

<sup>4</sup> سيد قطب في ظلال القرآن المجلد 4 ج 12 ص 1917.

<sup>5</sup> الآية 1-2 من سورة المطففين.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

العدل هو المطلب الذي يُحقّق التوازن بين الفرد والمجتمع ، على اعتبار أن أيّ نشاط اقتصادي معظمه نشاط كمي للمقاييس المختلفة التي تضبط الحقوق، فكان الطريق هو اختيار الاستقامة الذي أمر به الحق تعالى في قوله: "فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ".<sup>(1)</sup>

ويلخص ابن عاشور مهمّة سيدنا شعيب عليه السلام بقوله: "وحاصل ما أصلحه شعيب بعد الأمر بالتوحيد ينحصر في ثلاث نقاط: حفظ حقوق المعاملة المالية، حفظ نظام الأمة ومصالحها، حفظ حقوق حرية الاستهداء"<sup>(2)</sup>.

### من منهجه في الإصلاح :

1/ الأخوة : انطلق شعيب عليه السلام في دعوته الإصلاحية بمنطق الأخوة الإنسانية، فأكد القرآن الكريم على هذا المعنى في ثلاثة مواطن، قال تعالى: "وَالِي مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا"<sup>(3)</sup>، أخوة بعيدة عن الجفوة والقسوة، بل تلطف في جدالهم، وآثر استمالتهم باللين واجتذابهم بالرفق وذكرهم بما بينه وبينهم من صلة، حيث كان ذلك أدعى لقبول النصيح والانصياع للرأي وأدل على الرغبة في الخير والنفعة<sup>(4)</sup>.

2/ الحوار: آثر شعيب عليه السلام الحوار والجدال بالتي هي أحسن، وساعده على ذلك فصاحته وخطابته، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "ذاك خطيب الأنبياء" لفصاحة عباراته وجزالته وعظته وحسن مراجعته القوم بالحجج والبراهين.

3/ القدوة: انطلق في إصلاحه من أرضية صلبة وبرؤية واضحة، قال تعالى: "قال يا قوم أرأيتم إن كنتُ على بينة من ربي ورزقي منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه"<sup>(5)</sup>، ملتزماً بما أمر قبل أن يدعو إليه، مُستيقناً بما أمره عز وجل، فسُلوك طريق المهدي الرباني من أعظم الأسباب التي تحقق للإنسان السعادة الدنيوية والأخروية، وأنّ المال ما هو إلا وسيلة اختبار قد تكون سبباً في النجاة كما قد يحصل معها العكس، كل ذلك يُؤكد على صدق نيته ودعوته، صدق في الفعل والقول.

<sup>1</sup> الآية 112 من سورة هود.

<sup>2</sup> محمد الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير المجلد 5 ج 8 ص 243 .

<sup>3</sup> الآية 84 من سورة هود والآية 36 من سورة العنكبوت والآية 85 من سورة الأعراف.

<sup>4</sup> محمد بسام رشدي الزين في مدرسة الأنبياء عبر وأضواء ص 156 .

<sup>5</sup> الآية 88 من سورة هود.

4/ الإخلاص: لم يُفكّر شعيب عليه السلام في تحصيل مغامم أو مصالح شخصية من نهيته عن ما كان عليه أهله، وإنما انطلق من باب تبليغ الرسالة التي حمّله إياه الحق تعالى، وهو لا يبتغي أجراً من أحد سوى أن يأجره صاحب الملك الذي لا ينفذ، فقال تعالى: " وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ " (1).

5/ التدرج: اعتماده عليه السلام أسلوب التدرج في الإصلاح، جاء في التفسير المنير أنّه " يلاحظ أنّ شعيب قد ركّز في دعوته أولاً على الإصلاح الداخلي بإيفاد المكيال والميزان وعدم الإفساد في البلد، ثم انتقل إلى الإصلاح الخارجي بإزالة الموانع والعقبات أمام نشر دعوته للذين يزدرون أرضهم، هذا من جهة" (2). ومن جهة أخرى فقد جاء في التحرير والتنوير أننا " نجد أن شعيب في الإصلاح الداخلي المتعلق بإيفاد المكيال والميزان. ابتدأ أولاً عن نهيهم عن نوع من الفساد فاش فيهم وهو التطفيف، ثم ارتقى فنهاهم عن جنس ذلك وهو أكل أموال الناس بالباطل، ثم ارتقى فنهاهم عن الجنس الأعلى للفساد الشامل لجميع أنواع المفساد، وهو الإفساد في الأرض كله، وهذا من أساليب الحكمة في تهدئة النفوس لقبول الإرشاد والنصح" (3).

6/ الاستطاعة في الإصلاح: فقد حاول عليه السلام بذل ما في وسعه لإيصال هذه الرسالة، ولم يدّخر جهداً سواء بالفعل أو بالقول، رغم ما كان يلقاه من سخرية واستهزاء، فبقي صامداً متقلباً في أحواله بين الترغيب والترهيب إلى أن سدّت جميع الأبواب، فأخبر قومه بأنّه لن يأسف على قومه بعد أن أدّى ما عليه قائلاً: " فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ " (4).

<sup>1</sup> من الآية 180 من سورة الشعراء.

<sup>2</sup> وهبة الزحيلي في التفسير المنير ج8 ص 294.

<sup>3</sup> محمد الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير المجلد 6 ج 10 ص 138.

<sup>4</sup> الآية 93 من سورة الأعراف.

المطلب الثالث: الإصلاح الأخلاقي (لوط عليه السلام نموذجاً).

لم يُغفل القرآن الكريم عظمة الشهوة وقوتها، خاصة الجنسية منها، فقد أفرد لها مدرسةً نبويةً بكاملها، المعلم فيها سيدنا لوط عليه السلام، تولى فيها مهمةً تصحيح وإصلاح الممارسات الجنسية الخاطئة من خلال ما قرره خالق الكون وحكمت به الشريعة السمحة.

وفي هذا السياق يذكر سيد قطب أن: " قصة لوط مع قومه تكشف عن هذا اللون الخاص من ألوان انحراف الفطرة البشرية<sup>1</sup>، وهو ما يطلق عليه حالياً بالشذوذ الجنسي، من خلال شهوة إتيان الرجال دون النساء، ذلك الميل الجنسي المنحرف إلى الذكور بدلاً من الإناث اللاتي خلقهن الله للرجال، لتتكون من الجنسين وحدات طبيعية منتجة تكفل امتداد الحياة بالنسل وفق الفطرة المطردة في جميع الأحياء"<sup>2</sup>.

بداية تجدر الإشارة إلى أن الشريعة الإسلامية قد أقرت بوجود الشهوة الجنسية كفطرة وغريزة، وأنها قوة عظيمة في تركيبية البشر، ومن ثم دعت إلى عدم كبتها أو تجاهلها، غير أنها تمثل سلاحاً ذو حدين، جانب إيجابي إن تحركت في إطارها الذي أقرته الشريعة الإسلامية، في اتجاه العلاقة الشرعية التي تجمع الذكر بالأنثى، والذي يحقق مقصد من المقاصد الكلية يتمثل في المحافظة على النسل، وجانب سلبي إن سارت على غير المنحى الذي رسمته القوانين الإلهية، وصبغت بصبغة الحيوانية التي لا تنظم يحكمها ولا قوانين تضبطها، فتتخرّب حياة الإنسان ككيان وكمجتمع.

لنخلص في النهاية أن الشريعة تعاملت مع قضية الشهوة الجنسية بقوانين تقضي بتحريم الرهبة انسجاماً مع الفطرة الإنسانية، وتحريم الزنا صيانة لاختلاط الأنساب وتحريم الشذوذ حفاظاً على استمرارية النسل، والحث على الزواج الشرعي بين الذكور والإناث. شأنها في ذلك شأن أي شهوة أودعها الله في الإنسان، فإذا ثارت شهوة الجوع أرشده إلى إشباعها بالأكل من طيبات ما رزقه، غير أنه وهو يشبع هذه الشهوة عليه أن يبتعد عن أكل أموال الناس بالباطل، وأن يتجنب السرقة والغش وكل ما من شأنه إلحاق الضرر بالنفس أو بالغير، فما كان للإسلام أن يأتي ضد الفطرة، ولكنه سن قوانين تحفظ هذه الفطرة وتسير بها نحو المعنى الإيجابي.

وتظهر هذه المعاني جلية في قصة قوم النبي لوط عليه السلام مخاطباً إياهم بقوله: "إِنكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سيد قطب: ظلال القرآن المجلد 3 ج 8 ص 1315.

<sup>2</sup> أحمد فائز الحمصي: قصص الرحمن في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان ط1: 1415 هـ/1995 م، ج 2 ص

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

وفي موضع آخر قال: "أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ"<sup>(1)</sup>، كما يذكر القرآن الكريم أن هذا الفعل الشنيع وقع لأول مرة في تاريخ البشرية مع قوم لوط، يقول الحق تعالى: "وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ"<sup>(2)</sup>.

بعد هذه المقدمة الوجيزة للأوضاع السائدة في أهل سدوم آنذاك، ننتقل إلى عرض الرسالة الإصلاحية للنبي لوط عليه السلام، من خلال التركيز على نقطتين مهمتين يتعلق الأمر بـ:

**التخطيط الإصلاحي:** لقد بدأ لوط عليه السلام إصلاحه من منطلق توحيدى فبدأ بـ:

-**إصلاح العقيدة:** فقد بينت الآيات القرآنية أن لوطا عليه السلام عندما كلف بالرسالة بدأ يدعو قومه إلى عقيدة التوحيد، إذ رسخت الآيات حقيقة لوط بكونه رسولا مبعوثا من رب العالمين، وأن قومه عندما كذبوه فكأنهم كذبوا الرسل جميعا، قال تعالى: "وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ"<sup>(3)</sup>.

فنجده قد قدم لهم الأساس الأول في الإصلاح الذي يبدأ من تقوى الله وطاعته فقال لهم: "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ"<sup>(4)</sup>، ذلك أن العقيدة إذا صلحت استقام سلوك الإنسان، على اعتبار أن الاعتقاد في الله الواحد يقود إلى الإسلام لسننه وشرعه، وقد شاءت سنة الله أن يخلق البشر ذكرا وأنثى، وأن جعلهما شقين للنفس الواحدة متكامل بهما، وأن يتم الامتداد في هذا الجنس عن طريق النسل، وأن يكون النسل من التقاء ذكر وأنثى، ومن ثم ركبهما وفق هذه السنة صالحين للتقاء وجعل اللذة التي ينالها عندئذ عميقة والرغبة في إتيانها أصيلة، وذلك لضمان أن يتلاقيا فيحققا مشيئة الله في امتداد الحياة، ثم لتكون هذه الرغبة الأصيلة وتلك اللذة العميقة دافعا في مقابل المتاعب التي يليقها بعد ذلك في الذرية من رعاية وتربية.....الخ.

يقول يسد قطب: "هذه هي سنة الله التي يتصل إدراكها والعمل بمقتضاها بالاعتقاد في الله وحكمته ولطف تدبيره وتقديره، ومن ثم يكون الانحراف عنها متصلا بالانحراف عن العقيدة وعن منهج الحياة"<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup>الآيتين 165 و 166 من سورة الشعراء.

<sup>2</sup>الآية 80 من سورة الأعراف.

<sup>3</sup>الآية 133 من سورة الصافات.

<sup>4</sup>الآية 163 من سورة الشعراء.

<sup>5</sup>سيد قطب في ظلال القرآن المجلد 3 ج 8 ص 1315.

### 2/ تصحيح المفاهيم والتصورات من خلال:

أ/ إيقاظ الفطرة السليمة: بادرَ عليه السلام إلى إيقاظهم من سكرتهم وإنقاذهم من حماة الشذوذ الذي تَمَكَّنَ منهم، ومواجهة العلة المستحكمة فيهم، وهذا يدلُّ على أنَّ مهمَّة الأنبياء عليهم السلام لا تقتصر على إصلاح عقيدة الناس وعبادتهم بل تمتدُّ إلى إصلاح حياتهم الاجتماعية وتتصدى لكل مفاصل الأخلاق المنتشرة بين الناس. " فحاول أن يُوقظ فيهم الفطرة السليمة ويوجههم إلى الجنس الآخر الذي خلقه الله، ومضى في محاولته يلوح لهم باتجاه الحياة السليم إلى الإناث اللواتي جعلهن الله لتلبية هذا الدافع العميق في الحياة"<sup>(1)</sup>، قال تعالى على لسان النبي لوط عليه السلام: "قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ"<sup>(2)</sup>، أظهر بكل معاني الطهر النفسي والحسي، "بالإضافة إلى أن الشذوذ الجنسي يُصادم الحياة و يعدمها، لأنَّه يذهب بيدور الحياة في تربة خبيثة لم تعدَّ لاستقبالها وإحيائها، بدلاً من الذهاب بها إلى التربة المستعدة لتلقيها وإنمائها، ومن أجل هذا تنفر الفطرة السليمة نُفوراً فطرياً لا أخلاقياً، فحسب من عمل قوم لوط لأنَّ هذه الفطرة محكومة بقانون الله في الحياة، الذي يجعل اللذة الطبيعية السليمة فيما يُساعد على إنماء الحياة"<sup>(3)</sup>.

### ب/ الحرّية:

ذلك أنَّه لا يجوز أبداً أن تشيع الفوضى باسم الحرية، ولا أن تستغل حقوق الإنسان لممارسة أعمال تدمر نسل الإنسان. وأنَّ الله عز وجل قد جعل للشهوة في الإنسان وظيفة تُؤدِّيها وهي: بقاء النسل واستمرار الذرية، غير أنَّ ممارسة هذه الشهوة دوناً ضوابط تؤدي بالاجتماع إلى الاختيار والنسل إلى الضياع والبشرية إلى الفناء، إذ خلق شهوة دون إنتاج وبالتالي ينتهي النسل وتنفى البشرية .

### من ملامح منهج لوط في الإصلاح :

1/ منطق الأخوة الإنسانية : ابتداءً نبي الله لوط عليه السلام دعوته من منطق الأخوة الإنسانية، كبقية الأنبياء والرسول، ذلك أنَّ هذا النوع من الخطاب يُقرب المسافات ويقضي على الفجوات التي قد تنشأ بينه وبين قومه، مُبيناً لهم أنَّه أتاهم يُبلغهم رسالة ربِّه وأنَّه لا يُكنُّ لهم عداوة شخصية، بل جاء مُصححاً لعقيدتهم مصلحاً لأخطائهم، مُصوباً لسلوكهم، قال تعالى: كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطِ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ"<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> محمد بسام الزين في مدرسة الأنبياء عبر وأضواء ص 115 .

<sup>2</sup> الآية 78 من سورة هود.

<sup>3</sup> محمد بسام رشدي الزين: مدرسة الأنبياء عبر وأضواء ص 116

<sup>4</sup> الآية 163 من سورة الشعراء.



## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

2/ بدأ لوط بما بدأه بقية الأنبياء يَسْتَجِيشُ في قلوبهم وُجدان التقوى ويدعوهم إلى الإيمان والطاعة، وَيَسْتَشِيرُ فيهم النخوة الآدمية.

3/ الإخلاص: يَبِينُ لَهُمْ أَنَّهُ لَا يُرِيدُ مِنْ دَعْوَتِهِ زِعَامَةً وَلَا ثَرَةً، لَا يُرِيدُ تَحْصِيلَ مَصَالِحِ شَخْصِيَّةٍ، وَأَنَّهُ لَا يَنْطَلِقُ مِنْ نَوَازِعِ نَفْسِيَّةٍ، وَلَا صِرَاعِ شَخْصِيٍّ، فَقَالَ فِي سُورَةِ الشُّعْرَاءِ: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ"<sup>(1)</sup>.

4/ التدرج: كَانَ اسْتِفْهَامَ سَيِّدِنَا لُوطَ لِقَوْمِهِ اسْتِفْهَامَ تَقْرِيعٍ وَاسْتِفْهَامَ إِنْكَارٍ، فَلَمْ يَقُلْ لَهُمْ أَنْ رَبَّنَا يَقُولُ لَكُمْ لَا تَمْتَنِعُوا عَنْ هَذَا الْفِعْلِ بَلْ يَسْتَنْكِرُ الْفِعْلَ كَعَمَلِ مُضَادٍّ لِلْفِطْرَةِ، فَيَقُولُ تَعَالَى: أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ"<sup>(2)</sup>، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُحَرِّجَهُمْ لِأَنَّ الْعَقْلَ الْفِطْرِيَّ يَأْبَى هَذَا الْفِعْلَ الشَّنِيعَ.

5/ الصبر والحكمة: تَكْشِفُ قِصَّةُ لُوطَ عَنِ شَخْصِيَّةِ لُوطِ الْمَصْلُوحِ فِي صَبْرِهِ وَحِكْمَتِهِ فِي مَحَاوَلَاتِهِ إِقْنَاعَ قَوْمِهِ الْمُفْسِدِينَ الشَّاذِينَ، حَتَّى إِذَا أَعْيَتْهُ الْحِيلُ كُلُّهَا، وَسُدَّتْ دُونَهُ الطَّرِيقَ وَالْمَنَافِذَ، وَأَوْصَدَتْ أَمَامَهُ السَّبِيلَ، وَأَبْوَابَ الرَّجَاءِ، وَأَخَذَ مِنْهُ الْكَرْبُ كُلَّ مَاخِذٍ، وَاشْتَدَّ بِهِ الْأَمْرُ إِلَى دَرَجَةٍ لَا يَقْوَى عَلَى احْتِمَالِهَا أَشَدَّ الرِّجَالِ صِلَابَةً وَصَبْرًا وَإِيمَانًا، وَعِنْدَئِذٍ اهْتَزَّ كَيْانُهُ وَانْتَفَضَ وَصَاحَ: "لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ"<sup>(3)</sup>.

6/ استشارة كوامن الخير في النفوس: بِمَضِيِّ لُوطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَحَاوَلَتِهِ يَسْتَشِيرُ كَوَامِنَ الْخَيْرِ فِي نَفْسِهِمُ الْمُنْكَوسَةَ قَائِلًا: "وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ"<sup>(4)</sup>، قَالَهَا يَتَلَمَّسُ نَحْوَتَهُمْ وَتَقَالِيدَ الْبَدْوِ فِي إِكْرَامِ الضَّيْفِ إِطْلَاقًا: أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ، فَالْقَضِيَّةُ هُنَا قَضِيَّةُ رَشْدٍ وَسَفْهِ إِلَى جَوَارِ أَنَّهَا قَضِيَّةُ فِطْرَةٍ وَدِينٍ وَمَرْوَةٍ

<sup>1</sup> الآية 164 من سورة الشعراء.

<sup>2</sup> الشعراوي في تفسيره المجلد 7 ص 4225.

<sup>3</sup> أحمد فائز الحمصي: قصص في ظلال القرآن ج 2 ص 176.

<sup>4</sup> الآية 78 من سورة هود.

### المطلب الخامس: الإصلاح الشامل (محمد صلى الله عليه وسلم نموذجاً)

بعد عرض مسيرة الإصلاح عند بعض الأنبياء عليهم السلام، والتي تعرّض كل منها إلى جانب من جوانب الحياة، لتجتمع كلها في إصلاح خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فتنتطبق عليه سمة الشمولية، يقول الشعراوي: "لقد وُضِعَ الحق تبارك وتعالى كل القصص القرآني في رسالة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم" (1).

وفي ذات المعنى ذكر الشيخ الغزالي: "وقد نظرتُ إلى العلل التي توزعت على الأولين وأودت بهم، فوجدتها تتلاقى في رحاب هذه الحضارة، وتنتشر بين نظمها المختلفة" (2).

إصلاح مُحَمَّدِيٍّ أحدث نقلةً نوعيةً وتغييراً جذرياً للعالم حارت العقول وعجزت الأقلام عن وصفه. وفي هذا المقام يذكر الداعية الإسلامي أبو الحسن الندوي (3)، واصفاً إصلاح النبي محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: "أتى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بيّت الدعوة والإصلاح من بابه، ووضع على قفل الطبيعة البشرية مفتاحه، ذلك القفل المعقد الذي أعيأ فتحه جميع المصلحين، وكل من حاول فتحه من بعده بغير مفتاحه، فانفتحت معه الكنوز والعجائب والقوى والمواهب فأصابا بالجاهلية في مقتلها وصميمها، وأصمى رميته وأرغم العالم العنيد بحول الله على أن ينح نحواً جديداً، ويفتح عهداً سعيداً، ذلك هو العهد الإسلامي الذي لا يزال غرة في جبين التاريخ" (4).

عهدٌ شهد له الأعداء قبل الأصدقاء، سمّا بصاحبه إلى أعلى قمة في قمم المائة أولى، يقول محمد الغزالي: كلما قرأت كتاب "القمم المائة الأولى"، رأيت المؤلف يذكر كأنه مضطر إلى جعل محمد صلى الله عليه وسلم أول هذه القمم، وإن لم يكن على دينه، لأن الدلائل كلها إلى جانبه... (5).

قمةٌ تحدّى بها محمد رشيد رضا العالم حين قال: "نحن المسلمون نتحدى الفلاسفة والمؤرخين والحكماء وعلماء الحياة والاجتماع والأخلاق من جميع الأمم بأن يأتونا بمثل ما أتى به محمد صلى الله عليه وسلم

<sup>1</sup>الشعراوي: قصص الأنبياء، مكتبة التراث الإسلامي، مصر و دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، د ت ج 1 ص 27.

<sup>2</sup>محمد الغزالي في الحوار الخمسة للقران الكريم ص 103 .

<sup>3</sup>هو علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الحسيني الندوي، ولد في 6 محرم 1333 هـ - 1914 م، في أترابرديش اشتغل بالتدريس، في التفسير والأدب، ثم بالتأليف والدعوة، من مؤلفاته: ماذا خسر العلم بانحطاط المسلمين و قصص النبيين، ارجع رجال الفكر والدعوة في الإسلام: أبو الحسن الندوي، دار ابن كثير، بيروت - لبنان، ط1: 1420هـ / 1999 م، ص 1 من أ إلى ز.

<sup>4</sup>أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين دار القلم، دمشق - سورية، ط2: 1423هـ / 2002م، ص 99 .

<sup>5</sup>محمد الغزالي في علل و أدوية، دار الشروق، (القاهرة - مصر) ط: 1418: 1هـ / 1997م، ص 111.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

أو بما يقرب منه، فليدنا العلماء على نبي من الأنبياء، أو ملك من الملوك، ربّي أمة من الأمم في عشر سنين فجعلهم أهلاً لفتح الأمصار و السيادة على الأمم"<sup>(1)</sup>.

وقبل الحديث عن الإصلاح العظيم الذي قاده النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم، لأبد من تصوير عام للعالم الذي بعث فيه وللأوضاع السائدة آنذاك، حيث نجد أن كُتِبَ السيرة زاخرة بذلك، باعتبارها كُتِباً ومصادر نقلت لنا أخبار العالم قبل وبعد البعثة. وفي هذا الصدد ذكر الدكتور يوسف القرضاوي نقلاً عن الداعية أبي حسن الندوي قوله: "بعث محمد صلى الله عليه وسلم والعالم مصاب بزلزال شديد، عالم في حضيض الظلمات والضلالات أحاطت به من كل جانب، عقيدة فاسدة الإنسان فيه قد هانت عليه إنسانيته، فأصبح يسجد للحجر والشجر والنهر، وكل ما لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، يعيش بين أوهام الوثنية، ورجس الجوسية، وانحرافات اليهودية والنصرانية، صورها القرآن في قوله تعالى: "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"<sup>(2)</sup>، ضلالاً في التصور والاعتقاد نشأ عنه انحراف في العبادات والعبادات، وترتب عنه فساد في السلوك الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

مجتمع فاسد هو الصورة المصغرة للعالم، كل شيء فيه على غير شكله، قد أصبح فيه الذئب راعياً والخنصر الجائر قاضياً، والمجرم سعيداً حظياً، والصالح محروماً شقيماً، لا أنكر في هذا المجتمع المعروف ولا أعرف من المنكر. وعادات فاسدة تستعجل فناء البشرية، وتسوقها إلى الهلاك، فحمر حتى الإدمان، وربما حتى الاغتصاب، وقسوة وظلم إلى حد الوادٍ وقتل البنات، بل أكثر من ذلك، مواهب بشرية ضائعة زائغة لم ينتفع بها، ولم توجه التوجيه الصحيح، حتى تحوّلت الشجاعة فتكاً وهمجية، والجدود تبيدراً وإسرافاً، والعقل وسيلة لابتكار الجنايات والإبداع في إرضاء الشهوات، أفراد البشر والهيئات البشرية كخامات لم تُحظ بصانع حاذق، ينتفع بها في هيكل حضارة، وألواح خشب لم تسعد بنجار يركب منها سفينة تشق بحر الحياة، فكان محمد صلى الله عليه وسلم كان الإصلاح"<sup>(3)</sup>.

هذا الإصلاح الذي تضيق به الكتب ويطول حبل حديثه، مما يجعل الوقوف عليه والإمام به مهمة شاقة، لا يسع المقام بذكره كله، لذلك ستقتصر المحاولة في الوقوف على أهم الجوانب بعرض مواقف منها، شهدت كُتِبَ السنة قوتها من خلال أحاديثه صلى الله عليه وسلم.

<sup>1</sup>عبد العزيز بن آل الشيخ: المختار من المنار، الرياض - السعودية، ط2: 1416هـ / 1995 م، ج2، ص 193.

<sup>2</sup>الآية 164 من سورة آل عمران.

<sup>3</sup>أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بالخطأ المسلمين ص 95 و 96.

### 1/ إصلاح الإنسان:

بداية بإصلاح العقيدة في فكر الإنسان، التي أفسدها أهل الكتاب وذلك من خلال الدّعوة إلى التوحيد الخالص، باعتباره القاعدة الكبرى التي تقوم عليها الحياة، حاثاً العقل على النظر والتفكير في دلائل قدرة الله وآثار رحمته، وعجيب صنعه، وبديع خلقه، في النفس والكون والآفاق، مُتمماً ذلك بالنهي عن إتباع الظن والتقليد في العقائد والأحكام، ذلك أنّ العقيدة لا مجال فيها للظن والهوى، بل هي مبنية على اليقين القاطع، أما التقليد الأعمى فهو حجابُ العقل المانع له من الانطلاق، والمعوق له عن التفكير.

يقول أبو الحسن الندوي: فكان أن أسس مدرسةً إيمانية واسعة، أحدثت انقلاباً في نفوس الناس، فإذا آمن أحد بالله وشهد أن لا إله إلا الله انقلبت حياته ظهراً لبطن، وظهر منه من روائع الإيمان واليقين، ومن خوارق الأفعال والأخلاق، ما حير العقل والفلسفة وتاريخ الأخلاق، هذا الإيمان الذي قيل فيه أنّه أقوى وازع عرفه تاريخ الأخلاق، وعلم النفس عن الزلات الخلقية والسقطات البشرية<sup>(1)</sup>.

### 2/ إصلاح الاجتماع الإنساني<sup>(2)</sup>:

بعد استواء هذه المدرسة الإيمانية ونجاح أفرادها وتلامذتها بتفوق وتميّز، أتجه إلى إصلاح الاجتماع الإنساني والعلاقات التي تحكمه من ذلك:

أ/ إصلاح السياسة ونظام الحكم: حيث وُضِعَ الخطوط العريضة التي تكفل الحياة الطيبة بين الحاكم والرعية، فانطلق من أهم نقطة وهي التحاكم إلى منهج الله المبين في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فحقّق بذلك وحدة الأمة، فكراً وسلوكاً، بالرجوع إلى هذا الأصل في كل تفاصيل الحياة، ثم إقامة العدل وإقرار المساواة بين الناس، ليجمع بذلك الأمة على المحبة والعيش الطيب، بالإضافة إلى ممارسة الشورى، باعتبارها أساس العلاقة بين الحاكم والرعية، والتي تجعل من الجميع شركاء في الحكم، فتتلاقح الأفكار لتنتظم في نسق ثري يسمح بتنوّع فكري، يصل في النهاية إلى الوصول في غالب الأحيان إلى سداد الرأي وصوابه وتحقيق الحرية للأفراد.

<sup>1</sup> أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بالخطأ المسلمين ص 105 .

<sup>2</sup> محمد السيد يوسف: منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع ص165 وما بعدها بتصرف.

### ب/ إصلاح الأخلاق والعلاقات الاجتماعية:

حيث حوّل الأخلاق إلى أعلى المبادئ الخلقية، وأسمى الأصول الأدبية، فكانت دائرة الإصلاح فيها واسعة شملت جميع الناس، وشملت جميع أفعال الإنسان الخاصة بنفسه أو غيره، حائثاً على جملة من الأخلاق التي من شأنها تقوية الأفراد أنفسهم، كالقناعة والزهد، والحياء... وتقوية العلاقات الاجتماعية بين بعضهم البعض، من خلال دستور جمع بين طياته جملةً من الآداب والتقاليد التي تجعل من التفكير الجماعي والسلوك الجماعي جزءاً لا يتجزأ من حياة المسلم، كإكرام الجار، وصلة الرحم، وغيرها من السلوكات الطيبة.

ج / إصلاح الاقتصاد: حيث انطلق صلى الله عليه وسلم من طبيعة الإنسان المحبة للمال، مُصَحِّحاً النظرة في ذلك، فَحَثَّ على جَمْعِهِ بطرق الحلال من خلال إيجاب العمل، ومحاربة البطالة، ونهى عن الكسب الخبيث، فحرّم الربا، والاكتمار، ودَعَا إلى التزام القيم والأخلاق في المعاملات الاقتصادية كالصدق والأمانة..... إلخ

### - من ملامح منهج الإصلاح المحمدي :

انفرد المصطفى صلى الله عليه وسلم في طرحه لمنهج الإصلاح، عن بقية المناهج النبوية السابقة وما لحقها من مناهج وضعية، وَضَعَهَا الصالحون من بعدهم من أبناء البشر، فقد اجتمع في إصلاحه خصائص الإصلاح التي انتهجها السابقون من الأنبياء والصالحين، لِيَتَسَنَّى لأصحاب الرسالة الخاتمة أن يَسِيرُوا في درب الإصلاح، حَامِلِينَ معهم رصيذاً زاخراً منها، يَكُون بمثابة الضوء الذي يُنِيرُ لهم دَرَبَهُمْ، وَيُذَلِّلُ عليهم صعابهم. هذا الأخير الذي سبق وأن تمّ توضيحه في منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، والذي ذكرنا مجموعة منها: الربانية، الشمولية، التدرج، الثبات، الواقعية التيسير<sup>(1)</sup>.

لنخلص في النهاية أن أعظم إصلاح هو إصلاح خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، و أعظم منهج على الإطلاق منهجه الذي جمع فيه خير ما كان من الصالحين والأنبياء، و ما سيكون ممن اختاروا دربه وساروا على نهجه. فدعوته ومنهجه في الإصلاح ليس لها نظير في تاريخ الأمم والشعوب.

<sup>1</sup>تمّ التعرض إلى تفصيل وتبسيط هذه المفاهيم في الفصل الثاني مبحث: الأحكام المتعلقة بالإصلاح.

المبحث الثاني : الإصلاح في الواقع

المطلب الأول: نظرات في الواقع.

المطلب الثاني: نظرات في تجارب الإصلاح.

المطلب الثالث :السبيل لإصلاح الواقع.

### المبحث الثاني

### إصلاح الواقع الإسلامي

#### المطلب الأول: قراءة في واقع العالم الإسلامي

في قراءة أولية لواقع المسلمين اليوم يتبين أن الضعف والانحطاط يُمثّل السّمة البارزة التي صبّغ بها العالم الإسلامي، خاصةً في الآونة الأخيرة، إذ أن أيّ باحث في أحوال الأمة الإسلاميّة لا يصعب عليه تبين ما هي عليه من تخلف حضاري وهوان سياسي واقتصادي واجتماعي، وأنها تمرّ بظروف صعبة وفترة حرجة، تُعبّر في مجموعها عن حقبة مُظلمة في تاريخ المسلمين، إذا قارّناها بالعصور الذهبية للإسلام، والتي كان المسلم يفتخر فيها بانتمائه وانتسابه للإسلام، في ظل حضارة وجد فيها الإنسان ضالته، وسجّل من خلالها بصماته في كل باب يلجّه، فتقرأ وتسمع عن أعلام ونوابغ كابن سينا والفرايبي والخوارزمي وغيرهم كثير، خدّموا الإنسانية جمعاء وكانوا رؤّاداً للحضارة هذا من جانب، و من جانب آخر فإننا نجد الأمة الإسلامية لا يكاد يظهر لها كيان ولا يرى لها طيف فيما تُشاهد اليوم من تقدّم وتطور الحضارة الغربية، فيما يخص التكنولوجيا والوسائل المادية التي أوجدها العقل الغربي لخدمة الإنسان والحياة عموماً، وما زاد الطينة بلّة أن هذه الأوضاع لم تتغيّر منذ زمن بعيد رغم محاولات الإصلاح والتغيير فـ: "امتدت لأزمان طويلة حتى كاد يحسبه بعض الناس من لوازمنا الذاتية ولا يُشكّل أي نتيجة للعمل بالإسلام"<sup>(1)</sup>.

ولو قمنا بجرد مظاهر الضعف والانحطاط في أيّ مجال من مجالات الحياة، فإن ذلك يحتاج إلى بحث مستقل بذاته، قد تحركت أفكار وأقلام سواء من المخلصين الذين أعيأهم وأدّمى قلوبهم أوضاع الأمة الإسلامية سعياً وراء تغيير ما يُمكن تغييره أو من الأعداء الذين يجعلون من البحث فيها وسيلة لضرب الإسلام ومحاوله إبقائه على الحال التي هي عليه، إن لم يكن السبيل زيادة إضعاف وتخلف ناهيك عن تشخيص جميع مظاهر الضعف، لذلك سيكُون تسليط الضوء على أهم وأبرز هذه المظاهر التي شكّلت المناخ العام في العالم الإسلامي عموماً والعربي خصوصاً.

<sup>1</sup>سميح عاطف الزين: عوامل ضعف المسلمين دار الكتاب، بيروت - لبنان، ط7: 1405 / 1985 ص11.

- من مظاهر الضعف في الأمة الإسلامية<sup>(1)</sup>:

**1/** تجزئة بلاد المسلمين وتقسيمها جغرافياً، فصار لكل جزء دولة، ولكل دولة حاكم ونظام، يُناقضُ الآخرين ولا يَأْتلف معهم على الحق، بل أحياناً تَشْتَدُّ تلك التناقضات وتَقْوَى حتى تَبْلُغ الحروب والمعارك الضارية، فأصبح الواحدُ منهم إذا غادرَ إلى الدولة المجاورة فهو أجنبيٌّ غريبٌ، يجب فرض الحذر منه، وفرض القيود عليه في الإقامة والعمل.

**2/** فقدُ الشعوب لحقها في اختيار الحاكم (الخليفة)، مما أدَّى إلى فُتُور فعَّاليتها في بناء نظامها السياسي والاقتصادي والاجتماعي وغير ذلك وفقاً لأحكام الشريعة.

**3/** وقُوع البلاد الإسلامية تحت نُفُوذ المستعمرات والقوى الكبرى، إلى حدِّ فقد الإمكانية في التصرف في ثرواتها المادية والبشرية بل وفقد القدرة على اتِّخاذ قراراتها.

**4/** غرْبَةُ الإسلام في كثير من بلاد المسلمين، وتَأثُرُ تلك البلدان بالتيَّارات الفكرية المعادية للإسلام هذه الأخيرة التي أدَّت إلى تعطيلِ قيمِ الإسلام ومُثله ومبادئه عن توليد الحلول الناجعة للمعاناة البشرية، والذي أدَّى بدوره إلى العجز عن إدارة الطاقات البشرية والموارد الطبيعية وبأبقي الشؤون الاقتصادية والاجتماعية... إلى درجة الكلاله والعجز.

وبالحديث عن مظاهر الضعف فإنَّ البحث في أسبابه أمرٌ لا مَنَاص منه، لأنَّ مُعالجة القصور في كيان الأمة وتحقيق شروط العلاج والنجاح يَسْتلزم فهم أسباب القصور ودواعي التخلف والضعف، وبعد محاولة في البحث عن أسباب الضعف وعوامل الانحطاط التي وردت في الكتب بين تفصيل تارة وإجمال تارة أخرى، يُمكن القول أنَّ مُجْمَلَ الأسباب يَعُودُ إلى أمرين: أحدهما داخلي (ذاتي) والآخر خارجي.

**1/ أسباب داخلية "ذاتية":** ويُقصدُ بذلك أنَّها أسبابٌ نابعةٌ من المسلم بحدِّ ذاته، بمعنى أنَّ له نصيباً فيما آلت إليه الأوضاع، فكان مُساهماً في تأخُّره مسَّت الفكر والعمل تمثل في العطالة الفكرية والعملية.

**1-أ العطالة الفكرية:** وتجسَّد في الجمود الذي لحقَ بالفكر وهو بدوره أثر لا محالة في فعالية هذه الأفكار، وترجمتها إلى عمل ونتاج يخدم الحياة بشقيها الديني والدينيوي، وهو ما عبَّر عنه مالك بن نبي بمعادلة الحضارة الوجه الآخر للتغيير والإصلاح، التي بيَّن فيها أنَّها تتشكَّل من العناصر الآتية: الأفكار

<sup>1</sup> نفس المرجع السابق ص 14.



## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

والأشياء والأشخاص، ووضَّح أنَّ عُنْصُرَ الأشياء والأشخاص يتأثران سلباً وإيجاباً بعنصر الفكر، الذي يُعتبر المحرك لبقية العناصر المشكَّلة لأي تغيير أو تحضر<sup>(1)</sup>.

ويقولُ في ذلك أبو الأعلى المودودي: "يرجع تخلف المسلمين إلى كونهم تركوا مُزاولة التفكير والبحث والتدقيق، وقعدَ بهم اللغو عن موالاة الاجتهاد وتَحصيل العلم فكأنَّهم تنازلوا من تلقاء أنفسهم عن مكانتهم من قيادة العلم"<sup>(2)</sup>.

وبحديثنا عن الفكر كواقع في العالم الإسلامي يُمكن أن نقول أنَّه قد أُصيب بعطب وعطالة فكرية وهي قضية حظيت بنصيب وافر في كتابات المفكرين واعتبرت كقضية مركزية في الأزمة التي تُعاني منها الأمة الإسلامية، وتجلَّى ذلك في مرَّضين عبَّرَ عنهما شكيب أرسلان<sup>(3)</sup> بـ: الجهل و العلم الناقص<sup>(4)</sup>.

—أما الجهل : فهي الحالة التي فقدَ فيها المرء التمييز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، مما جعل الكثير منهم يعيشُ حالة من الخمول الفكري، فتحدُّ فيها عقولهم لا تستجيب بالحركة إلا لتحدي الضرورات ثم هي عند تحقيق الحد الأدنى من تلك الضرورات تقتنع وتتوقف، أما أن يكون التفكير دأباً أصلياً من أجل الابتكار والتطوير والبناء المستمر، فهو أمرٌ غائبٌ عن الوعي، ألا ترى هذا الكم الكبير من الناس في العالم الإسلامي تقفُ بهم عقولهم عند حد رتيب من تحقيق الحيلة في صورة دنيا لا يزيدون عليها شيئاً بمرور الأيام، لأنَّهم لا يدفعون بتلك العقول إلى التفكير المنمي لحياتهم المادية والمعنوية<sup>(5)</sup>.

أما العلم الناقص: وهو الصنفُ الذي يملكُ العلم الناقص أو ما يُسمى بنصف المعلومة، وهو أشدُّ خطر من الجهل البسيط، لأنَّ الجاهل إذا قيضَ الله له مُرشداً عالماً اقتنع ولم يتفلسف، أما صاحب العلم الناقص فهو لا يدري ولا يقنع بأنَّه لا يدري، فترى أفراداً تتحركُ عقولهم بالتفكير، ولكن تفكيرهم يتَّصف بالاضطراب والتشتت، حركته تتَّجه ذات اليمين مرة وذات الشمال أخرى، ويمثل لهذه الحالة

<sup>1</sup>مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان و دار الفكر ، دمشق - سورية ط1: 1988 ، ط2: 1423هـ/ 2002 م، ص 7 بتصرف .

<sup>2</sup>أبو الأعلى المودودي، نحن والحضارة الغربية ، د ت، دار الشهاب: باتنة - الجزائر، ص 10.

<sup>3</sup>ولد الأمير شكيب أرسلان بـ :الشويفات، سنة 1869، درس العلم وتعلم اللغات ،كان مولعا بالشعر ،وعند التقائه بالدعاة والمصلحين، فأصبح شاعرا ومصلحا، ورائدا في الفكر، حتى سمي أمير لبيان العربي وبعد مسيرة حافلة بالإنتاج والإبداع توفي سنة 1946 من مؤلفاته : باكورة في الشعر ،خلاصة تاريخ الأندلس.

<sup>4</sup>الأمير شكيب أرسلان : لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ص 75.

<sup>5</sup>عمر عبيد حسنة في النهوض الحضاري، المكتب الإسلامي بيروت - دمشق، عمان ط1: 1417هـ/1998م، ص 66.

صاحب كتاب النهوض الحضاري بقوله: " فإذا هي على سبيل المثال تَسْتَنْبِطُ قوانين النظام الضابطة لأحوال المجتمع في الاقتصاد من مَحْضِ العقل المستقل، بينما هي تَسْتَنْبِطُ قوانين الأحوال الشخصية من تعاليم الوحي، فيكون بذلك التشتت بسبب غياب الغاية الموحدة، وقد يَصِلُ الأمر إلى درجة التعارض والتناقض كما هو الحال في استزراع الخمر وتبئتها، ثم البحث عن مفسدها وأخطارها، الأمر الذي أَدَّى إلى أزمة من نوع آخر، تَمَثَّلَتْ في القطيعة مع الواقع. من خلال عقلية الخروج من الواقع والانسحاب من مُشكلاته، وبالتالي الانسحاب من حركة الحياة، الأمر الذي جعلنا نَسِيرُ خَلْفَ المجتمع نَدْفَنُ موتاه بدل أن نَسِيرَ أمامه ونقوده إلى الخير ونقوم سلوك الأحياء"<sup>(1)</sup>.

وهو ما اختصره مالك بن نبي بقوله: "فعندما نحلل اطراد أي نشاط له علاقة ما بالحياة العامة للنهضة نجدُه مبتورا من جانب أو آخر: فإما فكرة لا تحقق، وإما عامل لا يتصل بجهد فكري"<sup>(2)</sup>.

### 1-ب/ العطالة العملية:

فلو تأملنا حال المسلمين اليوم من حيث العمل الميداني في مختلف المجالات، فَشَطْرٌ كبير من المسلمين يَفْتَقِدُونَ هَمَّةَ الحركة والعمل أصلا، إذ ملكة العمل عندهم أصابَتْهَا عطالة، فهي لا تفعل بالآراء ولا تستجيب لها حتى وإن كان مُقْتَنَعاً ذهنياً على مستوى الإيمان بالعمل، وشَطْرٌ آخر من المسلمين تَجِدُهُمْ يَتَحَرَّكُونَ ويعملون ويُنفقون في ذلك جهداً كبيراً في مُختلف مناشط الحياة ولكنك حينما تَتَأَمَّلُ أعمالهم تَجِدُهَا قاصرة عن أن تُثْمَرَ ما يُنمي الحياة، إذ هي أعمال تَفْتَقِرُ إلى الإتيان والإحكام، وكم هي تلك المشاريع الصناعية والزراعية التي أُنشأت في العالم الإسلامي وأنفقت فيها الجهود المخلصة، ثم بعد حين آلت إلى الخراب، ولم تقدم في مضمار التعمير شيئا.

وشَطْرٌ آخر من المسلمين تَرَاهُمْ يَتَوَفَّرُونَ على قدر من الفعالية ويتقنون ويحكمون فيها، لكن أعمالهم لا توجه إلى غاية مشتركة، ولك أن تَتَبَّنَ ذلك في عمارات ونصب وتماثيل على درجة عالية من الإتيان، ولكنها لا تنفع الناس في شيء.

**2- أسباب خارجية (الجحود):** وهو سَبَبٌ نَأْبَعُ من حقيقة التدافع الأبدي بين الحق والباطل، الخير والشر، ويُقصد به في هذا الصدد الأعداء الذين يَضْعَطُونَ في اتجاه تَجْفِيفِ مَنَابِعِ الخير الذي حظيت به الأمة الإسلامية في أساس وُجُودِهَا، وهو المَلْمَحُ الذي ما فَتِيَ مالك بن نبي يَطْرَحُه في كتاباته من خلال ما قَدَّمَه حول فكرة الاستعمار، هذه الظاهرة التي مَسَّتْ أَغْلَبَ المجتمعات العربية والإسلامية وهو ما

<sup>1</sup> نفس المرجع السابق .

<sup>2</sup> مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر المعاصر: بيروت - لبنان، ودار الفكر: دمشق - سورية، ط1: 1986، ص 83

عبر عنه بقوله: " الاستعمار حين يدخلُ أمةً يُقصي صَفوةَ الناس فيهم وخيارهم عن أماكن القيادة، وَيَسْتبدلُ بهم أذنباً لا تَتحرَّكُ إلا بأمره، فيضرب أي قُوَّة مُناهضة له أو دعوة للتجديد، ويضعُ نظاماً للفساد والإفساد، يَخنقُ الأفكار ويكبلُ الفعالية ويخلق الفوضى والغموض....، فالأعداءُ ما فتئوا يعملون بأساليب مُتنوعة على بثِّ الشعور الإهزامي في نفوس المسلمين وترسيخه فيهم حتى أصبحَ المسلم يعيشُ حالة عُرْفَت بـ: القابلية للاستعمار"<sup>(1)</sup>.

مما تسبَّب في انقسام تفكير المسلمين إلى قسمين:

- بين مُستسلم للغرب من خلال الفئة التي تُريدُ أن تلغي كلَّ شيءٍ قديم، بدُونِ نَظَرٍ فيما هو ضار منه أو نافع، مما أدَّى إلى تشكُّل قناعة سيطرت على العقول والنفوس، مفادها أن الخيرَ كله بيد هذه الحضارة وأهلها، بما كَسَبُوا من حقائق العلم، ومن وسائل الرفاهية. و لما قُورن ذلك كله بوضع المسلمين في تخلفه العلمي والمادي، أفرزت تلك المقارنة شعوراً بالانهزام سرى هذا الشعور في الناس بوعي وبغير وعي، حتى أصبحَ حالاً من أحوال المسلمين، يُوجِّه الكثير من مواقفهم وتصرفاتهم.

فمنهم فئاتٌ وقرَّ في أنفسهم أن الغرب هم الأعلىون في كل حال، وأنَّه لا سبيل لمغالبتهم بوجه من الوجوه، وأنَّ كلَّ مقاومة عبث، فكل صراع بين المسلم وغيره يعتقد أنَّه سينتهي بمصرعه ولو طال الكفاح، وسارت إلى أبعد من ذلك فزعموا أنَّ التعب في مجارة المسلمين للغرب في علم أو صناعة أو كسب أو تجارة أو زراعة، أو أي منحيٍّ من مناحي العمران هو ضرب من المحال، وشغل بالعبث لا يليق بالعاقل إتيانه وكانَّ المسلمين من طينةٍ والغرب من طينة، فرقيهم أمر لا بد منه وكأنَّه كُتبَ في اللوح المحفوظ وجف به القلم.

- وفئةٌ جامدة التي لا تُريدُ أن تُغيَّر شيئاً، ولا تُرضى بإدخال أقلِّ تعديل على أصول التعليم الإسلامي ظناً منهم بأنَّ الاقتداء بالكفار كفر.

فكانَ بذلك للغرب والحضارة الغربية نصيبٌ لا يُستهانُ به في إحداث تشوُّهات فكرية ونفسية وخلقية واجتماعية، وسياسية واقتصادية عميقة. ولئن نَحَحَت الشعوب في إجلاء الاحتلال فإنَّ التضحيات الجسام التي بدلتها في مقاومته لم تُؤتِ الثمار المطلوبة، ولم تُحقق تطلعات الشعوب للاستقلال والحرية والعدالة والتنمية، ولا أدلَّ على ذلك من الإدارة الجزائرية التي تعتبر اللغة العربية اللغة الرسمية للوطن، في حين أنَّها مازالت في الوثائق الرسمية مازالت تتعامل باللغة الفرنسية - لغة المحتل - الذي من المفروض أنه خرج من الوطن، وزال معه ما يثبت وجوده.

<sup>1</sup>الموافقات ملف العدد مالك بن نبي فقيه الحضارة، مجلة جامعية بالمعهد العالي لأصول الدين، العدد: 3 جوان 1994 ص 355 .

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

---

غير أنه رغم ما كيد وما يكاد للإسلام والمسلمين بالأمس واليوم لا يمكن أن يُعفيَ المسلمين من المسؤولية اتجاهه، وأنَّ الأمانةَ التي أودعها الله في بني آدم هي هي لم تتغيَّر منذ خلق آدم، ويَبقى العصر الذهبي للإسلام يُقيمُ الحجة على المسلمين، ويؤكدُ ضرورة استمرار السعي وراء خلاص الأمة من جمودها أولاً، ومن الجاحدين ثانياً.

### المطلب الثاني: اجتهادات في الإصلاح .

ولما كان واقع المسلمين على الحال التي سَبَقَ وأنَّ تَمَّ التعرف على بعض مظاهره والأسباب التي شكَّلتها، فقد دَفَعَ ذلك رجال رَفَضُوا هذا الواقع وهذه الأوضاع من المخلصين والعقلاء إلى التَّغَلُّع في عمق الأزمة سعياً منهم للبحث عن إمكانية الإصلاح والخروج من هذا الواقع، فَظَهَرَت اجتهادات ومحاولات في إطار جماعي أو كمبادرات فردية.

وبجدثنا عن الحركات الإصلاحية التي تعاقبت من أجل محاولة إصلاح ما كانت تعانيه الأمة الإسلامية في القرون الماضية، وبالتحديد بعد عصر الموحِّدين، أين غرقت الأمة في وحل التخلف. وفي محاولة للبحث في هذه الفترة من قبل مالك بن نبي، يذكر أن التاريخ يضعنا أمام أوَّل هذه المحاولات الإصلاحية التي قادها الإمام ابن تيمية، والتي ارتبطت بالضمير المسلم، حيث كان يدعو فيها إلى التجديد الروحي والاجتماعي في العالم الإسلامي هذه الأخيرة التي تولدت عنها الحركة الوهابية بزعامة محمد بن عبد الوهاب في شبه الجزيرة العربية و التي أرادت أن تحافظ على سابقته من خلال الدعوة إلى محاربة الخرافات والبدع وكل ما من شأنه المساس بالعقيدة وبعد سقوطها لم يسقط معها ضميرها الحي، فانتفض ونهض جمال الدين الأفغاني، هذا الرجل الذي عرف واشتهر بأنه "رجل الثقافة والعلم"، والذي خلَّف من بعد قادة حركات إصلاح، مثل محمد عبده ومحمد رشيد رضا وغيرهم ممن حملوا اللواء وواصلوا الدرب<sup>(1)</sup>.

وبالنظر لحال الأمة وما هي عليه، يثبُتُ أنَّ الحُلُول التي طُرِحت بشكل عام أو سُبُل الخروج والنهوض التي اعتمدت، لم تُحقق المأمول منها، وبَقِيَتْ قاصرةً عن أن تصل إلى المبتغى.

لكن مع وجود هذه السلبيات وعدم القدرة على تحقيق الأهداف بشكل عام لا يعني انعدام الكسب بأقدار متفاوتة ووضع معالم على الطريق، مما يجعل عملية النقد والمراجعة أمراً حتمياً يُستأنس فيه بتجارب السابقين وتُستدرك فيها الأخطاء ذلك أنَّ المراجعة الذاتية وكشف مواطن الداء أمرٌ مُستوحى من القرآن في نقد الهزائم التي تُصيب المسلمين، فالله قد كَتَبَ النقص على جملة البشر، وتلك الحركات ما هي إلاَّ حاصل جهد بشري، لكن ليس معنى ذلك تزيه الذات وعدم الكشف عن أخطاء معوّقة أحياناً والمحبطة لمسيرة الجهود أحياناً أخرى، هذه الأخيرة التي تُؤجل ثمار العمل، وتكون سبباً في ضياع الجهود في خَوْضِ غِمَارِ أعمال لا تُحققُ النتائج المرجوة منها بعبارة أخرى فإنَّ ذلك يدعُونَا إلى القيام بمراجعات ودراسات لحركات الإصلاح والتجديد والتغيير في العالم الإسلامي، الأمر الذي يُفضي إلى اختصار

<sup>1</sup>مالك بن نبي: وجهة العالم الاسلامي ص47 إلى62 بتصرف.

الجهود وبالتالي الأوقات وعدم تضييعها في تجارب قد تمّ السبق إليه. و يقول في ذلك صاحب كتاب روح الحضارة: "إنّ في ذلك اختزال للعقول في عقل، وللأجيال في جيل، وللتاريخ في الحاضر، كما أنّه اختزال للتاريخ والحاضر في تشكيل رؤية المستقبل المأمول، فغياب مثل هذه الدراسات يدعو إلى الاستمرار في التعثر والإخفاق وتكرار الأخطاء، وبالتالي تفاقم الأزمة"<sup>1</sup>.

بداية و قبل الاستطراد في الحديث عمّا سبق من محاولات للإصلاح في العالم العربي والإسلامي ومحاولة النظر فيها، لا بدّ من التنويه أنّه لا يختلف اثنان أنّ الإحساس بمشكلة تخلف المسلمين وإمكانية تغيير الأوضاع كان قدراً مشتركاً بين رواد الإصلاح وحركات التجديد والنهوض عامة ولولا ذلك الإحساس لما حصلت دواعي التحرك ولما نذرت نفوس أعز ما تملك في سبيل ذلك.

بالإضافة إلى أن قيام هذه الحركات الإصلاحية قد فجرّ المأساة الإسلامية في الضمير المسلم، حين كان غارقاً في خمود شامل وهو ما يعرف بحالة التوتر والقلق الإيجابي.

غير أنّه و رغم حسن النية، وسلامة المقصد الذي كان قاسماً مشتركاً بين حركات الإصلاح وزعمائها فإنّ لسان الحال لا يزال يشهد بمظاهر الضعف والانحطاط، مما يجلي ويكشف لنا حقيقة واحدة أنّ جهودهم كانت تحمل في طياتها الإخلاص النابع من حب الإسلام، غير أنّها كانت تفتقر إلى الشرط الثاني من شروط العمل الناجح ألا وهو الصوابية، على اعتبار أنّ من شروط العمل الصالح الناجح أن يكون متوفراً على الإخلاص والصوابية وأنهما الحصن الحصين له.

وبحديثنا عن الصوابية في العمل الإصلاحي، فإنّ الباب يفتح واسعاً للنقد والمراجعات فنجد من يحمل التباين والتنوع في المشاريع الإصلاحية التي عرفها وشهدها العالم الإسلامي في القرنين الماضيين كان السبب الرئيس في إخفاق هذه المحاولات، على أساس أنّها تنم عن مشكل وأزمة في الوحدة الإسلامية بحيث لم تتمكّن من تنسيق الجهود السابقة باللاحقة، ولا الجهود الشرقية بالغربية، فكلّ يرسم مشروعه من وجهة نظره، ويرى أنّ الخروج من الأزمة يقتضي كذا وكذا

غير أنّ هذه النقطة بالذات يمكن النظر إليها من زاوية أخرى وأنّها على العكس من ذلك فهي من قبيل التخصّص، وهو ما يشبه توزيع المهام لتحقيق هدف واحدٍ موحّد، فيتولّى كلّ جانبه الذي أوكل إليه حسب قدراته واستطاعته، وما تفرضها عليه دواعي الإصلاح النابع من الواقع الذي يعيش فيه، وأنّ جهوده لا يمكن للعالم الإسلامي بأيّ حال من الأحوال الاستغناء عن أي منهم فكلّ يسدّ ثغرة من ثغور الإسلام.

<sup>1</sup> نفس المرجع السابق ص 10.

كما أن ذلك يجرنا للحديث عن فاعلية الأفكار الإصلاحية، التي نادى بها أصحابها و يتعلق الأمر باهتمام مبالغ فيه بالمظهر على حساب الجوهر وهذا ما نلمسه من خلال أبسط مثال وهو إنشاء مساجد ومدارس قرآنية لتحفيظ كتاب الله، فنتباهى بعدد حفاظه على حساب العاملين به، وقس على ذلك الكتاب والأدباء الذين يهتمون بالكم على حساب الكيف، ونقصد بذلك الاهتمام بعدد الصفحات وشكلها الجمالي على حساب المضمون. وهو ما أصبغ عليها طابع السطحية، ولا أدل على ذلك من تراثنا الإسلامي الذي تجمّد بسبب بقائه رهينا وعبدا للألفاظ والكلمات التي قالها أو دوّنها السابقون، بحجة عدم المساس بمقدساتهم، "بمعنى أننا قد غرقنا في تمجيد أصالة أفكار معينة بدل البحث عن فعاليتها في عصرها.

بالإضافة إلى تسجيل سمة ظاهرة لأغلب الأفكار الإصلاحية السابقة، وتتمثل في عجزها على تمثّل الواقع والإمساك به أو التحكم به، فأكثر ما كان يأتيها من فشل في النتائج، أو من ضمور فيها، كان يأتيها من قصور في تمثّل الواقع الذي تهدف إلى إصلاحه، وفي امتلاك تصوّر عميق لطبيعته، حيث تعاملت مع واقعها المعقد الطاغية فيه حضارة العرب، بميراث فقهي وفكري صيغت منه أحكام لقضايا كانت تلحّ على الأسلاف، وهو الكلام نفسه الذي نشر في مقال تحت عنوان دور الفكر الواقعي في النهضة الإسلامية: "..... أن كثيراً من محاولات الإصلاح، إن لم يكن معظمها كانت تفتقر إلى خاصية الواقعية في منهجها، وذلك لأن العقول التي أنتجتها كانت تجر مخلفات من الفكر الإسلامي المرتد عن خاصية الواقعية، فأثرت هذه المخلفات بوعي أو بدون وعي في صياغة أجوبة وحلول لمشاكل الأمة" (1). دون أن ننسى التعرّيج على نقطة مهمة، طرحها مالك بن نبي في كتاباته، ويتعلق الأمر بالاستعمار والقابلية له، فيؤكد أن هذه الحركات كانت غير قادرة على المساس بمعطيات القابلية للاستعمار، مما جعل جهودها تتجه نحو الدفاع والتبرير لا للبناء والتوجيه، وبدل أن تكون الجهود موجهة نحو النهضة، فقد توجهت في صورة شعلات دفاعية أو جدالية مع المستشرقين (2).

<sup>1</sup>عبد المجيد النجار: دور الفكر الواقعي في النهضة الإسلامية، مجلة كلية الدعوة الإسلامية العدد 2، طرابلس - ليبيا، سنة 1985

<sup>2</sup>الموافقات ملف العدد مالك بن نبي فقيه الحضارة، مجلة جامعية بالمعهد العالي لأصول الدين، العدد: 3 جوان 1994 ص355

المطلب الثالث: سبل إصلاح واقع المسلمين (حوصلة أولية):

إنَّ الثَّابِتَ فِي الإِسْلَامِ أَنَّ دَوَامَ الحَالِ مِنَ الحَالِ، وَأَنَّ الثَّبَاتَ لِلَّهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَمَّا كَانَ التَّغْيِيرُ وَالتَّبَدُّلُ سُنَّةً مِنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي الكَوْنِ، فَإِنَّ تَغْيِيرَ وَتَحَسُّنَ حَالِ الْمُسْلِمِينَ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَبْقَى رَهِينًا أَحْلَامِ النَّوْمِ وَالْيَقِظَةِ، كَمَا لَا يُمَكِّنُ انْتِظَارُهُ كَقَدْرٍ سَمَاوِيٍّ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ يَحْتَاجُ إِلَى جُهُودٍ بَشَرِيَّةٍ وَإِلَى سَعْيِ حَثِيثٍ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ آمِنٍ بِرِسَالَةِ الإِسْلَامِ، وَأَنَّهُ الْمَنْهَجُ الصَّالِحُ الْمَصْلِحُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ. وَالسُّؤَالُ الَّذِي يَطْرُقُ نَفْسَهُ، مَا هُوَ الْمَنْطَلِقُ الصَّحِيحُ لِلخُرُوجِ مِنَ الأَزْمَةِ؟، وَمَاهِي مُقَوِّمَاتُ وَأَسْسُ الإِصْلَاحِ الَّذِي نَنْشُدُهُ لِلخُرُوجِ مِنْ هَذِهِ الأَوْضَاعِ؟.

وَجَاءَتْ الإِجَابَاتُ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ مُتَنَوِّعَةً، تَتَّفَقُ فِي الْمَدْفِ وَلَكِنهَا تَخْتَلِفُ فِي الْمَنْهَجِ، مِنْهَا مَا تَمَّتْ الإِجَابَةُ عَنْهُ مِنْ خِلَالِ كِتَابَاتٍ لِمُفَكِّرِينَ اشْتَغَلُوا بِقَضِيَّةِ الإِصْلَاحِ وَالتَّغْيِيرِ كَالشَّيْخِ مُحَمَّدِ الغَزَالِيِّ وَمَالِكِ بْنِ نَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلِيمًا وَغَيْرِهِمْ، وَمِنْهَا مَا جَاءَ فِي شَكْلِ مَشَارِيحِ إِصْلَاحِيَّةٍ حَاوَلَ تَطْبِيقَهَا أَصْحَابُهَا، سِوَاءَ كِبَوَادِرٍ فَرْدِيَّةٍ أَوْ جَمَاعِيَّةٍ، حَرَكَاتٍ، وَأَحْزَابٍ..... رَفَعَتْ شِعَارَ الإِصْلَاحِ كَحَرَكَةِ جَمَالِ الدِّينِ الأَفْغَانِيِّ، مُحَمَّدِ عَبْدِهِ، وَالإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ...إلخ.

غَيْرَ أَنَّ الأَمْرَ الَّذِي لَا نِزَاعَ فِيهِ وَلَا اخْتِلَافَ فِيهِ أَنَّ أَيَّ عَمَلٍ فِي اتِّجَاهِ نَحْوِ هَذَا الإِصْلَاحِ وَتَغْيِيرِ الأَوْضَاعِ السَّيِّئَةِ، يَبْدَأُ مِنَ النِّقْطَةِ الَّتِي تَمَّ الاتِّفَاقُ عَلَيْهَا عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ السَّمَةَ الْبَارِزَةَ فِي الإِخْفَاقَاتِ الَّتِي لَحِقَتْ الفِكرَ الإِصْلَاحِيَّ، وَيَتَعَلَّقُ الأَمْرُ بِفَهْمِ الوَاقِعِ وَالبَحْثِ فِيهِ.

وَقَدْ افْتُرِحَ لِذَلِكَ طَرِيقَتَانِ مُتَكَامِلَتَانِ لِلْبَحْثِ فِي وَاقِعِ الْمُسْلِمِينَ، نَرَاهُمَا جَدِيرَتَانِ بِالذِّكْرِ وَهُوَ مَا عُبِّرَ عَنْهُ بِالنَّمُودَجِ الْإِخْتِرَالِيِّ وَالنَّمُودَجِ الْمُرَكَّبِ<sup>(1)</sup>:

1/النَّمُودَجُ الْإِخْتِرَالِيُّ: أَيُّ لَابِدِّ لَنَا مِنْ نَظَرَةِ شُمُولِيَّةٍ تَحْلِيلِيَّةٍ عَمِيقَةٍ فِي كِيَانِ الأُمَّةِ، وَ فِي خُطُوطِ مَسَارِهَا الَّذِي بَلَغَ بِهَا دَرَكَاً مَازَالَتْ تَتَهَاوَى فِي أَعْمَاقِهِ حَتَّى الْيَوْمِ. فَهُوَ النَّمُودَجُ الَّذِي يَخْتَرِلُ الوَاقِعَ إِلَى عِدَّةِ عُنَاوِينَ بَسِيطَةٍ، مُسْتَبْعَدَةً كَثِيراً مِنَ العُنَاوِينَ وَالأَبْعَادِ (وَخُصُوصاً العُنَاوِينَ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُرَكَّبَةِ) مَصْدَرِ تَرْكِيبِيَّةٍ الظَّاهِرَةِ. وَيَتَّجُهُ هَذَا النَّمُودَجُ نَحْوَ تَفْسِيرِ كُلِّ الظُّوَاهِرِ (الطَّبِيعِيَّةِ الْمَادِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ)، فِي يَقِينٍ كَامِلٍ وَبَطْرِيقَةٍ شَامِلَةٍ تَبْسِيطِيَّةٍ بَالِغَةٍ مِنْ خِلَالِ سَبَبٍ وَاحِدٍ أَوْ عِدَّةِ أَسْبَابٍ، عَادَةً مَا تَنْحَلُّ كُلُّهَا وَتَمْتَرِجُ لِتُصْبِحَ (فِي نَهَايَةِ الأَمْرِ) مَبْدَأً وَاحِداً ثَابِتاً لَا يَتَغَيَّرُ.

2/النَّمُودَجُ الْمُرَكَّبُ: هُوَ النَّمُودَجُ الَّذِي يَحْوِي عُنَاوِينَ مُتَدَاخِلَةً مُرَكَّبَةً (أَهْمُهَا الْفَاعِلُ الْإِنْسَانِي وَدَوَافِعُهُ)، بِحَيْثُ يُعْطَى الدَّارِسُ صُورَةً مُرَكَّبَةً عَنِ الوَاقِعِ، وَلَا يَخْتَرِلُ أَيَّاً مِنْ عُنَاوِينِهِ أَوْ مُسْتَوِيَّاتِهِ

<sup>1</sup>عبد الوهاب المسيري: الإنسان والحضارة، مجلة كتاب الهلال، العدد: 622 أكتوبر 2002 ص 373 وما بعدها بتصرف.



## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

المتعددة أو تناقضاته أو ثنائياته أو العوامل المادية والروحية التي تعتمل فيه. وهو نموذج تفسيري مُنفتحٌ اجتهادي (وليس نموذجاً موضوعياً مادياً متلقياً)، يرفض الواحدية السببية، ولا يطمح للوصول إلى اليقين الكامل والتفسير النهائي.

فقرأة الواقع لا تكون موفيةً بالعرض، إلا إذا كانت قراءة مفصلة، تتناول الأوضاع والمشاكل مُجزأةً في المجالات المختلفة، فيما يُشبه الفحص الطبي الشامل لجسم المريض، للوقوف على العلل في مواضعها التفصيلية، إلا أن هذه القراءة الشاملة المفصلة لا تكون مُجدية، إلا إذا تمت على أساس من المعرفة بالناصر الأساسية، التي تحكّم الواقع الإسلامي، والتي تدخل في تكوين جزئياته وفصوله كلها، وتُسِرُّ تفاعلاته كلها.

فالمعرفة بهذه الناصر الأساسية العامة من حيث مدخلاتها في تكوين الواقع الإسلامي، تُعتبرُ كالمفتاح الذي لا تتمُّ معرفة التفاصيل إلاّ به، ولا تُفهم إلاّ على أساسه.

وينصح يوسف القرضاوي فئة المصلحين بالترول إلى الواقع والتفاعل معه، فتسعى هذه الفئة إلى تعليم الجاهل، وتقوية الضعيف، ومعالجة السقيم، وتَقْوِيم المنحرفين، وتربية الأجيال، والأخذ بيد الضال إلى الهداية، والعاصي إلى التوبة، وعدم التّعالي على المجتمع، بل تُعتبرُ نفسَها جزءاً منها فتتنظر إليه على أنه هالكٌ، فيكون همها إضاءة الشموع لا سبب الظلام، وإمّاطة الأذى عن الطريق لا لعن واضعه<sup>(1)</sup>

وهو ما عبّر عنه أيضاً مالك بن نبي بالتفاعل الإيجابي مع الواقع، ذلك أنّ الإسلام لا يُقدّم إلى العالم ككتاب، وإنما كواقع اجتماعي فيقول: "ولكننا لا نشم مطلقاً رائحة مصلح تتطلب معه الأمور أن يوجد ناطقاً بفكرة الإصلاح، أي حيث يوجد موضوع الإصلاح نفسه: في المقاهي وفي الأسواق، وفي كل مكان تنكشف فيه العيوب الاجتماعية التي يدعو إلى إصلاحها<sup>(2)</sup>."

<sup>1</sup> يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان ط3: 1418-

1997م، ص 238 - 241 بتصرف.

<sup>2</sup> مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي ص83.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

بمعنى أن يطال الإصلاح أصول الخلل وأسبابه الرئيسة وليس مجرد الأعراض والمضاعفات. غير أنه بالنظر إلى أسباب الضعف التي تم ذكرها، فإن العلاج يتلخص في ثلاث نقاط<sup>(1)</sup>:

### - الأساس الأول:

معرفة أسباب الضعف: والعمل على إزالتها، فمعرفة الداء هي أول خطوات العلاج، ذلك أن المريض إذا لم يكن يعلم أنه مريض، فلا يمكن أن تطلب منه تناول الدواء، وبتشخيص بسيط لحال أمتنا الإسلامية، يتضح أنه لا ينقصها الموارد والقيم والأهداف، ولكنها مع ذلك تأخرت وتدهورت، "وذلك لغز ومعادلة وحال لا يمكن فهمه إلا بافتراض أن الفكر، ومنهج الفكر قد أصابه خلل يجعله في قلب أزمة الأمة، ويكمن في جذورها، وهذا ما يجعل الأمة كالطفل القاصر الذي لا يعرف كيف يفيد من إرثه، ولذلك فإنه من الضروري للبدء بالإصلاح الفعّال البدء بتتبع مسيرة الفكر الإسلامي ومسيرة منهجه، ومعرفة الآفات التي أصابته والتشوهات التي لحقت به، وكيف حدث ذلك؟ وكيف يمكن معالجة أزمة هذا الفكر؟ وما أصابه من تشوهات وآفات؟ وأن يكون ذلك الجهد من أولى أولويات الإصلاحيين، وجهود الإصلاح الفكري<sup>(2)</sup>.

### - الأساس الثاني:

وحدة المسلمين: ثابت في المراس، والتجريب أن كسر العصا الواحدة أمر في غاية اليسر والسهولة، ولربما يكون كسر الاثنتين معا بالأمر الأقل سهولة، لكن كسر الحزمة الواحدة يكاد يكون أمرا في غاية الصعوبة، هذا إن لم يكن غير ممكنا. هنا جوهرُ الدرس ومحلّ الاعتبار، قد آن الأوان لتجمع هذه الأمة كلمتها وتلم وتعلم شملها وجراحاتها، فالقادم أعظم، خاصة وأننا في زمن يتسم بالتعاس والتخاذل والتأمر، كما أن المتربصين بنا لسبب أو لآخر قد صاروا أكثر اندفاعاً وتهوراً وشراسةً وغطرسةً من أي وقت مضى.

إن سبل التقارب بين الفرقاء من خلال تصفية النوايا، ومن خلال سبل وأساليب الحوار والتفاهم، لربما تكون بمثابة الخطوة الأولى في سلسلة العديد من الخطوات من أجل توحيد الصف العربي والإسلامي، وجعل هذه الأمة بالفعل أمةً واحدةً ذات تطلعات وأهداف وغايات واحدة، فهي أساس القوة وعمادها فكيف إذا كانت لقاء على الحق، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال:

<sup>1</sup>سميح عاطف الزين: عوامل ضعف المسلمين ص 70 وما بعدها.

<sup>2</sup>عبد الحميد احمد أبو سليمان: الرؤية الكونية الحضارية، دار السلام، القاهرة - مصر، ط1: 2009/1430 م، ص 13.

1/ وَحَدَّةٌ فِي الْفِكْرِ وَالتَّفَكِيرِ: بفهم الإسلام فهماً صحيحاً واحداً، وعلى الأقل فهماً غير متناقض يُؤدِّي إلى التنازع والاختلاف.

2/ وَحَدَّةٌ فِي الصِّفِّ: بأن يكون كما أمرنا الله صفاً واحداً بقلوبهم وأجسادهم، وعند عرض أمر مُختلفٍ فيه يُرد إلى الكتاب والسنة، ففيهما الحل، ومنهما يُؤخذ العلاج.

3/ وَحَدَّةٌ الْقَوَى: بأن يحشد المسلمون جميع طاقاتهم البشرية والمالية من أجل إقامة العدل بينهم، وصدِّ الأعداء، فلا يسمحون لها بوضع يدها على ثرواتهم، ومواردهم.

ويقول يوسف القرضاوي في ذلك: أن تسعى لتحقيق الوحدة فتجمع ولا تُفرق، فلا يجوز الاشتغال بالمعارك الجانبية، والمسائل الهامشية التي يتعذر الاتفاق فيها على رأي واحد، وتوجيه ذلك الجهد صوب القضايا المصيرية والمسائل الكبرى، وتبني قاعدة المنار الذهبية: تتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، فلا تشتغل بالفروع عن الأصول، ولا بالجزئيات عن الكلّيات، وأن تتعمق في فقه مراتب الأعمال، حتى لا تختل النسب الشرعية بين التكاليف، وتُعيد بذلك ترتيب أولوياتها<sup>(1)</sup>.

### –الأساس الثالث:

العمل بكتاب الله وسنة رسوله: لا شك أن الامتثال لشرع الله خير كله للعمل به والمتعامل معه، والالتزام بتعاليمه فكراً وقولاً وعملاً، على صعيد الفرد والأسرة والمجتمع والأمة. فامتلاك القدرة على الإقلاع من جديد، إنما يتحقق كلما توفرت وسائل إحداث التفاعل بين الإنسان والإسلام، وهو ما ينصح به صاحب كتاب الرؤية الكونية الحضارية حين قال: "إذا أرادت الأمة وإذا أراد الإنسان تفجير الطاقة الوجدانية في كيانه، فعليه أن يتدبر الرؤية القرآنية الكونية، وأن يستعيد قيمها ومفاهيمها في عقيدته وفي وجدانه وفي نظره في عالمه، ومعنى وجوده ملتزماً في أدائه وفكره وسعيه، ليحقق ذاته وفطرته الإنسانية الروحانية السوية، وليرشد خياره الاعماري الحضاري<sup>(2)</sup>. وهو الأمر الذي لم يتوقف تواصله في تاريخ الأمة الطويل على اختلاف مساحاته، وكان الهاجس الدائم لرواد الإصلاح وحركات التجديد، وإن اختلفت قراءتهم للمشكلات والإصابات وإحاطتهم بها، وما وضعوه من وسائل للنهوض وإحداث التفاعل، وتحقيق الشهود الحضاري.

وفي ذلك يقول يوسف القرضاوي: تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام أولاً، سواء مفاهيم الجمود الموروثة من عهود التخلف، أم مفاهيم الجحود التي أدخلها الاستعمار الثقافي، وأن تقوم بدور التوعية

<sup>1</sup> يوسف القرضاوي: الصحو الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي ص 239 بتصرف

<sup>2</sup> عبد الحميد احمد أبو سليمان: الرؤية الكونية الحضارية، ص 69.

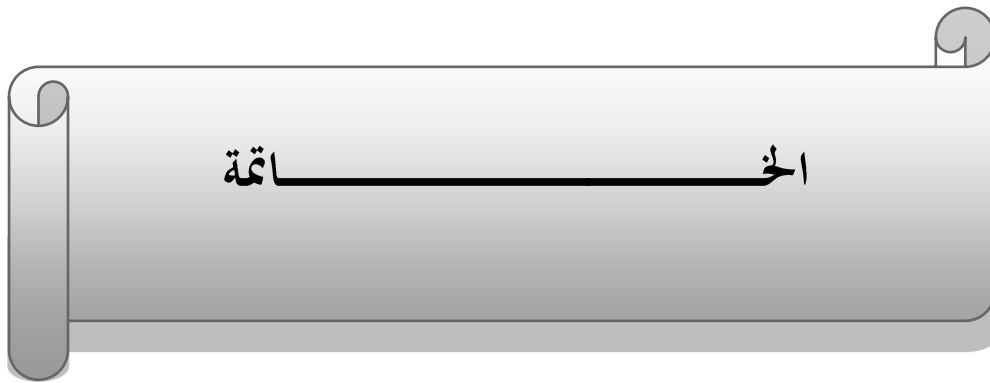
## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

تَمْهِيداً لِدَوْرِ التَّرْبِيَةِ، وَهَمَا فِي النِّهَايَةِ مُتَّكَمِلَانِ. وَثَانِيَا عَنِ الْحَيَاةِ بِمِرَاعَاةِ سُنَنِ اللَّهِ، فَهِيَ سُنُّ ثَابِتَةٌ لَا تَتَبَدَّلُ، صَارِمَةٌ وَلَا تُجَامَلُ، فَلَا تَلْتَمِسُ حَصَاداً بِغَيْرِ زَرْعٍ، وَلَا تَسْتَعْجَلُ ثَمَرَةً قَبْلَ أَوْانِ نُضْجِهَا، وَمَنْ عَمِلَ مِنْ خِلَالِهَا مُهْتَدِياً بِهَدْيِ اللَّهِ كَانَ نَصِيبُهُ الْفَلَاحَ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ<sup>(1)</sup>.

وَصَفْوَةُ الْقَوْلِ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ اسْتَقَامَتْ عَقِيدَتُهَا، وَصَلَحَ فِكْرُهَا، وَتَحَرَّرَتْ إِرَادَتُهَا وَأَحْسَنَ بِنَاءَ وَإِعْدَادَ إِنْسَانِهَا، وَتَمَتَّعَتْ بِحَرِيَّتِهَا الْكَامِلَةِ، فَإِنَّهَا سَتَسْتَعِيدُ مَجْدَهَا وَحَضَارَتَهَا، وَتَتَحَقَّقُ خَيْرِيَّتُهَا الَّتِي أُثْبِتَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عِنْدَمَا وَصَفَهَا بِأَنَّهَا خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ. وَيَتَحَقَّقُ الشُّهُودُ الْحَضَارِي لَهَا، حَقّاً كَمَا تَحَقَّقَ لَهَا سَابِقاً، وَقَبْلَهُ مَا شَهِدَتْ بِهِ أَحْرَفُ كِتَابِ اللَّهِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ....."<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> يوسف القرضاوي : الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي و الإسلامي ص 239 .

<sup>2</sup> من الآية 110 من سورة آل عمران



### الختام

وأخيراً... فإنَّ حبل الحديث عن الإصلاح يبق مستمرا و متوصلا ، باستمرار الفساد الذي استشرى في الأرض، وباستمرار الأزمة والنكسة التي لا تزال الأمة الإسلامية تتجرع مرارتها في كل يوم تطلع فيه الشمس ،حتى شلَّتْ وأقعدت عن ركوب قطار الحضارة ، هذا الأخير الذي لم يعرف النور ولم يهتد إلى سبيله إلا بنور من الله، من خلال أحكامه وقوانينه التي بنت لمدرسة الإصلاح وأسست لها أعمدة قوية، ساهمت في محاربة الفساد والمفسدين، وهو ما لمسناه من خلال مختلف التعاريف التي اتفقت في مجملها على أنَّ الإصلاح نقيض الفساد، فتكرر بذلك النداء والدعوة إليه في القرآن الكريم في أكثر من 40 موضعا، حاثا الفطرة الإنسانية الراضية لاستمرار الفساد الذي يلحق كل صلاح أوجده الخالق، أو أنتجته عقول الصالحين ممن اختارهم المولى تعالى لهداية الناس وإصلاحهم، و داعيا إلى المحافظة على عنوان الأمة الإسلامية الذي يقضي بحيرتها على سائر الأمم، في محاولة إلى محاكاة ما أصلح الله به الأرض عموما من أسباب الحياة المادية أو المعنوية منها، وإصلاح للإنسان بجد ذاته كأشرف مخلوق.

فكان أن انصرف الإصلاح الذي أناط به الله الإنسان إلى معنيين:

**المعنى الأول:** فقد طلب القرآن الكريم من الإنسان أن يراجع نفسه ويصحح خطأه، ما دام أنَّ من طبيعته الزلل و الضعف في وحل الشهوات أو الشبهات، فيقتضي ذلك منه التدارك بالتوبة، هذه الأخيرة التي لا تكتمل إلا بإصلاح الخلل و إقامة النفس على ما شرع الله واقتضت أحكامه في إطار القدرة والاستطاعة . ولما كانت حياة الإنسان يحكمها الاجتماع مع بني جنسه ، فإنَّ ذلك يدعو إلى سحب الآخرين إلى ما أمر به الخالق سبحانه وتعالى من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما تحكّم حياته أيضا المحيط والبيئة التي يعيش فيهما ويتفاعل معهما، بأن لفت نظره إلى الصلاح الذي خلقت عليه الأرض، فطلب منه المحافظة عليه من كل ضرر أو فساد يلحق به، وأن يسعى إلى تجويد مقومات الحياة بما يحقق المنفعة والمصلحة العامة.

**أما الثاني:** فيشمل إصلاح ذات البين "الصلح" من باب سدّ كل ما من شأنه التفريق والتمزيق ، وفي المقابل لمّ الشمل و ترصيص الصفوف، وذلك مع أقل عدد يمكن أن يجمع بين المتباينين، وهو الأمر الذي قد يحدث بين الزوجين عند استفحال التراع والخلاف ، فجعل من الإصلاح بينهما وقاية

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

وعلاجاً من أجل المحافظة على مؤسسة الأسرة، التي نحافظ بحفاظنا عليها على المجتمع وبنائه، سواء بتولي المهمة من قبل الزوجين أو من العقلاء ممن يهتمهم مصلحة الزوجين أو لآثم الأولاد والمجتمع تبعاً. ويلحق بالزوجين كل متنازعين جمعهم الأخوة الإنسانية، وهي في الأخوة الإيمانية أوجب وأزرم، وهو ما قد يحدث بين الورثة، الذين تزيد قيمة الإصلاح عندهم للسبيين السابقين إضافة إلى صلة الرحم، التي تفرض زيادة اعتناء بالصلح بينهم في إطار العدل الذي يسمح لكل واحد أخذ حقه بالشرع والقانون. وهكذا الأمر مع الخصومات والتراعات التي تتوسع وتشمل عدداً أكبر، كطائفتين أو قبيلتين أو ما يعرف الآن بالدول، التي قد يحصد فيها المجتمع عدداً كبيراً من الضحايا، إذا لم يبادر المخلصون إلى فظّ النزاع وإحلال الألفة

ومع هذه الدعوة وهذا الترغيب للقيام بعملية الإصلاح في المعنيين الذين سبق الإشارة إليهما، فإنه لم يترك المصلح دون دليل أو منهج يسير وفقه في هذا الطريق، بل أرشده إلى مجموعة من الخصائص التي تضمن بلوغ المرام كالربانية والواقعية والتدرج و.....، كما بيّن له أن هذا العمل يحتاج إلى صفة الإيمان ولوازمها من تقوى وورع وإخلاص.....، و مجموعة من الأخلاق كالحلم والتواضع والإرادة..... إلخ. وبصفة عامة كل ما تحمله كلمة صلاح من إيمان وأخلاق يكون مقدمة لأي إصلاح.

كم أنّ لهذه العملية مجموعة من الأحكام لا بد من التنبه إليها والوقوف عليها، ويتعلق الأمر وفقه الأولويات وفقه الواقع، اللذان لا يمكن القفز عليهما ولا إهمالهما، لأنّ ذلك يجعلنا نسبح في الخيال بعيداً عن ما يحتاجه الواقع من إصلاح، أو نهدر جهوداً وأوقافاً لا طائل منها في أشياء وأمور لم يتضح فيها سلم الأولويات.

و يندرج ضمن هذه الأحكام ما يرفع من قيمة الإصلاح، أبعاده المقاصدية التي ارتبطت بالكلية الخمس الدين، النفس، العقل، المال، النسل.

كما لا يخفى على صاحب كل لب أنّ ما أمر به الشارع الحكيم فهو خير، علمه من علمه وجهله من جهله، فكان أن رتب على القائم بالإصلاح خيراً عميماً في الدنيا والآخرة، من أمن وطمأنينة و عظيم أجر من لدن أكرم الأكرمين.

ولما كان للإصلاح هذا الشأن العظيم والمكانة السامية في الشريعة الإسلامية، فلا بد أن يكون لخيرة البشر الأنبياء والمرسلون بصمات في ذلك، فكلهم نادوا بإصلاح الفساد الذي تفشى في أقوامهم، فكان

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

إبراهيم عليه السلام بالمرصاد لمن فسدت عقيدتهم و أشركوا بالله ، و شعيب فقد تصدى للفساد الاقتصادي الذي عرف في قومه بألوان الغش والتطفييف ، بينما إصلاح نظام الحكم والسياسة فقد حمل لواءه موسى عليه السلام في قصته مع الطاغية المستبد فرعون، فيما اتجه لوط عليه السلام إلى تصحيح الأخلاق ، خاصة ما تعلق بالشذوذ الجنسي والعلاقات المحرمة ، ليختم خاتم الأنبياء والمرسلين بإصلاح شامل لشتى شؤون الحياة.

وقد سار على درب الأنبياء والمرسلين، رجال أهمهم حال شعوبهم وأممهم من فساد وطغيان للباطل على الحق ، فكانت لهم اجتهادات ومحاولات حفظها لهم التاريخ ، غير أن استمرار الحال على ما هي عليه من سوء إن لم نقل أسوأ ، يؤكد لنا أنها لم تلتزم بما أقرته الشريعة من منهج و وسائل لتحقيق الإصلاح المنشود ، من خلال إعادة النظر في مناهجها وهو ما يعرف بالنقد الذاتي البناء.

في النهاية فما هذا إلاّ جهد مقل ولا ندعي فيه الكمال ولكن عذرنا أننا بذلنا فيه قصارى جهدنا فإن أصبنا فذاك مرادنا وإن أخطأنا فلنا شرف المحاولة والتعلم، ولا نزيد على ما قاله خيارنا من الأسلاف : رأيت انه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل».

والحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على رسول الله ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.



فهرست الفهارس:

- ❖ فهرست الآيات القرآنية.
- ❖ فهرست الأحاديث النبوية الشريفة و الآثار.
- ❖ فهرست الأعلام.
- ❖ فهرست المصادر و المراجع.
- ❖ فهرست الموضوعات.

فهرست الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
114	11	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ	
96- 81	30	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ	
103	44	أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ	
132	49	وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ	
124	124	قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا	
75 - 74	160	إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوَلِيكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ	
11	177	لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ	البقرة
50 - 62 - 64	180 إلى 182	كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (180) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ	
65	215	يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ	

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

66 - 42 - 68	220	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
92 - 18	251	وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ
123	258	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
93	286	لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ
137	14	زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ
110	19	إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ
74	89	إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
47	103 104	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا... وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
المقدمة - أ - 105 - 78 167 - 119	110	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
20	119	وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَ لَأَمُرَّنَّهُمْ فَلْيَكْفُرُوا أَوْ لَيُرْسِلْنَهُمْ لَأَكْفُرَنَّ اللَّهُ
98	133	وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ
149	164	لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

65	2	وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا	النساء
60	34	وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنِ اطَّعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا	
60	35	إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا	
62	36	فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ	
50	114	لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ	
50 - 59	128 129	وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ..... وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا	
75	146	إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ	
110	03	الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا	
113 - 76 115	39	فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ	
110	42 و 45	وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ.... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ	

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

58	58	وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ.	
117	48	فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ	الأنعام
66	152	وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	
36 - 4	56	وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ	
124	59	يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ	
	65		
	73		
144	-80 81	وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ 81	
71 141 - 139	- 85 86	وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا	الأنعام
142	93	فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ	
130	103	ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ	
111 - 71	142	وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ	
50	170	وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ	
50	01	فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (1)	
118 - 90	25	وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.	الأنفال

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

21	53	ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ	
17	32	يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ	التوبة
4	102	خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا	
111	122	فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ	
81 - 39	61	هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا	الأنعام
128	75	إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ	
145	78	قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ	
139	85-84	وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْتَقِصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (84) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ	
89 - 87	88	قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ	
112 - 90			
137	88	قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ	
135	94 - 95	وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (94) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتِ ثَمُودُ	
136	112	فَاسْتَقَمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ	
105 - 84	117	وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ	
17	52	وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ	يوسف

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

19	11	إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ	الرعد
104 - 78	9	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ	الحجر
138	78	وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ	الحجر
61	90	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ	التحل
74	119	ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ	التحل
22	49	وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَوَّابًا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا	الإسراء
97	60	وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا	الكهف
98	12	يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا	مریم
126	41 إلى 43	وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا	مریم
126	52	إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ	الأنبياء
126	55 - 56	قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56)	الأنبياء
121	58	فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلاَّ كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ	الأنبياء
42	90	وأصلحنا له زوجه...."	الأنبياء
127	66	قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ	الأنبياء
117	103	لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ	الأنبياء

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

116	4 - 5	وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (4) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5)	النور
132	10	وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ	الشعراء
99	88 - 89	يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ	
142 - 79	163 إلى 166	وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (164) أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (165) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (166)	
142	180	وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ	القصص
134	5	وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ	
131	38	وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي	العنكبوت
139	36	وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ	
58	21	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ	الروم
91	13	وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ	لقمان
44	71 - 72	إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72)	الأنبياء
36	39	هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا	فاطر
97	20	وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ	يس



## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

144	133	وَإِنَّ لَوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ	الصفات
17	79 - 83	قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83)	ص
35	10	وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيَّ مِمَّنْ فَوْقَهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءً	فصلت
131	51	وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ	الزخرف
41	15	وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ	الأحقاف
41	5	سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ	محمد
21	15	مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ	محمد
56	29	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ	الفتح
46 - 4 104 - 52 106	9 و 10	وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (9) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10)	المحجرات
4	56	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	الذاريات

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

99	2 - 1	يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ	المدثر
131	24	فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى	النازعات
141	2 - 1	وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2)	المطففين
68	6 إلى 10	أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ	الضحى
40	4	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ	التين
13	1 إلى 3	وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)	العصر

- فهرست الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة	طرف الحديث النبوي الشريف
17	إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد أمر هذه الأمة
17	من رأى منكم منكراً، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه و ذلك أضعف الإيمان
39	كلّ إنسان تلده أمه على الفطرة وأبواه، بعد، يهودانه وينصرانه ويمجسانه.....
44	ردّ الخصوم حتى يصطلحوا فإن فصل القضاء يورث الضغائن.
48	ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة، قالوا بلى يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الخالقة.
48	كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الناس صدقة
48	عن أم كلثوم بنت عقبة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا أعدّه كاذباً الرجل يصلح بين الناس يقول القول ولا يريد به إلا الإصلاح، والرجل يقول في الحرب، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها
48	لم يكذب من نفي بين اثنين ليصلح ليس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيراً أو نفي خيراً
49	لا يجل الكذب إلا في ثلاث: يحدث الرجل امرأته ليرضيها، الكذب في الحرب، الكذب ليصلح بين الناس
52	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى

54	يوشك الأمم أن تداعى عليكم ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، وليترعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم..."
	من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيء
55	لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر
56	فعن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا فيقول : ما صنعت شيئا ، قال : ثم يجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته : قال: فيدينه منه ، ويقول : نعم أنت
57	أبغض الحلال عند الله الطلاق
73	ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهو القلب
75	والله لأن يهدي بهداك رجل واحد خير لك من حمر النعم
85	عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم
86	إذا رأيت أمي تهاب أن تقول للظالم، يا ظالم، فقد تودع منها
92	اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل
92	أحب الأسماء إلى الله، عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام
109	على اليد ما أخذت حتى تؤديه
112	من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله
116	إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجملته، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين.

فهرست الآثار :

الصفحة	الراوي	الأثر
44	عمر بن الخطاب	ردّ الخصوم حتى يصطلحوا فإن فصل القضاء يورث الضغائن
70	عمر بن الخطاب	حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر ، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا
80	أنس بن مالك	"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا
86	عمر بن الخطاب	ما كان هذا ليحدث إلا بذنب، والله لئن عادت لا أسكانكم
87 و 88	أبو هريرة	بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت! قال: مالك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا، (وفي رواية قال: ما أملك رقبة غيرها، وضرب على صفحة رقبته) قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، (وفي رواية: هل أصبت الذي أصبت إلا من الصيام؟) فقال: .....
80	عمر بن الخطاب	جلس عمر إلى جماعة من أصحابه فقال لهم : تمنوا ، فقال أحدهم : أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقه في سبيل الله ، ثم قال عمر ، تمنوا ، فقال رجل آخر : أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً و زبرجداً وجوهراً أنفقه في سبيل الله وأتصدق به ، ثم قال عمر : فقالوا ما ندري ما نقول يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : ولكني أتمنى رجلاً مثل أبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة فأستعين بهم على إعلاء كلمة الله"
80	أنس بن مالك	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا

## فهرست الأعلام.

الصفحة	العلم
5	الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي .
5	- هو الإمام محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي فخر الدين أبو عبد الله القرشي البكري الطبرستاني الرازي .
6	محمد الطاهر بن عاشور
6	محمد متولي الشعراوي
6	يوسف القرضاوي .
11	سيد قطب .
44	- عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
87	عبد الرحمن بن صخر الدوسي أبو هريرة
91	مالك بن نبي.
144	أبو الحسن الندوي.
151	الأمير شكيب أرسلان.

## فهرست المراجع والمصادر:

### 1/ القرآن الكريم:

مصحف التجويد: رواية ورش عن نافع، كتابة: الخطاط عثمان طه، دار المعرفة، دمشق - سورية، ط3: 1425هـ

المصحف الإلكتروني: القرآن الكريم مع التفسير، الإصدار الثالث، إنتاج موقع روح الإسلام الإصدار الثالث .

### 2/ كتب التفسير وعلوم القرآن:

#### أ/ كتب التفسير:

- أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري: النكت والعيون المشهور بتفسير الماوردي، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، د.ت.
- أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، دار الفكر: بيروت - لبنان، ط1: 1414 هـ / 1994 م.
- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان ط 1: 1415 هـ / 1995 م.
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان ط2: 1418 هـ - 1997 م.
- أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، تفسير البغوي، المسمى معالم التنزيل، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط1: 1414 هـ / 1993 م.
- أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط1: 1418 هـ / 1998 م.
- برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط1: 1415 هـ / 1995 م .

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

- سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق - مصر، ط 25 : 1417هـ / 1996 م
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان ، ط5 : 1417هـ / 1996م.
- عبد الحميد بن محمد ابن باديس الصنهاجي: تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، دار الكتب العلمية : بيروت- لبنان- ط1 : 1416هـ/1995م
- عبد الرحمن بن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة: بيروت- لبنان، ط: 1418 هـ / 1998م
- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: القواعد الحسان لتفسير القرآن، مكتبة الرشد: الرياض - السعودية، ط1 : 1420هـ/1999م
- فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الرازي الشافعي، التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان ، ط1 : 1411هـ / 1990م
- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، دار سحنون: تونس، ط: 1997 م.
- محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي أبو عبد الله، الشهير بابن قيم الجوزية ، بدائع التفسير، دار بن الجوزية، السعودية ، ط1: 1414 هـ / 1993 م.
- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط5 : 1417 - 1996م
- محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مكة المكرمة - السعودية ، دت
- محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ط1 : 1420هـ / 1999م
- محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، أخبار اليوم قطاع الثقافة - مصر ، دت
- وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر: بيروت - لبنان ، دار الفكر: دمشق - سورية، ط1 : 1411هـ / 1991 م.

### ب/ كتب علوم القرآن

- أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني: الوجوه و النظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ، تحقيق



- محمد حسن أبو العزم الزفيتي، القاهرة - مصر، ط: 1996 م
- ابن الجوزي: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه النظائر، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط3: 1407هـ/1987 م
- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد خليل عيتاني، دار المعرفة: بيروت - لبنان، ط1: 1418هـ/1998 م.
- محمد بسام رشدي الزين و وهبه الزحيلي: الموسوعة القرآنية الميسرة، دار الفكر: دمشق - سورية و دار الفكر المعاصر: بيروت - لبنان، ط1: 1423 هـ / 2002 م.
- محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الجيل: بيروت - لبنان، ط: 1408هـ/1907 م.

### 3/ كتب الحديث الشريف وشروحه:

- أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي: السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط: 1420هـ/1998 م.
- أبو داود سليمان ابن الأشعث السجستاني الأزدي: السنن، دار الجيل: بيروت - لبنان، ط1: 1412هـ/1992 م.
- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري، صحيح البخاري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت - لبنان، ط1: 1414هـ/1997 م. و بيت الأفكار الدولية: عمان - الأردن، ط: 2005 م.
- أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، السنن دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط: 1414هـ/1994 م.
- أحمد بن حنبل: المسند، دار الفكر: بيروت - لبنان، ط1: 1416هـ/1994 م
- مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم بشرح النووي، دار الحديث، القاهرة - مصر، ط: 1415هـ/1994 م. وبيت الأفكار الدولية: عمان - الأردن، ط: 2005.

### 4/ كتب الفقه و أصوله:

- ابن قدامه المقدسي: المعني، دار الحديث القاهرة - مصر تحقيق محمد شرف الدين خطاب و السيد محمد السيد، ط1: 1416 هـ / 1996 م.
- أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، المكتبة التجارية مصر، دت
- صالح بن فوزان: الملخص الفقهي، دار العاصمة: السعودية، ط1: 1421 هـ / 2001 م
- عبد القادر بن عزوز: محاضرات في مقاصد الشريعة، دار قرطبة - الجزائر، ط1: 1427 هـ / 2006 م.
- كامل موسى: أحكام العبادات، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط
- محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي: مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، دار الهجرة: المملكة العربية السعودية، ط2: 1423 هـ / 2002 م
- محمد طاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة، دار النفائس للنشر والتوزيع: الأردن، ط2: 1421 هـ / 2001 م
- محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي: مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، دار الهجرة: المملكة العربية السعودية، ط2: 1423 هـ / 2002 م.

### 5/ كتب المعاجم:

- أبو الحسن بن فارس بن زكرياء: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل: بيروت - لبنان، ط1: 1411 هـ .
- أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم الإفريقي ابن منظور: لسان العرب، دار الجليل و دار لسان العرب: بيروت - لبنان، ط: 1997 م.
- أحمد بن أحمد بن علي المقرئ الفيومي: المصباح المنير، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت - لبنان، ط2: 1418 هـ / 1997 م.
- علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، دار الكتاب المصري: القاهرة - مصر ودار الكتاب اللبناني: بيروت - لبنان، ط1: 1411 هـ / 1991 م.
- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، القاهرة - مصر، ط2: 1423 هـ / 1972 م.
- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان،

ط1 : 1410هـ / 1990م.

### 6/ كتب التراجم

- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي: الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر العطاء، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ط2: 1418هـ / 1997م.
- خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين، دار الملايين بيروت- لبنان، ط 12 : 1997م.
- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة: بيروت- لبنان، ط: 1413 هـ.
- شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي، تهذيب سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط 2 : 1992م.
- عز الدين، أبي الحسن علي بن علي حمد الجزري بن الأثير: أسد الغاية في معرفة الصحابة، تحقيق جليل مأمون شيخا، دار المعرفة: بيروت- لبنان، ط 1997م.

### 7/ كتب الفكر والدعوة :

- شهاب الدين أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، دار الجليل: بيروت- لبنان، د ت
- أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية: زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، دار الصحابة للتراث طنطا - مصر ، ط1: 1412هـ / 1992م
- عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، تحقيق درويش الجويدي ، المكتبة العصرية: بيروت - لبنان ط2 : 1416هـ / 1996م.
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي : إحياء علوم الدين، المكتبة العصرية: صيدا - بيروت، ط3 : 1419 هـ / 1999م
- أحمد البراء الأميري : فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم دار القلم: دمشق - سورية، ط1 :

1420 هـ / 2000

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

- أحمد بن قاسم الحداد: أخلاق النبي في القرآن والسنة، دار الغرب الإسلامي ط : 1419هـ / 1999م .
- أحمد بن محمد الحليبي : المسؤولية الخلقية والجزاء عليها دراسة مقارنة مؤسسة شركة الرياض - السعودية ط1 : 1417هـ / 1996م .
- أحمد فائز الحمصي : قصص الرحمن في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان، ط1 : 1415هـ / 1995م .
- آمال بنت صالح نصير : التوبة في ضوء القرآن الكريم، دار الأندلس الخضراء: جدة - السعودية، ط1 : 1419هـ / 1998م
- جودت سعيد: العمل قدرة وإرادة دار الفكر المعاصر بيروت - لبنان ط2 : 1414 هـ / 1993م .
- رفيق العجم : موسوعة مصطلحات الإمام الغزالي، مكتبة لبنان، ط1: 2000م
- سعدون بن عبد الله : الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، دار الفجر - ط: 2005 م
- سعيد حوى: تربيتنا الروحية، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط2 : 1401 هـ / 1981م .
- سليمان الأشقر : محاضرات إسلامية هادفة، النفائس - الأردن ط1 : 1418هـ / 1997م .
- سوسن هندي :حسن البنا كيف نفهم الإسلام، المكتبة الفاروقية بيروت - لبنان، ط: 1413هـ / 1993م
- عبد الكريم زيدان : المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة مؤسسة الرسالة : بيروت - لبنان ط1 : 1421 هـ / 2000م .
- عبد الحميد أحمد أبو سليمان: أزمة العقل المسلم، سلسلة المنهجية الإسلامية ( 1 ) الدار العالمية للكتاب الإسلامي الرياض - السعودية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي هيردن - فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية ط3 : 1414 هـ / 1994م .
- عبد الرحمن حللي: حرية الاعتقاد في القرآن الكريم دراسة في إشكالية الردة والجهاد والجزية المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء - المغرب، ط1 : 2001م
- عبد الرحيم المغزوي : وسائل الدعوة، دار اشبيليا: السعودية، ط1 : 1420هـ / 2000م
- عبد العزيز خواجه : أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني قصة موسى عليه السلام تطبيقا ، صفحات للدراسات والنشر: دمشق - سورية، ط1 : 2007 م
- عبد الكريم زيدان: السنن الإلهية، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط3: 1417 هـ / 1994 م .

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

- عبد المجيد النجار: فقه التحضر، دار الغرب الإسلامي: بيروت - لبنان ط1 : 1999م
- عفيف عبد الفتاح طبارة: قصص الأنبياء، دار العلم للملايين: بيروت - لبنان، ط 25 : 2007 م.
- عمر عبيد حسنة: النهوض الحضاري، بصائر وبشائر المكتب الإسلامي: بيروت - لبنان وسلطنة عُمان، ط1 : 1417 هـ / 1996 م .
- ماجد عرسان الكيلاني : مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، مؤسسة الخليج للنشر والطباعة: الدوحة - قطر، ط1 : 1411 هـ / 1991م.
- ماجد عرسان الكيلاني :أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية، المعهد العلمي للفكر الإسلامي الولايات المتحدة الأمريكية: ط2 : 1417 / 1997 م
- مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي
- مالك بن نبي : تأملات
- مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي دار الفكر ( دمشق - سوريا ) ط1: 1413 هـ / 1992 م .
- محمد الخضر حسين: الدعوة إلى الإصلاح، دار الراية: الرياض - السعودية، ط1: 1417
- محمد السيد يوسف: منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، دار السلام: القاهرة - مصر، ط1 : 1422 هـ / 2002 و ط 2 : 1424 هـ / 2004 م
- محمد الغزالي : المحاور الخمسة للقران الكريم، دار القلم: دمشق - سوريا، ط2 : 1418 هـ / 1997 م .
- محمد الغزالي : خلق المسلم، دار المعرفة - الجزائر
- محمد الغزالي : علل و أدوية ، دار الشروق: القاهرة - مصر، ط 1 : 1418 هـ / 1997 م .
- محمد الوكيللي : فقه الأولويات دراسة في الضوابط، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: هيردن - فيرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية ، ط1 : 1416 هـ / 1997م.
- محمد بسام رشدي الزين : مدرسة الأنبياء عبر وأضواء ، دار الفكر المعاصر: بيروت - لبنان، ط1 : 2000 م .
- محمد سعيد رمضان البوطي: منهج الحضارة الإسلامية، دار الفكر: دمشق سوريا، دار الفكر المعاصر: بيروت - لبنان، ط3 : 1421 هـ / 2000 م

- محمد راتب النابلسي : موسوعة الإعجاز في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان، دار المكتبي: سوريا، ط1: 1414 هـ / 2004 م
- محمد عمارة: فقه دعوة موسى عليه السلام، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع القاهرة - مصر، ط1: 1417 هـ / 1997 م.
- محمد قطب : واقعنا المعاصر، دار الشروق- القاهرة، ط 1 : 1418 هـ / 1997 م.
- موسى محمد الأسود: منهج السلوك الإنساني، دار ابن حزم: بيروت- لبنان، ط1: 1417 هـ / 1996 م
- وهبة الزحيلي: أخلاق المسلم، دار الفكر المعاصر: بيروت - لبنان، ط1: 1423 هـ / 2000 م
- يوسف القرضاوي: الحل الإسلامي فريضة و ضرورة مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان، ط14: 1414 هـ / 1994 م
- يوسف القرضاوي : الخصائص العامة للإسلام مؤسسة الرسالة: (بيروت- لبنان) ط: 10: 1419 هـ / 1999 م.
- يوسف القرضاوي : الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي و الإسلامي ، مؤسسة الرسالة: بيروت - لبنان، ط3: 1418 هـ / 1997 م
- يوسف القرضاوي : ملامح المجتمع المسلم الذي نشده مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان، ط1: 1422 هـ / 2001 م
- يوسف القرضاوي: أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، سلسلة الصحوة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ط13 : 1412 هـ / 1992 م
- يوسف القرضاوي: فقه الأولويات في ضوء الكتاب و السنة، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ط1: 1420 هـ / 1999 م

### 8/ المجالات:

● مجلة كلية الدعوة الإسلامية: الجمهورية الليبية الشعبية

● مجلة الأهرام المصرية تحت عنوان وجهة نظر 9 رمضان 1407

### 9/ مقالات في الانترنت:

- موقع شبكة والفجر ، عباس أمير: حركية الإصلاح من النظام إلى الانتظام رؤية قرآنية ، سلسلة القرآن نور، القطيف- العراق، تاريخ: 10 / 11 / 2007م.

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

- موقع ملتقى طلبة الماجستير الدراسات السامية ومقارنة الأديان، محمد البنعادي: علاقة الإسلام والديمقراطية في فكر مالك بن نبي : 2010 / 2 / 12 م
- محمد راتب النابلسي: تفسير الآيات 160-175 من سورة الشعراء، الدرس 11، بتاريخ 29/1989/9 م.
- موقع محمد يتيم : إصلاح الإرادة و إرادة الإصلاح: 2007/12/26 م.
- موقع مكتبة المشكاة الإسلامية، أحمد بوعود: فقه الواقع (أصول و ضوابط) : رقم 75 مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، تاريخ
- موقع إسلام ويب، المكتبة الإسلامية ، عبد المجيد النجار سلسلة كتاب الأمة- فهم الواقع - في فقه التدين فهماً وتزيلاً ، الفصل الثالث ج 1 ، تاريخ
- موقع إشراقه ملتقى الفكر المستنير، محمد عبد الحليم : دروس اقتصادية من قصص الأنبياء ، تاريخ : 2008 / 11 / 6 م
- موقع القرضاوي، الصفحة الرئيسية بتاريخ 24 نوفمبر 2004 م
- موقع شبكة النبأ المعلوماتية، حسن المحمداوي: مظاهر الصحة النفسية للطفل اليتيم تاريخ 6 جمادى الأولى 1430 هـ.

## فهرست الموضوعات:

أ	المقدمة.....
1	الفصل الأول: مفهوم الإصلاح ومكانته في القرآن الكريم.....
	المبحث الأول: تعريف الإصلاح تمهيد و تقسيم.....
4	المطلب الأول: تعريف الإصلاح لغة.....
5	المطلب الثاني: تعريف الإصلاح شرعا.....
	المبحث الثاني: علاقة الإصلاح بألفاظ أخرى.....
10	المطلب الأول:علاقة الإصلاح بالصالح.....
15	المطلب الثاني: علاقة الإصلاح بالفساد.....
18	المطلب الثالث: علاقة الإصلاح بالتغيير والتجديد.....
25	المبحث الثالث: حصر الآيات التي ورد فيها لفظ الإصلاح.....
34	المبحث الرابع: مكانة الإصلاح في القرآن (دراسة كيفية).....
36	المطلب الأول:الإصلاح الإلهي.....
36	. إصلاح الله الأرض.....
39	إصلاح الله الإنسان.....
44	المطلب الثاني: الإصلاح البشري.....
46	الفصل الثاني:إصلاح الانسان من خلال السياق القرآني.....
47	المبحث الأول: إصلاح ذات البين (الصلح).....
48	المطلب الأول: ماهية الإصلاح ومشروعيته.....
54	المطلب الثاني: مجالات الإصلاح.....
55	الإصلاح بين الإخوة.....
58	الإصلاح بين الزوجين.....
61	الإصلاح بين الورثة.....



- 65 ..... الإصلاح إلى اليتامى.
- 70 ..... المبحث الثاني: الإصلاح العام للحياة ( المادي والمعنوي ) تمهيد وتقسيم.
- 73 ..... المطلب الأول: الإصلاح المعنوي: إصلاح الذات بعد الإفساد.
- 78 ..... إصلاح الآخريين (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).
- 81 ..... المطلب الثاني: الإصلاح المادي (البيئة و المحيط).
- 83 ..... المطلب الثالث: خصائص منهج القرآن في الإصلاح وصفات المصلحين.
- 89 ..... المبحث الثالث: أحكام متعلقة بالإصلاح.
- 89 ..... المطلب الأول: الإصلاح من أسباب إبعاد الهلاك عن القوم.
- 93 ..... المطلب الثاني: الاستطاعة و الإرادة في الإصلاح.
- 100 ..... المطلب الثالث: علاقة الإصلاح بفقهاء الأولويات وفقه الواقع.
- 96 ..... علاقة الإصلاح بفقهاء الأولويات.
- 105 ..... علاقة الإصلاح بفقهاء الواقع.
- 109 ..... المطلب الرابع: الأبعاد المقاصدية للإصلاح.
- 117 ..... المطلب الخامس: من ثمار الإصلاح.
- 114..... الفصل الثالث: الإصلاح بين قصص الأنبياء والواقع.
- 122 ..... المبحث الأول: الإصلاح في قصص الأنبياء (من خلال نماذج ) تمهيد وتقسيم.
- 124 ..... المطلب الأول: الإصلاح العقدي (إبراهيم عليه السلام نموذجاً).
- 130 ..... المطلب الثاني: الإصلاح السياسي ( موسى عليه السلام نموذجاً ).
- 137 ..... المطلب الثالث: الإصلاح الاقتصادي ( شعيب عليه السلام نموذجاً ).
- 143 ..... المطلب الرابع: الإصلاح الأخلاقي ( لوط عليه السلام نموذجاً).
- 148 ..... المطلب الخامس: الإصلاح الشامل (محمد صلى الله عليه وسلم نموذجاً).
- 154..... المبحث الثاني: إصلاح واقع الأمة الإسلامية.
- 154..... المطلب الأول: قراءة في الواقع ( مظاهر ضعف المسلمين وأسبابه ).

المطلب الثاني: اجتهادات في الإصلاح. .... 160

المطلب الثالث: السبيل لإصلاح الواقع (حوصلة أولية) ..... 163

- خاتمة وتوصيات. .... 169

ملخص البحث و أهم النتائج

## ملخص البحث وأهم نتائجه

و بعد ... فإنه من خلال رحلتي مع هذا الجهد المتواضع في مسألة الإصلاح من خلال القرآن الكريم، يمكن في نهايته أن نخرج بخلاصة، تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها، والتي لها صلة مباشرة بالإشكالات المطروحة في مادة البحث من خلال نقاط محددة .

○ أن الإصلاح سنة من سنن الله في الكون، وكل شيء في الوجود يدلُّ عليه، والأدلة واضحة في الإنسان والوجود.

○ أن الإصلاح مبدأ يقوم عليه الدين الإسلامي، فهو صالحٌ ومُصلِحٌ لكل زمان ومكان، وردَّ في القرآن الكريم في أكثر من 40 موضع، بصيغ الزمن المختلفة، الماضي و المضارع و الأمر، كما أن البحث في مواضيعه وثنائاه قد مسحَ حجماً كبيراً من آيات كتاب الله، الأمر الذي تجلَّى في كثرة الآيات التي تمَّ الاستشهاد بها في هذه الدراسة، بما لا يدع مجالاً للشك أن المناهج الوضعية والبشرية تبقى مناهج فاشلة وعاجزة للوصول إلى الإصلاح المنشود، ما ابتعدت عما طرحه الكتاب في هذا الخصوص.

○ استقرَّ مفهوم الإصلاح في اللغة على أنه إزالة الفساد، وزاد في الاصطلاح أن من معانيه إيجاد الشيء صالحاً، فهو قدرٌ مشترك بين إزالة الفساد وإيجاد الشيء صالحاً، فتنتفي بذلك ديمومة مقولة أن ظهور الفساد إيذانٌ بظهور الإصلاح، وأن حمل الأمانة التي ارتضاها الإنسان لنفسه لا تنصرفُ إلى البحث عن الفساد وإصلاحه، وإنما هي السعي إلى تحقيق المنافع سواء التي أصابها الضرر أم لا.

○ أن التجديد والتغيير والإصلاح مصطلحات قرآنية، فتتقاطعُ معاني التجديد والتغيير مع الإصلاح في مساحات المعاني الايجابية لهما ولعلَّه السبب الذي سمحَ لكثير من علماء الفكر والدعوة للخلط في استعمالها وجعلها كمرادفات .

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

- خَاطَبَ القرآن الكريم والإسلام عموماً الإنسان بالإصلاح في كل أحواله، فرداً، ومثنى، واجتماعاً، فكان ذلك من باب غَلَقِ الأَعْدَارِ بعدَمِ القيام به، على أساس عدم التكليف والتهرب من المسؤوليات فَوَرَدَ بصيغة الفرد، التثنية، الجمع.
- أنَّ الإصلاح وَرَدَ في القرآن من باب أن لكل داء دواءً فكان وَقَائِياً، فيما تَعَلَّقَ بالأُسرة والمشاكل الزوجية، والخلافات والتزاعات بين المتباينين، سواء التباين الثنائي كالخلاف بين الزوجين، قبل سُقُوطِ البنيان ودماره، كل ذلك حتى يَبْقَى للأُسرة قداستها وعظمتها في نفوسنا. أو التباين الطائفي بين الجماعات، كل ذلك بغية تَحَقُّقِ الوَحْدَةِ والتماسك الاجتماعي. أما فيما كونه كانَ عِلاجِيًّا فذلك يتعلق بكل فساد يَطْرُقُ في مجالات الحياة المتعددة، المعنوية منها أو المادية . من تزكية وتطهير للنفوس لما علق بها من أمراض النفوس أو إصلاح للبيئة والمحيط عند لحوق الفساد والضرر، دون أن ننسى أن من الإصلاح إِضَافَةٌ الصلاح ما أمكن، بما يَجْلِبُ المصلحة ويُثْرِي المنفعةَ منها.
- أنَّ الإصلاح جاءَ مرَّةً نسبة إلى فعل البشر من باب تَحْمُلِ الأمانة وأداء الرسالة المنوطة به كما وَرَدَ نسبة إلى الله تَشْرِيفاً وتَكْرِيماً. ولعل في ذلك إشارة إلى وجوب و اقتضاء الإنسان محاكاة خالقه ، وأن يَكُونَ له نَصِيبٌ من صفاته سبحانه وتعالى، وهو ما يعرف بالإصلاح التكويني الذي خَصَّ به الله السموات والأرض والإنسان وبعثة الرسل.
- أنَّ الإصلاح ثَمْرَةُ الإيمان والعمل الصالح، وهو شَرْطٌ في قَبول تَوْبَةِ المذنب، ويُشترط لإقامته وَجَنِّي ثماره العدل والقسط فيه، كما أن التَّقْوَى والعفوَ والبر كلها مقدمات تَسْبِقُ القيام به.
- تَسَعَى الإنسانية إلى طَلَبِ الإصلاح، وتَتَوَقَّ الأنفُسُ إلى تَحْقِيقِهِ، فكان ذلك الرقي يَحْتَاجُ إلى إرادة صادقة، وعزم لا تُثْنِيهِ الصعاب عليه، لكن مع وُجُودِ هذه الرؤية القرآنية نجدُ أن يُسَرَّ الإسلام، ورحمةُ الله بعباده تَجْعَلُهُ قائماً في حدود الاستطاعة والقدرة مصداقاً لقوله تعالى: "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها".

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

- وَعَدُّ الله القائمين بالإصلاح أن لا يهلكهم، ما استَدَاموا الإصلاح في حياتهم، فكان الأمن والطمأنينة جزاؤهم، وفي المقابل هلاكٌ ودمارٌ لأممٍ تَخَلَّت عنه، وغابَ عنها في حياتها.
- أن للإصلاح في القرآن الكريم أبعاداً مقاصدية خاصة ما تعلق منها بالكليات الخمس: الدين- النفس- العقل- النسل- المال، هذه الأخيرة التي تزيد من قيمته وتدعو إلى تفعيله في الواقع الإنساني بصفة عامة، والعربي الإسلامي خصوصاً .
- إنَّ ما ورد من إصلاح في القصص القرآني خاصة قصص الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والتسليم، يُشكّل مُختبراتٍ بشرية خالدة، مُجرّدة عن حدود الزمان والمكان، من الناحية الاجتماعية، كما يُشكّل منجماً لاغتراف الثقافة الإصلاحية الاجتماعية، فالأنبياء عليهم السلام قادة الأمة والإنسانية جمعاء في الإصلاح ومنهجهم يبقَى المعلم والمرجع الذي ينبغي أن يعود إليه كل من أراد امتطاء صهوة الإصلاح.
- أنَّ فهمَ الواقع أمرٌ أساسٌ في العملية الإصلاحية، فبه يتمكن المصلح من حسن ترتيب تعاليم النبوة، والتعرف على وسائل إحداث التفاعل بين الأفكار والأشخاص والأشياء ومن ثمة وتَحريك آليات الإصلاح، وهذا لا يكون إلا بالفقه الاجتماعي، أي بالتحقق من القوانين التي تحكم الاجتماع وال عمران.
- أنَّ غيابَ فقه الأولويات والقفز عليه في العملية الإصلاحية، يُوقع في التَّخَبُّط، كما يُعرضُ الجميع إلى هدرِ الجهود وتناقضها، وقد تَصَلُّ إلى حد ضياعها، وواقع الأمة خيرُ شاهد على ذلك .
- أنَّ واقع الأمة الإسلامية يَنطقُ بكل معاني التأخر في كل المجالات، وأنَّ السبب في ذلك يعود لأسباب ذاتية تتعلّق بالمسلمين من ناحية تفكيرهم الذي أبعدهم عن الجادة، وسبب خارجي ساهمت فيه أيادي الأعداء بألوان شتى.
- أنَّه لم تخل الساحة الإسلامية من محاولات لإصلاح الأوضاع الفاسدة، ففي كل فترة تظَهَر حركات ويظهرُ رجال، لكنهم لم يَتَمَكَّنوا من بلوغ المرام، لأسباب عدة نذكر منها: الابتعاد عن الواقع، غيابُ عمليات المراجعة والنقد الذاتي الذي من شأنه تَشخيصُ الأخطاء ومحاولة

## الإصلاح في القرآن الكريم دراسة موضوعية

تصويبها في الوقت المناسب، استيرادُ بعض الحلول من الغرب، ..... الخ ، الأمر الذي يستوجب إعادة النظر في مناهجها، و ما يتعلّق بالوسائل المستعملة ، كل ذلك في إطار ما وضعه الشارع الحكيم من قواعد وضوابط، استوعبها كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، مما يتبيّن أنه لم يبق لنا عذر أن نغامر بتجربة مناهج وضعية، من إنتاج عقول، أثبتت الأيام فشلها الذريع في إسعاد الأفراد وإصلاح المجتمعات.

○ أن ما أصاب البشرية من فساد في الحياة عموماً سببه الابتعاد عن منهج الله القويم في الإصلاح، وعدم تطبيقه في الواقع، وأنّ مهمّة النهوض بالمجتمع هي مهمّة تقع على عاتق كل فرد، فيما كانت الحاجة فيه إلى عمل فردي ومهمّة جماعية، فيما كان الأمر فيه يحتاج إلى تضافر جهود وقوى الجميع.

## التوصيات

وفي الأخير أودُّ أن أتوجهَ لكل إنسان يُريدُ السير على درب الإصلاح بدعوته إلى كتاب الله وسنة النبي الأعظم عليه أفضل الصلاة والتسليم، هذان المنبعان اللذان يحويان كل شاردة و واردة تتعلق بالإصلاح كمنهج ووسيلة و أسلوب، من شأنه الإرشاد إلى السبيل القويم في التغيير والإصلاح والنهوض بالأمانة ومن ثم استحقاق الخيرية التي خصّت بها أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

كما ينبغي على كل واحد منا أن يَعتَبِرَ نفسه أنه على ثغرة من ثغور الإصلاح، سواء في التربية أو العقيدة أو الاقتصاد أو العلاقات الاجتماعية أو أي مجال آخر، ابتداءً بالأسرة، مروراً بالمدرسة و وصولاً إلى المجتمع والحياة، فرسالة الإصلاح قائمةٌ مع الجميع وبالجميع وللجميع، والفساد لا يستأذنُ الدخول إلى الأنفس أو البيوت أو المجتمعات، يَسري فينا مَسرى الدم في العروق، و في المقابل إنَّ التَّصدي له يَحْتَاج منا، ابتداءً إلى إرادةٍ وعزمٍ ثم علم، فعمل ، حتى نحصد ثماره ونشهد آثاره من سعادة في الدنيا والآخرة.

والله أسأل أن أكون قد وفقتُ في إثارة جانب من جوانب الإصلاح، هذا الموضوع الواسع، بما يفسحُ المجال لغيري بمواصلة الدَّرب والبحث.

وأسأله تعالى السداد في السعي، وأن يتقبَّله تعالى في الصالحات الباقيات، وأن يجعله في ميزان الحسنات.

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ إِلَّا لِيَهْدِيَ اللَّهُ الْبَشَرِ لِحَقِّهِمْ آمِينَ»

«وَقُلْ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ الشُّكْرَ وَإِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ الشُّكْرَ وَإِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ الشُّكْرَ»

«وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ إِلَّا لِيَهْدِيَ اللَّهُ الْبَشَرِ لِحَقِّهِمْ آمِينَ»



## Summary of research and its result

And yet ... It is the end of this round of reform in kindergarten through the Koran and revisit the concept, types and provisions related to it, and go into the experiences of reformers from the end of the prophets and the righteous who registered their fingerprints in the history of this area, particularly those relating to the realities. And thus I have reached the end of the search, thanks to God, outlining the most important results that have a direct link to problematic raised in the article, without forgetting the most important recommendations which I have seen that it is to be communicated. the conclusions are:

- 1 - The reform is a universe law, and everything in existence is indicated and refered to it, and the evidence is clear in human s existence.
- 2 - The reform is the principle based of islam , it is valid and righteous everywhere at any time; it is stated in the holly Quran in more than 40 positions in different formats: past, present and order and all human methods are incapable to reach the desired reformation.
- 3 - In language,it is stabilized that the concept of reform is to eliminate corruption; in terminology is to find and make something good; it is much common between the removal of corruption and finding something good so that the argument which says the appearance of corruption marks the emergence of reform is removed .
- 4 - The innovation, change and reform are Quranic terms, so the innovation and change have been confused with the reform in use particularly in the field of advocacy and thought .
- 5 -The Holy Quran and Islam in general addresses and asks human beings for the reform in all conditions : individually, or in groups; it is one of the door closing excuses not to do it on the basis of the evasion from responsibilities.
- 6 - It is stated in the holly Quran that every illness or a problem must have a remedy, or a Prevention concerning the family matters ; the principle is to harmonise and to join couples before reconstruction. So , the family still remains the backbone for us.

Then, curelly speaking it is true for every corruption in politics, economics, etc.

7-In the holy Quran ,it is mentioned that the reform sometimes referes to God as honor and honoring, and sometimes referes to man as loyalty , and may be man follows God s reform

8- The reformation is the fruit of faith and right actions. It is a condition for forgiveness ; to realise it we need justice, devoutness, pardon and charity.

9- All human beings strive to reach the reformation which needs a strong will and intention . but ,with the easiness of Islam and the mercy of God, it is limited to human capacities as mentioned in the verse that humans are not assigned to do things out of their capacities. The verse says: god does not burden any soul beyond its power.

10- God promises the reformers not to destroy them if they still seek to make a reform and security is their reward; In The opposite, the destruction is for those who give up it.

11- In the holly Quran, reformation has a strong relation to Islamic intentions and purposes which save : religion, soul, brain, offspring and wealth ; the last increases its value and asks for its effectiveness in human real life in general.

12 -what happened in Quranic stories of messengers concerning the reform is considred as a source of knowledge taken as an experience we can apply in life to solve problemes.

13- The understanding of reality is a principle based for the process of reform: It enables the reformers to practise the instructions of prophets appropriatly ; to recognize the tools to react things , persons and ideas , and so the reform mecanism begins through recognizing the social laws.

14 -The absence of jurisprudence of priorities and the jump in the process of reform signed in confusion, and puts everyone in the waste of efforts and may reach contradictory to some extent lost. The reality of the nation's best witness to that.

15 -The reality of islamic nation refers to its obstruction in different fields . the cause is due to subjective causes concerning muslims in their way of thinking , and another cause comes from their opponents abroad.

16 – Islamic history shows attampts to reform corruption in every period movements and symbols appears. But, they can not reach what they want , for several causes like : the absence of revision , and the subjective criticism which helps to diagnise the mistakes and tries to correct them in suitable time. In addition, it exports sollutions from abroad. In the opposition ,there must be a reobservation in its methods and means in the field of legitimate. Specially, after the failure of the man-made methodes for the happiness of people and the success of societies.

17- What has happened to human beings in general because they moved away from the God s True curriculum in the reform, and they did not apply God s laws in reality. That mission which is for the developpement of society is the responsibility of individuals whenever there is a need for individual work, and a collective mission when we need a co-operation.

Finally I would like to address and call everyone wants to follow the path of reform and the Book of Allah and the Sunnah of the Prophet mohamed peace and blessing be upon him. These great sources are considered a light for the reform process .

And every body is thought to be in a hole of reformation either in education , economics , belief or any other field starting with the small family, then school ending in society and life because the message is with all together for all people. This corruption doesn't ask for permission to get into spirits, houses or societies ; it circulates in our bloods. to face it we need a will, intention ,knowledge, objectivity, then work, happiness and security.

I ask God that I have stood in the exciting aspect of reform such a broad topic, including room for others to continue to research and I ask Allaah to seek payment, and accept it in the remaining works and to make it in the balance of good deeds.

"Glory we have no knowledge except what You taught us you Alim al-Hakim"

"And say: Simply the Best"

And another pretext that Praise to Allah, Lord of the Worlds.

University of Algiers -1-  
Faculty of Islamic Sciences  
Department dogmas and religions

**Reform in the Holy Quran  
objective study**

**Note to get a master's degree in Islamic Studies  
specialization the Quran and Sunnah**

**Supervised by:** Dr.chafia seddik.

**Prepared by :** Adli Faiza.

**The commission of discussion :**

- Dr . Mohamed el Amine Belghith ..... president
- Dr. Chfia Seddik ..... reporter
- Dr. Youcef Addar ..... member
- Dr. Hammou Chihani ..... member

**Academic year: 2011 / 2012**

**Faculty of Islamic Sciences**  
**Department dogmas and religions**

---

**Reform in the Holy Quran  
objective study**

**Note to get a master's degree in Islamic Studies**

**specialization the Quran and Sunnah**

**Supervised by:** Dr.chafia seddik.

**Prepared by :** Adli Faiza.

**Academic year: 2011 / 2012**